القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثانية والثلاثون العدد 9900 الأحد 10 آيار (مايو) 2020 – 17 رمضان 1441 هـ
Volume 32 - Issue 9900 Sunday 10 May 2020

16

حوار مع الأكاديمي التونسي منير السعيداني

36

جبيل اللبنانية: أقدم مدن التاريخ المسكونة

46

دراما رمضان والفيلق الثقافي لـ«صفقة القرن»

حفتر ينجح في تأليب الحلفاء ضده 06

تساؤلات عن عودة «تنظيم الدولة» إلى العراق 28

اللبنانيون و7 أيار: بين ممجد ومعارض 31

أمريكا والصين: حرب الفيروس بعد التجارة

بعد أن بدأ بامتداح شفافية الصين في مكافحة انتشار فيروس كورونا والتعبير عن الامتنان للرئيس الصيني شخصياً، انتقل الرئيس الأمريكي إلى مهاجمة بيجين وتحميلها مسؤولية ارتكاب «خطأ فظيع» تسبب في خروج الفيروس من مخابر ووهان وتفشيه على نطاق العالم، بل وذهب إلى درجة التلميح بأن الصين قد تكون عدّلت الخارطة الجينية للفيروس عن سابق عمد. ومع أن الصين ليست الدولة المثالية من حيث الشفافية وحرية الصحافة والمعلومات، فمن الواضح أن التناقضات في أقوال ترامب ناجمة عن التخبط في معالجة عواقب الفيروس على الساحة الأمريكية، والتي لا تصيب الاقتصاد الأمريكي بأضرار كبيرة فقط بل تهدد حظوظ ترامب في ولاية رئاسية جديدة.

(حدث الأسبوع 8ــ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

إدلب: الدوريات الروسية التركية المشتركة تصل أريحا من دون اعتراض

الدوريات المشتركة على طريق M4

كان الرئيس اردوغان قد طالب قوات النظام السوري، بالتراجع إلى حدود نقاط المراقبة التركية، قبل أن يعدل عن تحذيره ويوافق على خطوط التماس الجديدة التي فرضها الرئيس بوتين.

منهل باريش

نجحت الدورية الروسية التركية المشتركة بقطع مسافة 15 كم، الخميس الماضي، حيث وصلت إلى مشارف مدينة أريحا الشرقية متجاوزة، حرش مصيبين وهو أخطر أجزاء الطريق بسبب تمركز تنظيم أنصار التوحيد فيه. وتعتبر المسافة المقطوعة أخيرا تطورا لافتا على صعيد تحقيق اختراق معضلة فتح طريق M4 حيث زادت سبعة أضعاف المسافة التي قطعتها الدوريات المشتركة من مفرق بلدة الترنبة غربي سراقب إلى مدينة ألعاب الرابية الخضراء شرقي النيرب. واقتصر خط الدوريات السبع على قطع مسافة 2كم فقط، فيما نجحت الدورية الثامنة في 5 أيار (مايو) باجتياز 13 كم، من مفرق الترنبة إلى تقاطع حرش مصيبين–المسطومة مع طريق الترانزيت حلب–اللاذقية M4. وتمكنت الدورية التاسعة من تجاوز التقاطع ومصيبين وصولا إلى حدود مدينة أريحا، وتوقفت على بعد 400 م من جسر أريحا الواصل بين أريحا ومدينة إدلب.

ورافقت الدورية المشتركة قوة جوية تركية وروسية، وبدأ طيران الاستطلاع بمراقبة الطريق قبل يوم من تسيير الدورية الأخيرة واستمر إلى ما بعد انتهاء الدورية ومغادرة الشرطة العسكرية الروسية باتجاه مدينة سراقب.

واتهم ناشطون هيئة تحرير الشام بإقامة حواجز ومنعهم من الوصول إلى الطريق للاعتصام. ونفت تحرير الشام صحة الادعاءات، يوم الجمعة، وقال مسؤول العلاقات الإعلامية في الهيئة، تقي الدين عمر في بيان «ننفي تغيير موقف الهيئة بشأن الدوريات الروسية ونجدد دعوتنا لكل شرائح المجتمع، كل في ميدانه، للوقوف في وجه قوات الاحتلال» مضيفاً «تحرير الشام لم تمنع أحداً من الذهاب للتعبير عن رأيه وموقفه ضد العدو الذي ارتكب المجازر المروعة ودمر البيوت والمشافي والبنى التحتية وعذب وقتل آلاف السوريين».

ولفت إلى أن «الهيئة لم تعرقل وصول المتظاهرين إلى الأوتوستراد (M4) وإنما منعت مرورهم عبر أحد الطرق لأسباب معتبرة لدى إدارة الحواجز» وأشار إلى أن الطرق الأخرى «كانت مفتوحة وتم تحويل الأهالي إليها».

وذكر البيان «بعد توقيع الاتفاق الأخير بخصوص إيقاف إطلاق النار، والذي حوى بنوداً تضرب تضحيات عشر سنين متواصلة بعرض الحائط، خرج عدد من الأهالي والناشطين والإعلاميين في اعتصام الكرامة ووقفوا بوجه عدوهم، وعبروا عن رفضهم مرور قوات الاحتلال الروسي، وقد باركنا هذا الاعتصام، الذي عبّر عن النبض الثوري الحي لدى أبناء المحرر». وشدد المكتب في بيانه على أن موقف الهيئة بشأن مرور الدوريات ثابت لم يتغير، مجددا دعوته لكافة شرائح المجتمع للوقوف في وجه قوات الاحتلال، مؤكدا على أن تحرير الشام لم تمنع أي شخص من الذهاب للتعبير عن رأيه وموقفه ضد العدو.

وتشير التغيرات الحاصلة، وعدم اعتراض الدوريات الروسية المشتركة مع تركيا، إلى رغبة تحرير الشام بتجنب إغضاب أنقرة، ولكن في الوقت نفسه، إرسال رسالة واضحة للأخيرة، أنها تملك أوراق قوة عدة بيدها، في حال تم تجاوزها والبحث عن وكلاء آخرين كالجبهة الوطنية للتحرير أو الجيش الوطني. وانه في وقت التفاهم معها، فإنها ستسهل الحركة على الطريق كما اختبرت الدوريتان الثامنة والتاسعة. وهو ما يمكن اختباره مع حفظ أمن الطريق وصولا لأريحا وما بعدها.

على صعيد منفصل، تعرضت مقرات فيلق الشام القريبة من طريق الترانزيت إلى هجوم منظم من قبل مجهولين، قاموا بتكبيل العناصر النائمة وسلب المقرات سلاحها وذخيرتها وآلياتها وأجهزة اتصالها. وبدأ الاستهداف في الهجوم على أحد المقرات بالقرب من قميناس، ثم مقر في بلدة بنش وثالث في مزرعة الصواغية شرقي الفوعة، وفشل المهاجمون في مداهمة مقر للفيلق في بلدة تفتناز، فجر السبت، وحصل اشتباك بينهم وبين عناصر الحراسة الذين فاجأوا المهاجمين، وتم جرح اثنين من المهاجمين على الأقل حسب ما أفادت مصادر محلية، إثر الحادثة.

وتأتي الاستهدافات المتوالية لفيلق الشام المقرب من تركيا بمثابة تحذير من أجل ابتعاده عن طريق الهيئة في مسألة التواجد على طريق حلب – اللاذقية (M4) وتسعير الفوضى الحاصلة في الأيام الأخيرة، واضطراب الشمال، وإظهار الفيلق بمظهر الضعيف الذي لا يستطيع حماية نفسه، فكيف ستوكل إليه حماية الدوريات وثاني أهم طريق ترانزيت في سوريا، وذلك، بهدف الفوز بوكالة السيطرة الأمنية من قبل تركيا. ويستعبد أن يكون أحد الفصائل المتطرفة وراء الهجمات الملاحقة، فالهجوم المكثف في المنطقة القريبة من طريق حلب–اللاذقية (M4) هو تحد كبير يحتاج إلى سيطرة أمنية لا يملكها حراس الدين أو أنصار التوحيد مطلقاً، والتنظيم الوحيد القادر على فعلها هو هيئة تحرير الشام، على اعتبار أنه المتحكم الرئيسي في إدلب.

واندلعت مواجهات بين تحرير الشام والمعتصمين المقربين منها مع القوات التركية، في 23 نيسان (أبريل) الماضي، أسفرت عن مقتل عناصر من الشرطة في حكومة الإنقاذ إضافة إلى عنصرين من عناصر تحرير الشام. وعرقلت الهيئة تطبيق اتفاق موسكو منذ توقيعه بين الرئيسين الروسي فلاديمير بوتين والتركي رجب طيب اردوغان قبل شهرين، ومنعت تسيير الدوريات المشتركة تطبيقاً لملحق الاتفاق في إدلب، من خلال دعم «اعتصام الكرامة» الذي استغلته قبل أن تفضه نهاية نيسان (أبريل) إثر مقتل عناصرها وعناصر شرطة الإنقاذ.

وفشلت تحرير الشام بفتح المعبر المقرر في معارة النعسان في ريف إدلب الشمالي، إثر احتجاج أهالي البلدة وسقوط قتيل من النشطاء المحتجين وإصابة آخرين. وتربط الهيئة الملفات المعقدة في إدلب ببعضها البعض ولا تفضل التفاهمات الجزئية هنا وهناك أو الحصول على مكسب صغير فقط. فقادة الهيئة يدركون أن خسارة أي مكسب صغير سيؤدي إلى إخراجها من ملعب الكبار. وتدرك أن المنافس الوحيد هو فيلق الشام بعد أن حجمت أدوار الفاعلين العسكريين الآخرين وقضت على قسم كبير منهم. وفرضَ تسارع الدوريات الروسية التركية على طريق حلب–اللاذقية السريع، حركة احتجاجات للمهجرين من أجل عودتهم تحت شعار «نريد العودة إلى بيوتنا وقرانا بحماية دولية أو تركية» وتظاهر المئات في عدة بلدات في ريف حلب الشمالي وإدلب مساء يوم الجمعة، مطالبين بتطبيق الوعود التركية القائلة بعودة النظام السوري إلى حدود اتفاق سوتشي أيلول (سبتمبر) 2018. ووجهوا دعوات للتظاهر يوم الأحد أيضا. وكان الرئيس اردوغان قد طالب قوات النظام السوري، في نهاية شهر سباط (فبراير) بالتراجع إلى حدود نقاط المراقبة التركية، قبل أن يعدل عن تحذيره ويوافق بخطوط التماس الجديدة التي فرضها الرئيس بوتين، والقاضية بإحداث ممر أمني بعرض 12كم على طول طريق M4 وإعادة حركة الترانزيت على الطريق، وإبعاد الفصائل الراديكالية.

ذهب عبد المهدي وجاء الكاظمي وأزمات العراق باقية

الكاظمي وعبد المهدي

تابع العراقيون بإحباط، مراحل مفاوضات الكاظمي مع القوى السياسية، وطريقة المصادقة على حكومته في البرلمان عبر المساومات والابتزاز الذي تعرض له من قبلها.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

مع تصويت البرلمان العراقي، لحكومة جديدة برئاسة مصطفى الكاظمي، وإزاحة حكومة عادل عبد المهدي، بدأت مرحلة المواجهة الصعبة لتحديات وأزمات هائلة تنتظر الحكومة الجديدة.

فقد صوت البرلمان العراقي الخميس الماضي، على حكومة جديدة برئاسة مدير جهاز المخابرات مصطفى الكاظمي، بعد الموافقة على تمرير 15 وزيرا، في حين تم رفض 5 وزراء من أصل 22 وزيرا، مع بقاء وزارتي النفط والخارجية شاغرة، بسبب عدم اتفاق الكتل السياسية على المرشحين، حيث رفض البرلمان مرشحي وزارات التجارة والعدل والثقافة والزراعة والهجرة، كما تم تأجيل التصويت على وزيري الخارجية والنفط.

ولأن أحزاب السلطة تأبى أن تتخلى عن محاصصة الفساد في تقاسم الوزارات والمنافع، فإن مصطفى الكاظمي حرص على إرضاء الكتل السياسية، حيث كان للقوى الشيعية حصة الأسد من الوزارات كالمعتاد، فيما حصلت الكتل السنية على ست وزارات هي، الدفاع والتجارة والرياضة والصناعة والتخطيط والتربية، أما الكرد فقد حصلوا على ثلاث وزارات، هي الخارجية والإعمار والإسكان والعدل، بعد استبعاد وزير المالية السابق الكردي فؤاد حسين، المتهم بالانحياز إلى الإقليم ومنحه أكثر من استحقاقه في الميزانية.

وتابع العراقيون بإحباط، مراحل مفاوضات الكاظمي مع القوى السياسية، وطريقة المصادقة على حكومته في البرلمان عبر المساومات والابتزاز الذي تعرض له من قبلها، والتي ستبقى وصمة عار في جبين أحزاب السلطة، التي تركت مشاكل وأزمات البلد، واهتمت بالصراع على عدد الوزارات التي تنالها لدعم مكاتبها الاقتصادية ومواصلة نهب ثروات العراق.

ورغم تأكيد رئيس الحكومة العراقية الجديد، مصطفى الكاظمي على أنه سينفذ المنهاج الوزاري المحدد، وسيعمل على كسب ثقة ودعم الشعب، ودعوته القوى السياسية، للتكاتف لمواجهة التحديات الصعبة، فلا شك أن قائمة طويلة من المهام والتحديات تنتظر حكومته، أبرزها معالجة أزمة اقتصادية خانقة نتيجة انخفاض مريع لأسعار النفط تتطلب إعادة ترتيب أولويات الاقتصاد وإعداد ميزانية 2020 التي لم تقدم للبرلمان حتى الآن.

وإذا كان التحضير لانتخابات مبكرة، هو أول واجبات الحكومة الجديدة، وهي السابعة منذ 2003 فإن هناك أزمات لا تقبل التأجيل أو المماطلة لعل أبرزها الاستجابة إلى مطالب الشارع الغاضب الذي أطاح برئيس الحكومة السابق عادل عبد المهدي وقدم مئات الشهداء وآلاف الجرحى، والذي يطالب بإصلاح العملية السياسية لانقاذ البلد ومحاسبة قتلة المتظاهرين. وهناك الأزمة المالية المزمنة بين حكومتي بغداد وإقليم كردستان والتحديات الأمنية سواء بتصاعد الأعمال الإرهابية لتنظيم «داعش» أو تنامي مخاطر الفصائل المسلحة المتعددة الولاءات، والتعامل مع «الدولة العميقة» القادرة على التحكم بمصير الحكومات في العراق، عدا الموازنة شبه المستحيلة في الموقف من الصراع الإيراني والأمريكي في العراق.

وقد سبقت جلسة التصويت حملة لقوى شيعية هاجمت رسالة وجهها السفير الأمريكي لساسة العراق، للتعجيل بتمرير حكومة الكاظمي لمواجهة أزمات العراق، معتبرة ذلك تدخلا في شؤون البلاد! ولكنها في الوقت نفسه رحبت بوفد إيراني وصل إلى العاصمة، قبل ساعات من جلسة مجلس النواب للتصويت على كابينة الكاظمي، رغم أن هدف الزيارة واضح وهو إيصال رسالة مفادها أن دور إيران في تشكيل أي حكومة في العراق لا يمكن تجاهله.

ومع الترحيب الدولي (ممثلة الأمم المتحدة في العراق والولايات المتحدة وبريطانيا وإيران بالحكومة الجديدة، وحثها على استكمال تشكيلة وزرائها، لانجاز المهام التي تنتظرها، إلا أن قوى عراقية فاعلة تحفظت أو رفضت الحكومة الجديدة.

وقبل التصويت على حكومة الكاظمي، أكد ائتلاف الوطنية بقيادة أياد علاوي «أننا لن نمنح الثقة لهذه الحكومة بل وسنقاطع الجلسة النيابية المقررة وسنكون معارضين سلميين مع كل الوطنيين العراقيين في حال تمريرها» مبررا ذلك لأن « الكاظمي لم يراع المطالب الوطنية التي خرجت بها ساحات التظاهر، كما غاب عن حكومته تمثيل للمتظاهرين والنقابات والاتحادات المهنية».

وفي السياق ذاته، هددت تنسيقيات التظاهرات أنها وبرغم محاذير كورونا، ستواصل التظاهر لحين تحقيق مطالب المتظاهرين، فيما حذر بيان قبل تشكيل الحكومة، باسم «شباب انتفاضة تشرين» من «إن إنتاج حكومة بمواصفات وشروط غير التي أعلن عنها المتظاهرون يعني النزول للشارع مجددا، والذي سيكون أشد غضبا مما سبق» مؤكدا أن المتظاهرين سيواصلون «معركة الخلاص من زمر الإرهاب والفساد والطائفية». ومشددا على ضرورة محاسبة من تسبب بتراكم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

ولعل من المفيد التذكير بأن حكومة عادل عبد المهدي التي استمرت نحو سنة ونصف، اقتصرت إنجازاتها على تعميق الأزمات والاستسلام الأعمى لإرادة أحزاب السلطة والميليشيات والقيادات الكردية والإرادة الإيرانية. وتم في عهدها القصير تسليم ثروات البلد ومقدراته لمافيات الفساد والفصائل المسلحة، وأن سوء إدارتها للبلد فجرت غضب الشعب وأخرجته إلى الشوارع في تظاهرات عارمة فتصدت لها بالنار وقتلت 700 وجرحت نحو 25 ألف مدني لا ذنب لهم سوى المطالبة بالحقوق المشروعة وإنقاذ البلد.

أما مصطفى الكاظمي، فلا يمكن التغافل عن حقيقة انه لا ينتمي إلى كتلة سياسية قوية في البرلمان، ما يعني قدرة القوى السياسية على تهديده بخلق الأزمات أو حجب الثقة عن حكومته متى تعارضت سياسته مع مصالحها، وسط نفوذ متصاعد للفصائل المسلحة ذات الولاءات المتعددة، إضافة إلى تداعيات الصراع الإيراني الأمريكي على العراق، وبالتالي فالمتوقع أن حكومته ستكون كزورق صغير يبحر وسط العواصف الهوجاء، وأن مصيرها لن يكون أفضل من سابقاتها في العجز عن خدمة الشعب والبلد.

السنة الثانية والثلاثون العدد 9900 الأحد 10 آيار (مايو) 2020 – 17 رمضان 1441 هـ

الرزاز و«الخريف الغامض»

الأردن على موعد مع الاستحقاق الثلاثي

من شوارع عمان

قد يواجه الرزاز الامتحان الأهم في ورقة التعديل الوزاري السادس ويسجل نفسه أول رئيس وزراء في تاريخ الأردن الحديث يحظى بتفعيل قانون الدفاع وفرصة إجراء 6 تعديلات وزارية.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

تبدو الأجندة السياسية في الأردن قابلة للتوقع ما لم تحصل مفاجآت عندما يتعلق الأمر بانعكاسات أزمة فيروس كورونا ليس على الاقتصاد الأردني فقط ولكن على «الطاقم» الذي ينبغي أن يقود الخطط الاقتصادية في لحظات استثنائية.

في ملف الأجندة السياسية ثمة ثالوث هو الأهم: الانتخابات وعقدها، ومصير وبقاء الحكومة الحالية، والتعديل الوزاري.

ليس سرا في العاصمة الأردنية أن تلك المسائل الثلاث تشغل جميع الأطراف وتتعرض للتكهن بكل أصنافه السياسية والاقتصادية.

وليس سرا أن التجاذب في أوج سحره بين العديد من مراكز القوى خصوصا بعد شيوع مفردة «البانكرز» وعودة النشاط في الرأي والقول على جبهات معارضين أو معترضين بارزين مثل ليث الشبيلات أو حتى الدكتور مروان المعشر.

عمليا في الساحة المخصصة للملف الانتخابات بات من المرجح بعد صدور قرار ملكي يفض الدورة العادية أمس الأول، أن تعقد بعد شهر رمضان المبارك دورة استثنائية صغيرة لتمرير تشريعات عدة قبل الدخول في الاستحقاق الانتخابي.

هنا أنتج رئيس الهيئة المستقلة لإدارة الانتخابات الدكتور خالد كلالده عناصر الجدل الأبرز عندما صدر عنه موقفان تقريبا بصورة تحفز التذكير بوجود تقاطعات حيث أول تلميح في التصريح الأول لانتخابات «قد تجري في الخريف المقبل».

وتأكيد في الثاني على أن «تحديد السقف الزمني» للانتخابات منوط حصريا بجلالة الملك وصلاحياته.

يبدو أن كلالده وهو بساري حذر ونشط أصلا وجاهز كهيئة لإجراء الانتخابات بمجرد إعلانها، يتقصد رمي بالونات الاختبار في الساحة ويعكس عمليا وجود وجهتي نظر في مسألة الانتخابات تعتبران معا عقدها أو عدم عقدها في زمن فيروس كورونا رسالة مهمة بصرف النظر عن التوقيت.

ومعنى الكلام إجرائيا أن الخريف المقبل قد يكون الموعد الأولي المقرر للتحول نحو الانتخابات، الأمر الذي يعني أو قد يعني ضمنيا بأن الطامحون برحيل حكومة الرئيس الدكتور عمر الرزاز عليهم التريث قليلا لإن الرجل قد يشرف على الانتخابات الخريفية الجديدة وفقا طبعا لما يتسرب من معسكره الشخصي.

لكن لحصول ذلك لابد من شرطين موضوعيين.

الأول هو وجود وتنفيذ «خطة فعالة جدا» لاحتواء الانهيار الاقتصادي الصعب في ما بعد كورونا حيث صرح محمد العسعس وزير المالية بأن الأيام المقبلة «صعبة».

والثاني عدم حصول اضطراب كبير أو من الصعب احتواءه إقليميا إذا ما نفذ اليمين الإسرائيلي مشروعه بعنوان «ضم الضفة الغربية».

وفي مثل هذه الحالة يتأمل الرزاز أن تدخل حكومته الخريف المقبل وهي بحالة استرخاء وأن يحقق بالتالي حلمه القديم بالإشراف على الانتخابات المقبلة، ولحصول ذلك عليه أن يدعم خيارا يقضي بعدم حل البرلمان وتسليم البرلمان الحالي للبرلمان الجديد بعد الخريف، وعليه أيضا أن يقدم للقصر الملكي ورقة مقنعة فعلا بعنوان «تعديل وزاري» يعالج مظاهر العيب والقصور التي ظهرت عند الفريق الوزاري الحالي ومؤشرات الخلل بعد وخلال التعاطي مع أزمة الفيروس وتفاعلاتها.

لكن في الحقيقة وكما يرصد الناشط الإسلامي محمد خلف الحديد، لا أحد في الشعب الأردني يحفل أو يهتم أصلا بالانتخابات.

ويعني ذلك عمليا أن دوائر النخبة هي التي تهتم بالانتخابات مرحليا أكثر من الشارع والرأي العام لأنه وحسب الحديد «قشرة التمثيل والديمقراطية» لا تعني شيئا.

وعليه ليس من المبكر القول إن الرئيس الرزاز متقلب على الخيارات وينبغي له فعلا وخلافا لما يوحيه بعض الوزراء المقربين منه، أن يستعد بإنضاج ورقة تعديل وزاري تنقله مع طاقمه بأمان إلى مرحلة الخريف المقبل.

منطقيا إذا تقرر فعلا السماح للرزاز بإنجاز تعديل وزاري عليه أولا أن «يختار من متعدد» على طريقة امتحانات «التعليم عن بعد» بمعنى سياسيا «وضع دائرة حول الجواب الصحيح».

والجواب الصحيح هو على الأرجح المناورة الاقتصادية حيث أن إدارة المشهد الاقتصادي بأقل الخسائر هو المحور الأساسي بالنسبة للدولة ولمراكز القرار وليس معالجة مشاكل التواصل الشخصية عند الرزاز وبعض الوزراء أو تعبئة بعض الفراغات.

وها قد يواجه الرزاز الامتحان الأهم في ورقة التعديل الوزاري السادس ويسجل نفسه في الشريحة التالية؛ أول رئيس وزراء في تاريخ الأردن الحديث يحظى بتفعيل قانون الدفاع وفرصة إجراء 6 تعديلات وزارية قبل عبور عامين على تشكيله الحكومة.

الخريف الغامض مع نهايات العام الحالي باختصار هو خريف تفكيك كل أسرار المشهد السياسي الأردني حيث هوية وملامح كورونا أوضح وصعوبات الخسائر في موجتها الأولى ولدت والتحديات الاقتصادية صعبة جدا وحمالة أوجه. وحيث الملفات الثلاثة يمكن حسمها على أساس عدم المجازفة بحكومة جديدة طازجة يمكن أن تحرق بسرعة ومجانا لأسباب لها علاقة بالجوار الإقليمي وبأزمة محتملة أو بميزانية مالية جديدة ستكون معقدة وخشنة جدا وصعبة.

Volume 32 - Issue 9900 Sunday 10 May 2020

اليمن: من لم يمت بالحرب لقي حتفه بكورونا متلازمة الأزمات المتلاحقة

قوات حوثية في صنعاء

لم يستفق اليمنيون من قساوة آلة الحرب القاتلة، حتى باغتهم أخيرا وباء كورونا الذي يتم اكتشاف أعداد كبيرة من الحالات المصابة به يوميا وما خفي من الحالات كان أعظم.

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

«ومن لم يمت بالسيف ماتَ بغيره.. تعدّدت الأسبابُ والموتُ واحدُ» بهذا البيت الشهير للشاعر العربي ابن نُباتة السعدي، يتلخص الحال المزري في اليمن، الذي تتعاقب عليه المآسي والأزمات منذ اندلاع الحرب الراهنة نهاية العام 2014 التي أعقبت اجتياح الانقلابيين الحوثيين للعاصمة صنعاء في 21 أيلول (سبتمبر) وسيطرتهم على كل مفاصل الدولة ومؤسساتها العامة.

ما أن يتجرع اليمنيون أزمة حتى يبتلون بغيرها، أشد سوءا وأكثر قساوة منها، حتى وصل الحال إلى أن يتحسر الواحد منهم على الأزمة والمعاناة السابقة، لما يشهده من قساوة اللاحقة، حتى انتشرت في الأوساط الشعبية مقولة «سلام الله على عفّاش» أي سلام الله على فترة حكم الرئيس الراحل علي عبدالله صالح، رغم قساوتها تظل أرحم بكثير من الفترة التي جاءت بعدها، و(عفّاش) هو الاسم العائلي للرئيس صالح الذي ظهر للجمهور لأول مرة بعد تخليه عن السلطة، ربما كان يخفيه لانحداره إلى أسرة غير عريقة.

تجرّع اليمنيون المرارة تلو المرارة منذ اندلاع ثورة الشباب أو الثورة الشعبية ضد نظام الرئيس صالح في 2011 بعد أن فقدوا الأمل في إصلاح فساد نظامه، الذي امتد لنحو 33 سنة، وكان خروجهم للشارع لشعورهم بأن الحياة والموت أصبحا سيّان في ظل نظام فاسد، تفتقر فيه الحياة لأبسط حقوق المواطنة المتساوية.

انفجر الشارع حينها، وضحّى بالغالي والنفيس أملا منه في إحداث تغيير نحو الأفضل، ولكن أعقب نظام الرئيس صالح حكم الرئيس الحالي عبدربه منصور هادي، الذي وصل إلى السلطة عبر بوابة الثورة الشعبية، غير أنه خيّب آمال الشارع اليمني، رغم أنه الرئيس اليمني الوحيد الذي انتخب مباشرة من الشعب منذ الثورة اليمنية الأم في العام 1962 ضد نظام الإمامة حينذاك، وكان أضعف من أن يحكم بلدا ما زال محكوما بقبضة حديدية نسجها الرئيس صالح خلال فترة حكمه الطويلة لإذابة الولاء الوطني في مؤسسات الجيش وقوات الأمن واحتكارها بالولاء لشخصه ولأفراد عائلته وما هو أطلق عليه مصطلح «توريث الحكم».

منذ اندلاع الحرب في اليمن قبل نحو خمس سنوات ودخول السعودية على خط الأزمة في اليمن كقائدة للتحالف العربي الذي يضم الإمارات العربية أيضا، واليمنيون يعانون أشد المعاناة، يصل حد القتل بلا ثمن، والقتل لمجرد القتل، والقتل بدم بارد، على يد مختلف الأطراف وفي مقدمتهم ميليشيا الحوثي وقوات التحالف العربي والميليشيا التابعة لدولة الإمارات في المحافظات الجنوبية.

ظل اليمنيون خلال سنوات الحرب الراهنة يتجرعون الآلام والمعاناة ويقاسون أسوأ حالات البؤس وشظف العيش وقساوة الحياة، ورغم ذلك كانوا يحلمون بأن تنتهي الحرب قريبا على أمل أن يستعيد اليوم أنفاسه ويتعافى مما أثقل كاهله، ولكن كان كل يوم يمر من سنوات الحرب يشعرون فيه بأن الأمل يتبدد وأن «القادم أسوأ» لدرجة أنهم أصبحوا متعايشين مع موجات الحرب ومع حالات القتل اليومي هنا وهناك ومع فقدان الحبائب وكأنها حالة طبيعية، حيث لم يخل أي بيت في اليمن من فقدان عزيز أو رحيل حبيب.

وفي الوقت الذي لم يستفق فيه اليمنيون من قساوة آلة الحرب القاتلة التي تتسبب كل يوم بموت المدنيين هناك وهناك، حتى باغتهم أخيرا وباء فيروس كورونا الذي يتم اكتشاف أعداد كبيرة من الحالات المصابة به يوميا بشكل مخيف، وما خفي من الحالات كان أعظم، والذي يسوقهم إلى المقابر بشكل جماعي، لدرجة أصبح اليمنيون يشفقون على موجات الحرب ولسان حالهم يقول «سلام الله على سنوات الحرب».

حالة الرعب ودائرة اكتشاف انتشار فيروس كورونا تتوسع يوميا، بدأت من محافظة عدن، فالعاصمة صنعاء، فمحافظة حضرموت ثم محافظة تعز، وهناك تكتم حوثي شديد على انتشار حالاته في المحافظات التي يسيطر عليها ومنها صعده وذمار، لكن حالات الوفيات تفضحهم كل يوم كما هو الحال في العاصمة صنعاء التي خرج حالها عن سيطرة الحوثيين.

في محافظة عدن لوحدها كشف مصدر حكومي عن تسجيل عشرات الحالات من الوفيات يوميا التي يعتقد أن سببها وباء كورونا، حيث سجلت مصلحة الأحوال المدنية 174 حالة وفاة، خلال الأيام القليلة الماضية حتى مساء الجمعة، في حين أن صنعاء تشهد حالات وفيات ربما تتجاوز هذا العدد ولكن يختفي أثرها في ظل القبضة الحديدية للحوثيين التي تكتم أنفاس الناس قبل أن يصادرها فيروس كورونا، وصل حال الناس إلى أن يترحموا على الموت بواسطة آلات الحرب ولسان حالهم يقول «من لم يمت بالحرب، مات بفيروس كورونا».

لبنان: تمايز في الحسابات بين الحريري وجنبلاط وجعجع والعهد المستفيد الأكبر

ما يفرّق الحريري وجعجع وجنبلاط على المستوى الداخلي والتكتيكي يحول دون قيام جبهة مشتركة، وعدم توافقهم على إسقاط العهد أو مهادنته، أو فتح معركة مع حزب الله أو مهادنته.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

لا يزال اجتماع بعبدا الذي دعا إليه الرئيس اللبناني ميشال عون تحت عنوان «اللقاء المالي الوطني» لتأمين أوسع توافق حول الخطة الإصلاحية للحكومة اللبنانية التي طلبت مساعدة صندوق النقد الدولي محور الاهتمام في بيروت، وأكثر ما تمحورت حوله الأنظار هو مدى مشاركة المعارضة في هذا الاجتماع، حيث تباينت المقاربة بين كل طرف من هذه الأطراف ولاسيما رئيس «تيار المستقبل» الرئيس سعد الحريري ورئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط.

فالثلاثة يملكون كتلاً نيابية وحضوراً شعبياً واسعاً، والثلاثة قادرون على التأثير في الرأي العام وتغيير التوجهات العامة، لكن الثلاثة ومنذ إنفراط عقد 14 آذار/مارس التي جمعتهم في وجه الوصاية السورية، ومنذ التسوية الرئاسية وتحديدا التسوية بين الحريري ورئيس التيار الوطني الحر الوزير جبران باسيل وما تخللها من تعيينات وتقاسم للحصص على حساب القوات تحديداً تفرّقوا على زعل، وأغضب تقاسم الحصص جعجع الذي بدأ وزراؤه الأربعة يتمايزون في جلسات مجلس الوزراء إلى حين تقديم استقالاتهم فور اندلاع ثورة 17 تشرين الأول/أكتوبر، وصولاً إلى إمتناع نواب «تكتل الجمهورية القوية» الـ 15 عن تسمية الحريري لرئاسة الحكومة. فيما جنبلاط الذي كان من أوائل من تحدثوا عن «العهد الفاشل» حيّر حليفيه الحريري وجعجع بزياراته إلى رئيس الجمهورية في قصر بيت الدين، بعد حادثة البساتين ثم بإيفاد نجله تيمور إلى اللقلوق للقاء باسيل قبل أن يفاجئ الجميع يوم الاثنين الفائت بزيارة جديدة إلى قصر بعبدا التقى في خلالها عون ليعلن بعدها أن «لا علاقة لي بأحلاف ثنائية أو ثلاثية» وأن للزيارة «علاقة بحساباتي الخاصة».

وإذا كان الرئيس الحريري أول من أعلن مقاطعة اجتماع بعبدا من خلال بيان «لكتلة المستقبل» لفت «الانتباه إلى ممارسات وفتاوى سياسية وقانونية تتجاوز حدود الدستور لتكرّس مفهوم النظام الرئاسي على حساب النظام الديمقراطي البرلماني» وإذا كان الحريري توقّع على الأرجح من جنبلاط وجعجع أن يسلكا الطريق ذاته، إلا أن النتيجة كانت اعتذاراً لبقاً من جنبلاط عن عدم المشاركة لظرف صحي، ومشاركة لجعجع في اللحظات الأخيرة احتراماً للموقع الدستوري الذي تمثّله رئاسة الجمهورية وليس تأييداً للعهد وسياساته أو موافقة على السير بخطة الحكومة. ووصف بعضهم ذهاب جعجع إلى بعبدا والجلوس بين من حاولوا اغتياله جسدياً ومعنوياً ومن ثم الاطلالة على منبر القصر بأنها خطوة «لم يجرؤ عليها الآخرون» على الرغم مما اعترى هذه الزيارة من أخطاء بروتوكولية على طريقة «إحراج جعجع لإخراجه» ربما حيث لم يتم الأخذ بعين الاعتبار أقدمية جعجع كوزير سابق وترؤسه لحزب ولكتلة كبيرة ليكون مقعده ملاصقاً لرئيس مجلس النواب نبيه بري، بل إن كرسّيه كان حتى أبعد من كرسي الأمين العام لحزب الطاشناق أغوب بقرادونيان. وعلى هذا التصرّف ردّ مناصرو القوات مقتبسين عبارة قديمة لجعجع ونشروها على مواقع التواصل تؤكد أنه «حيث يجلس جعجع يكون رأس الطاولة».

وفي ضوء هذه المعطيات هل شعر سعد الحريري بالندم لعدم مشاركته في لقاء بعبدا أو بالامتعاض من سلوك حليفيه؟

الجواب القاطع على هذا التساؤل جاء من الحريري نفسه الذي أكد أنه «مرتاح» لعدم مشاركته في اجتماع القصر. «فالناس ملّوا الأقوال والكلام وهم ينتظرون الأفعال» على حد تعبيره. أما عن عدم وقوف حلفائه معه «فكل شخص حرّ بموقفه السياسي» ويقول «أنا لم أذهب إلى بعبدا، ليس لأن فلاناً ذهب أو فلاناً آخر لم يذهب، لكن لدي قناعة بأن الأمور لا تُحلّ بهذه الطريقة».

خلاصة القول إن ما يفرّق الحريري وجعجع وجنبلاط على المستوى الداخلي والتكتيكي يحول دون قيام جبهة مشتركة وطنية سياسية نظراً لتمايز كل طرف سياسي في رؤيته، وعدم توافقهم على أولوية إسقاط العهد أو مهادنته، وعدم توافقهم على فتح معركة مع حزب الله أو مهادنته، وإنطلاق كل فريق في مقاربته من حساباته السياسية، فالحريري ناقم على العهد والحكومة، وجنبلاط مهادن حالياً للعهد والحكومة من دون أن يعني ذلك أي استدارة، وجعجع لا ناقم ولا مهادن للعهد والحكومة مع علم الأفرقاء الثلاثة أن إسقاط عهد عون ليس بالأمر السهل، وهذا لا علاقة له بمقولة «العهد القوي» الذي تعرّض لهزّات كبيرة وإلى تطويق سياسي باستثناء الدعم المتأتي من حزب الله، فيما هو يستفيد من عدم تدعيم صفوف المعارضة وعدم توحّدهم في جبهة سياسية واحدة.

عون وديباب وبري

السنة الثانية والثلاثون العدد 9900 الأحد 10 آيار (مايو) 2020 – 17 رمضان 1441 هـ

مع تزايد «النيران الصديقة» من الغرب والشرق

حفتر ينجح في تأليب الحلفاء ضده

طرابلس وآثار قصف قوات حفتر

إخراج أنصار حفتر من سلسلة المدن الساحلية غرب طرابلس، وكسر الحصار عن العاصمة، أربكاه وحملاه على البحث عن مبادرة في المجال السياسي تُغطي على الهزيمة العسكرية.

رشيد خشانة

ترافقت سلسلة الهزائم العسكرية التي لحقت بقوات الجنرال المتقاعد خليفة حفتر، مع أخطاء سياسية ليست بالهينة، بل إن بعضها يمكن أن يُصنّف في خانة الأخطاء الاستراتيجية، وهو ما ستكون له تداعيات كبيرة على الصراع الدائر منذ أربع سنوات، بين حكومة الوفاق الوطني وما يُسمى «الجيش الوطني الليبي». ويمكن القول إن إخراج أنصار حفتر من سلسلة المدن الساحلية غرب طرابلس، وكسر الحصار عن العاصمة، أربكاه وحملاه على البحث عن «مبادرة» في المجال السياسي تُغطي على الهزيمة العسكرية. غير أن «المبادرة» أثارت في وجهه ردودا قوية، من أطراف وازنة في الصراع، مثل الأمم المتحدة، وحتى من جهات كانت تُجامله وتدعمه مثل فرنسا. وردا على إعلانه الأحادي بشأن إلغاء اتفاق الصخيرات (2015) أكد الناطق باسم الأمم المتحدة ستيفان دوجاريك أن الاتفاق والمؤسسات المنبثقة منه، تظل المرجع الوحيد لحل الأزمة الليبية، وأن «أي تغيير سياسي في ليبيا لا ينبغي أن يتم سوى باتباع مسار ديمقراطي وليس عسكريا».

توزيع أدوار؟

وإذا ما قُمنا بجردة حساب للمنهج السياسي الذي سلكه حفتر بين مؤتمر برلين في كانون الثاني/يناير الماضي وإعلان «استجابته» للمُناشدة التي توجه بها لنفسه، سنلحظ تخبُطا لا يمكن أن يرتكبه رجل سياسي محنك، فيُثير ضده عاصفة من الردود السلبية، ويُضيق من دائرة الداعمين له داخليا وخارجيا. وأول من استثارهم بـ«مبادرته» هم أعضاء مجلس النواب في المنطقة الشرقية، الذين كانوا رفّعوه إلى منصب «القائد العام» بشكل مخالف للدستور في 2016. واستطرادا استثار أيضا رئيس المجلس عقيلة صالح عيسى، الذي تباين مع خط حفتر، أقلّهُ ظاهريا، بطرح «مبادرة سياسية» تنطلق من المؤسسات المنبثقة من «اتفاق الصخيرات» ولا تُلغيه، مثلما فعل حفتر. وبغض الطرف عما إذا كان التباعد بين الرجلين توزيعا للأدوار أو خلافا حقيقيا، فإن الجنرال عمّق عزلته إذ لم يحصد من تنصيب نفسه حاكما عاما للبلد (على الورق) سوى إحراج حلفائه.

ومن دلائل قلة الحذاقة السياسية أن حفتر استهدف بمبادرته حلفاءه قبل أعدائه، فقد اقترح تعيين مجلس عسكري أو هيئة مدنية – عسكرية تحل محل مجلس النواب، خلال مرحلة انتقالية، وتُكلف بمهمة تسمية حكومة جديدة في شرق ليبيا، بديلا من الحكومة الحالية في الشرق، والتي يرأسها عبد الله الثني (غير معترف بها دوليا). وقد اتخذت من البيضاء (شرق) مقرا لها، قبل أن تنتقل إلى بنغازي في نيسان/أبريل الماضي.

نيران صديقة

وطالما لم يُصدق الليبيون على دستور جديد في استفتاء عام وحر وشفاف، فإن كلام حفتر هذا، يظل بلا سند قانوني، لأن المرجعية الوحيدة حاليا هي اتفاق الصخيرات. واستطرادا فإن الجنرال نزع الشرعية عمليا عن مجلس النواب، مع أنه يشكل الغطاء «الشرعي» الذي يستظل به، منذ أيلول/سبتمبر 2016 فكأنما هو يقطع الغصن الذي يجلس عليه. ومجلس النواب منبثق من الانتخابات العامة التي أجريت في تموز/يوليو 2014 لكنه لم يُحافظ على وجوده في العاصمة، بسبب كثرة المخاطر الأمنية، فنقله رئيسه عقيلة صالح إلى مدينة طبرق (شرق) اعتبارا من آب/أغسطس 2014 ثم إلى بنغازي منذ نيسان/أبريل 2019.

وبتعبير آخر، أصابت «النيران الصديقة» التي أطلقها حفتر حليفين من أقرب حلفائه، هما رئاسة مجلس النواب و«الحكومة المؤقتة» المرتبطة به. ويضم المجلس 160 عضوا من أصل 188 حصدوا مقاعد فيه خلال انتخابات حزيران/يونيو 2014 إلى جانب 145 عضوا يُشكلون المؤتمر الوطني العام، المنتهية ولايته، والمعادي أصلا لحفتر. وقد حافظ على مقره في العاصمة، منذ صائفة 2016. ومن المهم الإشارة هنا إلى أن إحدى نقاط الخلاف الكبرى بين حفتر وعقيلة صالح تتمثل في كون الثاني يدعو إلى الحوار مع طرابلس، بينما يرفض حفتر هذا الموقف بشدة. لكنه لا يستطيع أن يفعل برئيس البرلمان ما فعل بالنائبة سهام سيرقيوة، التي تعرضت للتعنيف والاختطاف من بيتها في بنغازي، لأنها «جاهرت» بتأييد الحوار مع طرابلس.

لجنة الستين

وتكرس تباعدٌ آخر من خلال كلمة الجنرال يوم 23 الشهر الماضي، وهو التباعد مع لجنة إعداد الدستور هذه المرة، (أو لجنة الستين) التي تمثلت فيها جميع الأقاليم، والتي اشتغلت على مدى سنوات، لإعداد مشروع دستور ديمقراطي، إذ طالب بوضع إعلان دستوري جديد، ما يُعتبر تسفيها لأعضاء اللجنة. وفي السياق كشفت مجموعة الخبراء الدوليين، التي أعدت التقرير الأخير عن ليبيا وسلمته إلى مجلس الأمن، أن العلاقات بين قوات حفتر ونظرائهم (المرتزقة) بدأت تتوتر، «فحتى بعد عام على انتشارهم، ما زالت هناك خلافات مستمرة بين الطرفين» حسب ما ورد في التقرير.

هكذا وضع حفتر نفسه في مواجهة مع هؤلاء جميعا، بسبب افتقاره للخبرة السياسية وطغيان الأسلوب العسكري على قراراته ومواقفه. كما خسر أيضا ثقة الروس الذين استثمر بهم في الأوقات الحرجة، وخاصة عندما كانت طرابلس على وشك السقوط تحت ضرباتهم العسكرية المركزة، وها أن موسكو وجهت له ضربة معنوية بإعلانها الخميس الماضي رفضها مبادرته، وكذلك فعلت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.

بنغازي دمشق

أكثر من ذلك، خرجت الأمم المتحدة عن تحفظها السابق، ووجهت إصبع الاتهام إلى حفتر، من خلال تقرير تسلمه مجلس الأمن يوم 24 نيسان/أبريل الماضي، مفاده أن مرتزقة من مجموعة «فاغنر» الأمنية الروسية ومقاتلين (مرتزقة) سوريين أتوا من دمشق لدعم قوات الجنرال. وما يؤكد هذه العلاقة الوثيقة إرسال وفد من جماعة حفتر إلى سوريا أخيرا، لمناسبة معاودة فتح السفارة الليبية في دمشق، في بداية آذار/مارس الماضي، بعد ثماني سنوات من قطع العلاقات الدبلوماسية بين ليبيا وسوريا. وفي هذا المسلك الأحادي سار حفتر على خطى الإمارات ومصر، اللتين أعادتا العلاقات مع نظام بشار الأسد. لكنه وسّع بهذه الخطوة من دائرة منتقديه، على جبهة أخرى، إذ أغضبت علاقاته العلنية مع الأسد، كلا من الولايات المتحدة وأوروبا، خاصة بعد الاتفاق على إرسال مرتزقة من «شبيحة» النظام إلى ليبيا لدعم مقاتليه. وقدر تقرير أممي عدد المرتزقة السوريين المحاربين إلى جانب حفتر بحوالي ألفي عنصر. وأفاد التقرير أنه تم نقلهم إلى ليبيا من سوريا عبر 33 رحلة جوية قامت بها، منذ الأول من كانون الثاني/يناير الماضي، شركة «أجنحة الشام» وهي ناقلة سورية خاصة، مقرّها في دمشق.

مقلب للمرتزقة

الأدهى من ذلك أن المسافة أخذت بالتباعد بين حفتر والمرتزقة أنفسهم، مع تزايد الشكوى من وقوعهم في مقلب، إذ وعدهم الوسطاء بأن يقتصر «عملهم» في ليبيا على تأمين المنشآت النفطية، التي يسيطر عليها حفتر، في المنطقة الشرقية، فوجدوا أنفسهم يقاتلون دفاعا عنه ويموتون من أجله. وبعدما وُعدوا بتقاضي راتب شهري قيمته 2000 دولار، لم يحصلوا في الواقع سوى على 200 دولار شهريا. وبالتالي أصابت عدوى الخلافات علاقة حفتر بالمرتزقة الروس أيضا، مثلما أكد ذلك تقرير أعده خبراء في الأمم المتحدة، يراقبون الحظر المفروض على شحن الأسلحة إلى ليبيا.

ومع تزايد أعداد المرتزقة، الذين يعتمد عليهم حفتر، سواء أكانوا من الروس، الذين يتراوح عددهم بين 800 و1200 عنصر، أم من المرتزقة السوريين، فضلا عن مرتزقة الجنجويد والتشاديين، يتساءل مراقبون: أين «جيش» حفتر؟ وما دوره في الصراع، وخاصة في حرب طرابلس، التي لم تُحقق فيها قواته تقدما في التخوم الجنوبية إلا بعد وصول تعزيزات من مرتزقة «فاغنر»؟ وأكدت صحيفتا «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» منذ 2019 أن مرتزقة من «فاغنر» يشاركون في القتال الذي كان دائرا في طرابلس، قبل الهزيمة الأخيرة لحفتر.

بهذا المعنى بات اعتمادُ حفتر الأساسي على قوى خارجية، من جنسيات مختلفة، بينما صار الليبيون أقلية في «جيشه». ومن هنا نفهم حقيقة «التفويض الشعبي» (غير الموجود أصلا) الذي استند عليه، ليُنصب نفسه بنفسه، حاكما لليبيا يوم 27 نيسان/أبريل الماضي، فهو لن يظفر بهكذا تفويض، حتى من المرتزقة الذين يدفع لهم المال ليدعموه. واستطرادا سيكون الاعتماد الأكبر في حال التمادي في «حرب طرابلس» على قوى أجنبية، مع أن المقاتلين الأجانب يجهلون خصائص البيئة الليبية التي يحاربون فيها. بهذه الجبهات المتعددة التي فتحها حفتر شرقا وغربا، في الداخل والخارج، تضاعفت عُزلته وانهارت أسهمه لدى الأصدقاء، باعتباره حليفا مُزعجا وخارجا عن المنطق السياسي المشترك.

ثلاثة دوافع

على الطرف المقابل، تعتمد حكومة الوفاق الوطني بدورها على دعم خارجي من تركيا، بالسلاح والعتاد والخبراء. ويقول الباحث في الشؤون الليبية جلال حرشاوي إن أنقرة أرسلت إلى حلفائها في ليبيا 20 طائرة مسيرة تركية، في الفترة بين مايو/أيار وتشرين الأول/أكتوبر الماضيين، إضافة إلى 60 ضابطا تركيا لتشغيلها وصيانتها. وأوضح حرشاوي أن هذا الدعم توقف على مدى أسابيع قبل أن يُستأنف في كانون الأول/ديسمبر. وكانت تركيا أكدت في شباط/فبراير الماضي وجود مقاتلين سوريين مدعومين من قبلها في ليبيا لدعم حكومة الوفاق الوطني. كما ضبط اليونانيون في كانون الثاني/يناير 2018 السفينة «أندروميدا» وعليها علم تنزانيا، بينما كانت تحمل 29 حاوية من الأسلحة والمتفجرات، متجهة إلى مصراتة. ويُقدر مطلعون على مجريات الصراع عدد المقاتلين الذين أرسلتهم تركيا إلى ليبيا بثلاثة آلاف مقاتل، غالبيتهم من التركمان. وأوضحت أن الفرد منهم يتقاضى حوالي ألفي دولار في الشهر. لكن العلاقات الليبية التركية أعمق وأعقد من مجرد إرسال أسلحة وطائرات موجهة. ويعزو الباحث حرشاوي دعم تركيا لحكومة الوفاق إلى ثلاثة دوافع، أولها دافع اقتصادي يعود إلى فترة حكم معمر القذافي، إذ كان الأتراك العاملون في ليبيا، يُمثلون 25 في المئة من الأتراك العاملين في الدول العربية، والثاني تجاري، إذ أن قيمة العقود بين تركيا وليبيا، لإقامة مشاريع البنية التحتية، والتي ما زالت سارية إلى اليوم تُقدر بـ18 مليار دولار، وإذا ما انتصر حفتر فستخسر تركيا كل تلك الصفقات. أما الدافع الثالث فأيديولوجي نظرا لتشابه المرجعيات الفكرية بين الأطراف الليبية الداعمة لحكومة الوفاق في طرابلس وحزب العدالة والتنمية الإسلامي الحاكم في تركيا.

مع ذلك اعتبر رئيس حكومة الوفاق فائز السراج في تصريح لصحيفة إيطالية، الجمعة، أن عملية «إيريني» البحرية، التي أطلقها الاتحاد الأوروبي، لمراقبة إرسال السلاح إلى ليبيا، ستمكن غريمه حفتر من الاستمرار في تلقي السلاح عبر البر والجو. والأرجح أن فترة الهدنة الهشة الحالية ستكون مثل سابقاتها، فرصة للطرفين لتعزيز المواقع ومعاودة تنظيم القوات استعدادا لمعارك مقبلة.

Volume 32 - Issue 9900 Sunday 10 May 2020

سبقه السفير فريدمان بتصريحات صهيونية

مايك بومبيو يلتقي نتنياهو الأربعاء وخارجيته تؤكد «موقفنا من الضم لم يتغير»

نتنياهو وبومبيو

تأتي الزيارة في الوقت الذي تبارك فيه إدارة الرئيس دونالد ترامب خطط نتنياهو ضم أجزاء كبيرة من الضفة الغربية المحتلة استنادا لـ «صفقة القرن».

الناصرة–«القدس العربي»: وديع عواودة

تزامنا مع تنصيب حكومة الاحتلال يوم الأربعاء القريب، سيزور وزير خارجية الولايات المتحدة مايك بومبيو إسرائيل وسبقه سفيرها في القدس المحتلة ديفيد فريدمان بتصريحات صهيونية استيطانية قال فيها إن الضم في الضفة الغربية سيتم خلال أسابيع. وقال بيان لوزارة الخارجية الأمريكية إنّ «بومبيو سيلتقي رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ورئيس الكنيست بيني غانتس في القدس من أجل التباحث في الجهود الأمريكية والإسرائيلية لمكافحة وباء كورونا ومسائل الأمن الإقليمي ذات الصلة بتأثير إيران السلبي». واتفق رئيسا «الليكود» بنيامين نتنياهو، و«أزرق–أبيض» بيني غانتس على أن تؤدي الحكومة الإسرائيلية الجديدة اليمين الدستورية، الأربعاء المقبل. وأعلن وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، الجمعة، أنه سيستأنف جولاته الخارجية، ليكون بذلك واحداً من بين أوائل المسؤولين الدوليين الذين يستأنفون جولاتهم الخارجية رغم تفشي فيروس كورونا. وتأتي الزيارة في الوقت الذي تبارك فيه إدارة الرئيس دونالد ترامب خطط نتنياهو ضم أجزاء كبيرة من الضفة الغربية المحتلة استنادا لـ «صفقة القرن». وقالت وزارة الخارجية الأمريكية في بيان، إن كبير الدبلوماسيين الأمريكيين «سيناقش الجهود الأمريكية والإسرائيلية لمكافحة جائحة كوفيد–19 فضلا عن قضايا الأمن الإقليمي المتعلقة بالنفوذ الإيراني الخبيث» منوهة ان موقف واشنطن من مسألة ضم مناطق في الضفة الغربية للسيادة الإسرائيلية لم يتغير. وردا على سؤال أعرب فريدمان عن أمله بأن يصدق جو بايدين بتصريحاته بأنه بحال انتخب رئيسا للولايات المتحدة فسيثبت سفارة بلاده في القدس، وتابع «لكن بنظرتي للتاريخ اليهودي ليس ممكنا أخذ أي شيء كمفهوم ضمنا». وردا على هل سيعطي بومبيو لإسرائيل «الضوء الأخضر» لإعلان السيادة على مناطق فلسطينية محتلة، غير أن عمل اللجنة المشتركة لترسيم الحدود لا يزال مستمرا. وزعم مساعد وزير الخارجية الأمريكي ان الولايات المتحدة ما زالت في انتظار اليوم الذي تعلن فيه القيادة الفلسطينية قبولها للتحاور مع مسؤولين أمريكيين رسميين.

وكان السفير الأمريكي في القدس المحتلة ديفيد فريدمان قد كرر مواقفه الصهيونية التي تتناقض مع القانون الدولي والأعراف الدبلوماسية وقال في مقابلة صحافية جديدة إن «من غير المنطقي أن تتنازل إسرائيل عن الخليل وبيت إيل تماما، كما أن الولايات المتحدة لا تتنازل عن تمثال الحرية في نيويورك». في حديث موسع لصحيفة «يسرائيل هيوم» التي تعتبر بوقا لرئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو. وصرح فريدمان أمس الأول إن إعلان السيادة الإسرائيلية في الضفة الغربية هي مسألة أسابيع، زاعما أنه تمت مضاعفة منطقتي «أيه» و«بي» وأن «على اليمين الاعتياد على الحياة مع دولة فلسطينية ستقوم بحال تحول الفلسطينيون إلى كنديين». يشار إلى أن فريدمان المعروف بمواقفه الصهيونية ودعمه المباشر للمستوطنين كرس سنته الأولى كسفير في دولة الاحتلال عام 2017 من أجل نقل السفارة من تل أبيب إلى القدس وفي 2018 ركّز على الاعتراف الأمريكي بالجولان السوري المحتل وفي العام 2019 و2020 يواصل سعيه لدفع «صفقة القرن» وكل ذلك بدعم أصدقاء إسرائيل الكثر داخل البيت الأبيض، كما توضح «يسرائيل هيوم» التي تنقل عنه قوله الختامي إنه فعل ما عليه و«باتت الكرة الآن في الملعب الإسرائيلي». وردا على سؤال أعرب فريدمان عن أمله بأن يصدق جو بايدين بتصريحاته بأنه بحال انتخب رئيسا للولايات المتحدة فسيثبت سفارة بلاده في القدس، وتابع «لكن بنظرتي للتاريخ اليهودي ليس ممكنا أخذ أي شيء كمفهوم ضمنا». وردا على سؤال ماذا ربحت الولايات المتحدة من نقلها السفارة للقدس قال فريدمان إن الخطوة أثلجت صدره بسبب دعمها من قبل الإسرائيليين، لافتا إلى أن بلاده لا تنظر للموضوع هكذا لأن ليس كل شيء في الحياة هو «مال وأعمال» وتابع «أحيانا يتم إنجاز أشياء لأنها ببساطة هي الأمر السليم ولأنه ينبغي الوفاء بالوعود، ومع ذلك اعتقد أن نقل السفارة عززت مكانة الرئيس ترامب كرجل يحترم عهوده ولا يبتعد عن حلفائه ولا يخشى أعداءه أو انتقادات، وهذا ساعده في إدارة السياسات في جبهات دبلوماسية أخرى».

غواتيمالا فقط

ولكن غواتيمالا فقط نقلت سفارتها من تل أبيب للقدس ألا يسبب ذلك خيبة أمل؟ على هذا السؤال قال فريدمان إن هذا يعكس أولا أنه لا توجد صديقة لإسرائيل أوفى من أمريكا، لافتا لوجود دول أخرى تدرس نقل سفارتها لكن هذا يستغرق وقتا وتابع «أؤمن أن عددا من دول شرق أوروبا كانت ستتقدم بهذا الاتجاه لولا موقف الاتحاد الأوروبي الذي أنذرها ولكن بنهاية المطاف ستزى دولا أخرى ربما من أمريكا الجنوبية وآسيا وتدور أحاديث طويلة حول ذلك». وأوضح أنه لم يتخذ قرارا بعد حول إبقاء السفارة في موقعها الحالي أو نقلها لمكان آخر في القدس في طريق الخليل، وقال إن هناك تدارسا بإمكانية ضم القنصلية في شرقي القدس والسفارة في غربها لبناية واحدة جديدة. وبشأن أجندة الضم قال فريدمان، إن هناك اتفاقا لاستكمال إعداد خرائط واستجماع التفاصيل أولا وإنه عند الانتهاء من ذلك وعندما تكون حكومة إسرائيل موافقة لتجميد المنطقة «سي» غير المعدة للضم لأربع سنوات وتوافق على مفاوضات مع السلطة الفلسطينية على أساس صفقة القرن، عندئذ ستعترف واشنطن بإحالة السيادة على المناطق الواردة في الخطة الأمريكية ولن تكون شروط أمريكية جديدة مثلما أن نص الخطة المذكورة لن يتغير». وحول المساعي لإعداد الخرائط الخاصة بالضم من قبل لجنة أمريكية–إسرائيلية مشتركة قال فريدمان، إن المهمة ملقاة بالأساس على إسرائيل وهي التي تحتاج أن تقرر ما هو جيد لها، وأضاف «المبدأ هو ألا يزيد الضم عن 50 في المئة من منطقة «سي» أي 30 في المئة من الضفة الغربية، والأمر واضح للجميع خاصة للجانب الإسرائيلي أننا نريد أن نكون جاهزين من هذه الناحية حتى الأول من تموز/يوليو المقبل، وعمليا الفلسطينيون حتى الآن يرفضون الجلوس حول طاولة مفاوضات».

وما رأيك بمن يقول إن حلم الرئيس ترامب بالسلام قد قتل السلام؟

«لا نقبل هذه المقولة أبدا، فما فعلناه هو فقد خصصنا للفلسطينيين مساحة مضاعفة مما لديهم اليوم داخل المنطقة «سي» وقد أنشأنا اتصالا جغرافيا لهم بين الضفة وبين قطاع غزة على فرض أن يقوم شعب فلسطيني موحد يوما ما. هذا إنجاز كبير وتنازل لم تكن إسرائيل مضطرة عليه، وفي البداية أنتجنا بنى تحتية لصندوق اقتصادي بحال قدم الفلسطينيون لمفاوضات وعرفّنا التغييرات المطلوبة كي تنجح العملية هذه ونحن لا نتجاهل الحقيقة أن الفلسطينيين يواصلون دفع رواتب للإرهابيين. هناك فرصة كبيرة ومعظم دول العالم تقر بذلك. والوحيدون الذين يتشبثون بالطريق القديمة يفعلون ذلك لاعتبارات الكبرياء الشخصي والانتماء للطرق القديمة التي فشلت وأغلبية أمم المعمورة لم تتدد بالخطة بل تلقينا ردودا رائعة من الكثير منها ومن بينها دول في المنطقة».

في المقابل أن تسمع انتقادات في اليمين الإسرائيلي لك ولنتنياهو أيضا بأنكما تقيمان دولة فلسطينية؟ على هذا السؤال يقول فريدمان بشكل غير مباشر إن دولة فلسطينية لن تقوم عبر إجابته التالية: «كانت لي أحاديث كثيرة مع رجال اليمين واحترم رأيهم وأنا شريك لهم في أبعاد كثيرة لكن هذه هي الحقائق: لا يوجد من يريد إحالة السيادة على كل الضفة الغربية ومنح سكانها الفلسطينيين مواطنة. ثانيا لا توجد طريقة في العالم الحديث أن تقوم دولة–خاصة دولة رائعة كإسرائيل–بإنتاج طبقتين من المواطنين، واحدة تشارك في التصويت وأخرى لا تشارك. هذا غير ممكن. ولذا السؤال الحقيقي هو ماذا يريد رجال اليمين؟ أفهم أنهم لا يستطيعون الموافقة على دولة فلسطينية لكن حسب الخطة الأمريكية ليس هكذا تبدو الدولة الفلسطينية. إنما أنتم تحتاجون للتعايش مع دولة فلسطينية. بحال تحول الفلسطينيون إلى كنديين ستختفي كل هذه المشاكل. في الماضي وافقت طواقم مفاوضات أمريكية على تجاهل مخاطر العيش بجوار الفلسطينيين، لكننا اليوم لن نتجاهل وبحال لم ينزعوا سلاحهم ويواصلوا تهريبه كما يفعلون في غزة ولم يتبنوا إصلاحات حيوية–فلن نسمح بمرور ذلك. كذلك بحال لم يلتزم الفلسطينيون بكل الخطوط الجوهرية المفصلة في الخطة بوضوح فسنكون آخر من يدفع إسرائيل نحو الزاوية كي تعترف بدولة فلسطينية وعمليا نحن أيضا لن نعترف بها».

حدث الأسبوع

جدلية القوة والتغيير في الصراع الأمريكي - الصيني

إبراهيم نوار

حاول الرئيس الأمريكي أن يصطاد الصين بمصيدة فيروس كورونا فوقع هو فيها. ترامب وجه اتهامات للصين بأنها صنعت الفيروس في أحد مختبرات الأبحاث البيولوجية في ووهان. وأعلنت الصين قبولها إجراء استقصاء دولي بشأن وباء كورونا، لكنها رفضت تسييس الفيروس، وطلبت ان يتم الاستقصاء بواسطة جهة علمية مستقلة لا علاقة لها بالسياسة.

وبينما ما زال الجدل دائرا بين واشنطن وبكين، فإن جامعات ومراكز للبحوث الطبية في الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا واليابان، أعلنت خلال الأسبوع الأول من أيار/مايو نتائج عدد من الدراسات التي تؤكد ان فيروس كورونا كان موجودا في الولايات المتحدة وأوروبا وأماكن أخرى من العالم قبل أن يكتشفه العلماء والأطباء الصينيون في كانون الأول/ديسمبر من العام الماضي. كما أعلن مكتب عمليات المخابرات الأمريكية عدم وجود دلائل تشير إلى ان الفيروس تم تصنيعه وإطلاقه، أو أنه تسرب بطريق الخطأ من معامل ووهان ليصيب الإنسان، وينتشر في كل أنحاء العالم.

منظمة الصحة العالمية أيضا استبعدت فرضية أن الفيروس تم تخليقه أو تحوير خصائصه الوراثية مختبريا، وقال مديرها إن الأمر يحتاج إلى استقصاء علمي وليس إطلاق اتهامات سياسية قد تؤدي إلى إعاقة الجهود العالمي لمكافحة الوباء. كما وجهت المنظمة نداء إلى كل الدول الأعضاء بمراجعة حالات الوفيات الغامضة بسبب مشاكل في الجهاز التنفسي خلال الأسابيع القليلة السابقة على اكتشاف فيروس كوفيد-19 في ووهان. الشعور القوى في الصين تجاه الاتهامات الأمريكية هو أن الإدارة بقيادة دونالد ترامب، بسبب فشلها صحيا واقتصاديا في مواجهة الوباء تسعى لابتزاز الصين واستخدامها لمساندة الاقتصاد الأمريكي المتهاوي، خصوصا بعد أن ارتفع رقم طالبي إعانات البطالة إلى 33 مليون شخص وتوقعات الكساد الاقتصادي. وقد أضاف ترامب إلى اتهاماته للصين تهديدات بفرض رسوم تجارية انتقامية على الواردات إذا ثبت أنها لم تنفذ اتفاق المرحلة الأولى من عملية تسوية الحرب التجارية بين الطرفين الذي تم التوصل إليه في كانون الثاني/يناير الماضي. وقالت الصين انها جادة في تنفيذ الاتفاق لكن الصعوبات الاقتصادية في الولايات المتحدة تحول دون توفر السلع التي تستوردها الصين من السوق الأمريكية. وضرب الصينيون مثالا بوارداتهم من اللحوم قائلين، إن إغلاق نسبة كبيرة من المجازر بسبب كورونا أدى إلى نقص الواردات منها. وقد سجلت التجارة المتبادلة بين الطرفين انخفاضا بنسبة 13 في المئة تقريبا في نيسان/أبريل، حيث تراجعت واردات الصين بنسبة 3 في المئة وهبطت صادراتها للولايات المتحدة بنسبة 14 في المئة تقريبا على أساس سنوي.

بكين بعد الحجر المنزلي

ولم تتوقف الحملة الأمريكية ضد الصين على التهديد بفرض رسوم جمركية انتقامية، وإنما تضغط واشنطن على حلفائها حول العالم من أجل تقليص علاقاتهم التجارية والتكنولوجية مع الصين، وترويج فكرة كونها مصدر فيروس كورونا ويجب أن تخضع لعقوبات دولية وأن تدفع تعويضات لضحايا الوباء والخسائر الاقتصادية التي ترتبت عليه. أجهزة المخابرات الأمريكية حركت عملاء لها على مستوى العالم لرفع دعاوى قضائية تطالب الصين بدفع تعويضات تقدر بتريليونات الدولارات بدعوى مسؤوليتها عن إصابة العالم بوباء كورونا. وبدأت حملة في هذا الخصوص بدعوى رفعها محام أمريكي في محكمة إحدى الولايات، ثم انتشرت في أنحاء مختلفة من العالم منها الهند ودول أخرى!

تعافي الصين

في المقابل فإن الصين خرجت من الوباء وتتعافى الآن بجهودها الذاتية، بينما الولايات المتحدة أصبحت أكثر الدول إصابة بالفيروس، حيث تستحوذ على ما يقرب من ثلث الإصابات والوفيات. كذلك حققت الصين إنجازات مبهرة على صعيد تطوير أدوية ولقاحات لعلاج الإصابة بالفيروس أو الوقاية منه. على سبيل المثال فإن المختبرات الصينية أنتجت وحدها أربعة لقاحات دخلت حيز التجارب الإكلينيكية، وهو ما يزيد عما انتجته كل دول العالم المتقدمة بما فيها الولايات المتحدة التي أنتجت ثلاثة لقاحات فقط دخلت إلى حيز التجارب الاكلينيكية، منها لقاح واحد في بريطانيا، وواحد في الولايات المتحدة، وثالث يتم تطويره مشاركة بين ألمانيا والولايات المتحدة.

انتقال محور القوة شرقا

الحرب الأمريكية على الصين تحمل في طياتها مصلحة مباشرة للرئيس الأمريكي الذي يسعى لإعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية في تشرين الثاني/نوفمبر المقبل، وذلك بتأجيج المشاعر القومية ضد عدو خارجي، وتعبئة الصوت القومي للأمريكيين البيض لمصلحته كما فعل في انتخابات 2016. لكن هذه المصلحة المباشرة تخفي وراءها تحولات عميقة على المستوى العالمي تتجاوز كثيرا حدود الغبار الذي يثيره الجدل حول كورونا أو فوز الرئيس في الانتخابات.

ويعتبر صعود الصين في القرن الواحد والعشرين علامة فارقة في تاريخ البشرية، وتحولا جيوستراتيجيا جوهريا في العلاقات الدولية، سيمتد تأثيره لعقود طويلة مقبلة. ويأتي هذا الصعود في ظل تحولات عالمية واسعة النطاق في هيكل القوة، وتنظيم الإنتاج، وأدوات ممارسة العلاقات الدولية، حيث ينتقل محور القوة عموما من الغرب إلى الشرق، وتنتقل أساليب تنظيم الإنتاج من تقسيم العمل التقليدي إلى سيادة شبكات المعلومات وسلاسل صنع القيمة، ويتراجع دور الحكومات في صنع العلاقات العالمية لصالح زيادة دور التنظيمات غير الحكومية من الشركات المتعددة الجنسية العملاقة إلى منظمات العمل الأهلي ذات الدور العالمي، ويتحول العالم كله بسرعة إلى التكنولوجيا الرقمية في كل مجالات الحياة.

ومن ثم فإن ما نشهده حاليا من صراع بين الولايات المتحدة والصين لا يجوز اختصاره في تناقض المصالح بين دولتين، لكل منهما نظامها الاقتصادي والسياسي ومنظومة القيم ذات الأسس والأهداف الإنسانية المختلفة.

وقد كتبت في هذه الصحيفة في حزيران/يونيو الماضي أن الصراع بين القوتين الأعظم في الصين، وإقامة قواعد الصواريخ بالقرب من الحدود الصينية، وكذلك استخدام قوى إقليمية أو دول مجاورة للصين في ممارسة سياسات عدائية داخل الإقليم، منها فيتنام والهند وتايوان. كما توجه الولايات المتحدة سهامها إلى نظام الحكم والحزب الشيوعي وتتهمه بمصادرة الحريات المدنية وممارسة الاستبداد. ويعتبر الهجوم على الحزب الشيوعي الصيني، وعلى منظومة القيم ككل، إلى دور تغليب المصالح الأمريكية على ما عداها، بما في ذلك مصالح حلفائها في حلف الأطلنطي. فقد خاض ترامب حملته الانتخابية على أساس شعار «أمريكا أولا» وهو الآن يخوض حملته الثانية على أساس الشعار نفسه. وقد اعتبر فوزه تفويضا له بتغيير استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة وسياستها الخارجية. وبناء على ذلك فقد أصدر توجيهاته لمساعديه في مجلس الأمن القومي بإعداد استراتيجية جديدة على أساس شعاره الانتخابي، واستغرق الإعداد حوالي 11 شهرا حتى صدرت في كانون الأول/ديسمبر 2017.

يقول عالم السياسة الأمريكي جوزيف ناي إن هذا الشعار يعني عمليا إدارة السياسة الخارجية للولايات المتحدة بمنطق تحقيق المصالح الأمريكية على حساب الآخرين. وقد رأينا بالفعل خلال أزمة فيروس كورونا أن الرئيس الأمريكي وكل أجهزة إدارته، كانوا يعملون لصالح الولايات المتحدة فقط. ووصل تطبيق مبدأ «أمريكا أولا» إلى حد القرصنة على شحنات أدوية ومستلزمات طبية كانت في طريقها إلى دول حليفة مثل كندا وألمانيا وفرنسا، ما أثار غضبا بين شعوب وحكام تلك الدول. كذلك لا يخفي الرئيس الأمريكي رغبته في احتكار أدوية كورونا المستجد، واستخدامها كسلاح سياسي لفرض سيطرة الولايات المتحدة على صحة العالم.

وقد أدت السياسة الخارجية للولايات المتحدة في عهد ترامب إلى تراجع مكانتها الدولية من المركز الأول في جدول القوة الناعمة على مستوى العالم عام 2016 إلى المركز الخامس في عام 2019. وهي مستمرة في التراجع.

هذا التدهور في المكانة العالمية للولايات المتحدة ليس من صنع الصين، ولا علاقة له بارتفاع مكانتها، بل يرتبط مباشرة بضعف القدرات الذاتية وبتحولات في السياسة الأمريكية نفسها، تجاه حلفائها وخصومها في آن واحد؛ فإذا أضفنا لذلك التحولات التي تجتاح العالم، وبمقارنة ذلك بمقدار التحولات الهائلة التي تحققها الصين سندرك على الفور لماذا نشهد بداية أفول القوة الأمريكية. لكن هذا لا يعني نهاية أمريكا كواحدة من القوى الرئيسية في العالم، فهي ما تزال الأكثر تأثيرا حتى الآن في ميادين الثقافة والتعليم والتكنولوجيا الرقمية، إضافة إلى أهمية قوتها العسكرية والاقتصادية.

أسلحة الصين السحرية

الصين في المقابل تخوض صراعها مع الولايات المتحدة وهي مسلحة بثلاثة أسلحة رئيسية، الأول انها واعية بكل العالم حاليا هو أكبر بكثير من مجرد حرب تجارية تشنها أمريكا على الصين، وقلت إنها حرب باردة جديدة، تخوضها الولايات المتحدة بأسلحة الحرب الباردة التقليدية، التي خاضتها ضد روسيا السوفييتية، وهي في حربها ضد الصين تستدعي خبرتها السابقة وتستعين بالأدوات نفسها التي استعانت بها في الانتصار على الروس، ولا تقدم جديدا.

وتتضمن حقيبة أدوات الصراع استخدام جماعات منشقة من أجل إثارة الاضطرابات في الصين، كما هو الحال في دعمها للاحتجاجات السياسية في هونغ كونغ، وممارسة استفزازات عسكرية ضد الصين كما يحدث في بحر الصين الجنوبي، ليس بغرض استدراجها لمواجهة عسكرية، ولكن لتغذية سباق التسلح بما يساعد على استنزاف موارد السائدة هناك هدفا رئيسيا من أهداف الحرب الباردة، تماما كما كان في الحرب ضد روسيا السوفييتية. ولم تضف الولايات المتحدة جديدا إلى حقيبة الأدوات والأساليب التي استخدمتها سابقا ضد روسيا السوفييتية. وهي أدوات وأساليب تعلمت الصين دروسها جيدا، وأصبحت قادرة على الالتفاف حولها وإفشالها.

تحول عدائي

وكان صعود ترامب إلى السلطة عام 2016 نقطة تحول في العلاقات الأمريكية الصينية للمرة الأولى منذ رئاسة ريتشارد نيكسون، ويمثل جزءا لا يتجزأ من انقلاب كبير في السياسة الخارجية الأمريكية، انتقل بالولايات المتحدة من دور قيادة التحالف الغربي دروس الحرب الباردة السابقة بين أمريكا وروسيا، والثاني هو الثقة في المستقبل، وعدم تعجل النتائج والعمل بدقة من أجل خلق حقائق جديدة لا تتزحزح لتحقيق تفوقها عالميا في كل المجالات من تكنولوجيا القطارات الفائقة السرعة إلى تكنولوجيا الفضاء الأكثر تفوقا على نظيرتها الأمريكية. أما السلاح الثالث فيتمثل في إدارة السياسة الخارجية على أساس مبدأ الربح المشترك (أنت تكسب وانا أكسب) وليس طبقا لمبدأ الفائز يحصل على كل شيء، وذلك وصولا إلى إقامة نظام عالمي متعدد الأقطاب لا يعكس الهيمنة السياسية والعسكرية بل القدرة على المنافسة في إطار منظومة عالمية مشتركة من سلاسل الإنتاج والإمدادات وشبكات المعلومات والتواصل. ولهذا أصبحت الصين الأكثر تطورا في العالم في مجال شبكات الجيل الخامس من نظم المعلومات والاتصالات، وفي مجال العملة الرقمية، كما إنها تسهم وحدها بنسبة 20 في المئة تقريبا في شبكات الإنتاج والإمدادات العالمية.

ولا تخفي الصين هدفها في التحول إلى قوة عالمية كبرى على رأس النظام العالمي. وهي تعمل على أن يتحقق ذلك في عام 2050 وفق استراتيجية منشورة وليست في الخفاء. وطبقا لهذه الاستراتيجية فإنها معنية بتطوير قوتها الشاملة، وحريصة على عدم الدخول في مهاترات سياسية، أو صراعات جانبية تجارية أو تكنولوجية أو عسكرية أو دبلوماسية يمكن أن تتسبب في انحرافها عن تحقيق أهدافها. وتلعب قيادة الرئيس الحالي شي جين بينغ دورا حاسما في توجيه المكتب السياسي للحزب الشيوعي، ولجنة الدولة (مجلس الوزراء) إلى التمسك بالأولويات المحددة سلفا. وقد اكتسب شي نفوذا متزايدا منذ عام 2012 حتى أصبح أقوى زعيم في تاريخ الصين الحديث بعد ماو تسي تونغ مؤسس الصين الحديثة.

واستطاعت الصين حتى الآن تقليل أضرار الحرب التجارية والتهديدات والاستفزازات الأمريكية، ونجحت في تحييد تفوق القوة الأمريكية، وفي توسيع وتطوير نوعية قوتها الذاتية، وفي اقتحام مجالات جديدة تضعها في موقع ريادي على المستوى العالمي، مثل الهبوط على الجانب الأبعد من القمر، والاستعداد لإرسال سفينة فضاء إلى كوكب مارس، وتطوير تكنولوجيا 5G وبناء شبكة علاقات اقتصادية قوية من خلال مبادرة الحزام والطريق. الصين غير معنية بالهجوم على الولايات المتحدة، ولكنها معنية ببناء صرح للقوة يمنحها صلاحية القيادة والريادة على المستوى العالمي لفترة طويلة مقبلة.

ترامب والصين: الكرات الشفافة والكتيمة

صبحي حديدي

ليست مبالغة، أغلب الظنّ، أن يرجح المرء تناقص أعداد السذّج من أنصار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، ممّن يبصمون على أفعاله وأقواله من دون تمحيص أو تدقيق أو حتى استيعاب؛ فلقد تكفلت جائحة كورونا بتخفيض سقوف إيمانهم بأنّ الكون بأسره ينخرط في مؤامرات متعاقبة تستهدف إفساد إعادة انتخاب رئيسهم لولاية جديدة. وهذا التآمر كان يضمّ البشر أفراداً وجماعات، ودولاً ومنظمات، وصحافة أمريكية وعالمية، ومخابر ووهان الصينية مثل أروقة منظمة الصحة العالمية؛ فضلاً عن... الطبيعة، فيروسات وأوبئة وجوائح...

صحيح، إلى هذا، أنّ سلسلة الاتهامات التي يواصل توجيهها اليوم إلى الصين، سواء حول «الخطأ الفظيع» المعملي الذي تسبب في تسرّب الفيروس خارج المعمل، أو تعديل الخارطة الجينية للفيروس ثمّ تصديره إلى العالم عن سابق قصد وتصميم؛ تلقى آذاناً مصغية لدى شرائح واسعة من أنصاره، لأنها ببساطة تعزف على نغم نظريات المؤامرة إياها. صحيح أكثر، في المقابل، أنّ العلماء وخبراء الفيروسات وأخصائيي الأوبئة، إلى جانب جهاز المخابرات الوطنية الأمريكي ذاته، يجمعون على أنّ منشأ الفيروس حيواني، غير معدّل ولا مصنّع ولا ناجم عن أخطاء مخبرية، وأنّ ظروف قفزه نحو الإنسان ما تزال قيد الدراسة. كلّ هذا دون إغفال حقيقة موازية تحظى بمقدار مماثل من الإجماع: أنّ الصين ليست كرة شفافة، وليست ديمقراطية، والصحافة فيها ليست حرّة كي تنقل الملابسات كما وقعت، والتدابير الاحترازية في مخابر ووهان ليست مثالية.

لكن الصحافة الأمريكية، وبعد أن صعّد ترامب النبرة ضدّ الصين، أعادت تسليط الضوء على أصل الحكاية وجذورها الأولى التي تقول العكس تماماً: أنّ ترامب، منذ أواخر كانون الثاني (يناير) هذا العام حين بات الفيروس على كلّ شفة ولسان، رفض نصائح مستشاريه المقرّبين حول ضرورة توجيه الانتقاد إلى الصين على خلفية انعدام الشفافية؛ خاصة وأنّ خياراً كهذا سوف يحظى بتعاطف الجمهوريين والديمقراطيين، على حدّ سواء. لكنّ الرئيس الأمريكي لم يكتف برفض النصيحة، بل عمل على نقيضها فغرّد يمتدح إجراءات الصين في الحدّ من انتشار الفيروس، وحرص على إغداق مديح خاصّ للرئيس الصيني نفسه!

غياب الكرة الشفافة في الصين يقابله في الولايات المتحدة احتشاد للكرات التي تشفّ حول أيّ أمر وكلّ شيء، عن حقّ أو عن باطل، صادقة أم كاذبة، حسنة الطوية أم سيئة النيّة، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والعلوم، وفي مدونة السلوك على أيّ صعيد وكيفما اتفق. ولهذا فإنّ لعبة اتهام الصين بالافتقار إلى الشفافية انقلبت سريعاً ضدّ ترامب، فأخذت وسائل الإعلام الأمريكية تتسابق في نبش (أو الأحرى القول: نكش) تفاصيل التيه الإرادي الذي أسقط ترامب نفسه فيه؛ بين المضيّ في إبرام المزيد من الاتفاقيات التجارية مع الصين، والتوصل إلى حدّ أدنى من وقف إطلاق النار في الحروب التجارية؛ وبين إغضاب بيجين في ملفّ جائحة كورونا عن طريق إطلاق تسمية «الفيروس الصيني» العنصرية، والتهديد برفع دعاوى قضائية لتعويض الوفيات الأمريكية، وفرض عقوبات اقتصادية.

وثمة لعبة أخرى، غير تبادل الكرات الشفافة والكتيمة، انخرط فيها ترامب مؤخراً واعتمدت على مبدأ التجهيل المعلن الذي لا يقول اسمه: لدينا «دليل هائل» على أنّ الفيروس خرج من مخبر ووهان، يقول ترامب ويلتحق به وزير خارجيته؛ وحين يُسأل عن مصادره، يجيب حرفياً: «لا أستطيع أن أخبركم. ليس مسموحاً لي أن أخبركم»! هذه مجرد تكهنات، يردّ العلماء والخبراء وجهاز استخبارات مركزي أمريكي؛ وهذه محاولة مستميتة لإحياء الجذوة الشعبوية التي يمكن أن تنقذ حملة ترامب لرئاسيات هذا العام، يفترض كثير من المراقبين السياسيين داخل أمريكا وخارجها في الواقع.

وهذا، في المحصلة، لا يلغي احتمال اشتراك اللاعبَيْن، الصيني والأمريكي، في تدوير كرة شفافة تارة وأخرى كتيمة طوراً، لأنّ توازنات الكون ليست نظرية مؤامرة مفتوحة، بالطبع؛ ولكنها، في الآن ذاته، لا تفتقر إلى تفاهم الجبابرة حول أنساق شتى من التواطؤ والتقاسم و... التآمر!

توقيت سيئ للمحاسبة وبكين قادرة على خنق أمريكا

الولايات المتحدة هي المتضرر الأول من «الحرب الباردة» ضد الصين

متاجر مغلقة في واشنطن

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

استغلت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أخطر أزمة صحية واقتصادية في الولايات المتحدة والعالم منذ أجيال من أجل تنفيذ سياسات مثيرة للجدل، بما في ذلك القيود على الهجرة وكبح أجهزة الرقابة، ولكن الصين كانت بالتأكيد هدفاً مغرياً للبيت الأبيض في وقت يستعد فيه ترامب لحملة انتخابية.

إجراءات خطيرة

ويرى العديد من المحللين الأمريكيين أنه سيكون من الصعب اختيار لحظة أسوأ في تصعيد الخطاب العدائي ضد الصين بسبب دورها المزعوم في «عولمة» وباء كوفيد–19 وقالوا إن النظر في مجموعة من العقوبات الاقتصادية ضد بكين، ليس بالقرار الحكيم، بما في ذلك زيادة التعريفات الجمركية على الواردات الصينية ومنع المشتريات الصينية للشركات الأمريكية وحظر الطلاب الصينيين من دراسة العلوم في الولايات المتحدة وإلغاء الحيازات الصينية على السندات الأمريكية.

وللإنصاف، فإن الفكرة الأخيرة الخطيرة–رفض احترام السداد على السندات الأمريكية التي تحتفظ بها الحكومة الأمريكية–قد جاءت من دحضها بهدوء من خلال شخصيات هامة في البيت الأبيض، بمن فيهم لاري كودلومو، رئيس المجلس الاقتصادي الوطني، مع اعتراف بالصدمة الكارثية الحقيقية لأي انتهاك لعهود الديون الأمريكية. وتقترض الحكومة الأمريكية تريليونات الدولارات لتمويل إجراءات الانفاق الطارئة التي يستلزمها الوباء، وتخلى فكرة الضغط على الصين للدفع عقاباً لها لعدم الكشف عن شدة الوباء في أقرب وقت، بدعم واسع النطاق في واشنطن، ولكن الفكرة لم تكن جيدة بالنسبة إلى الآخرين.

ويعتقد الباحث زكاري كارابيل، مؤسس شبكة «التقدم» التي تعتبر من «مستودعات التفكير» المهمة في واشنطن، أن الانتقام من الصين الآن سيضعف كواحد من أكبر الأخطاء السياسية في الذاكرة الحديثة، مشيراً إلى أن الحرب التجارية التي شنها البيت الأبيض في نهاية عام 2017 كانت موضع تساؤل في أحسن الأحوال ولم تسفر عن نتائج ملموسة، بخلاف المطالبة بعشرات المليارات من الدولارات من عمليات الانقاذ للمزارعين الأمريكيين بعد أن أغلقت الصين أسواقها.

واتخذت الحملة الطويلة ضد شركة الاتصالات الصينية العملاقة «هواوي» أبعاداً عالمية، ولكنها ألحقت بعض الأضرار لمحاولات بكين لتصبح قوة مهيمنة في طرح تقنية الجيل الخامس، في حين لم تقدم حرب التعريفات الجمركية بين واشنطن وبكين سوى نتائج ضئيلة، وبالكاد أثرت على التجارة بين الدولتين.

واشنطن ستدفع الثمن

ويتفق خبراء على أن التكاليف الاقتصادية والسياسية والصحية لمحاولة معاقبة الصين ستكون باهظة، وقالوا إنه حتى مع افتراض مسؤولية الصين جزئياً بالفعل عن الدمار الذي سببه هذا الوباء فإن الانتقام لا معنى له.

وأضافوا أن الحرب التجارية في العامين الماضيين كانت «زائفة» بسبب استيعاب جميع الإجراءات في اقتصاد كبير يبلغ 20 تريليون ينمو بنسبة 2.5 في المئة سنوياً، والأهم من ذلك، أن أي جولة جديدة من التعريفات، أو قطع الاستثمار أو منع الطلاب، ستضرب الاقتصاد الأمريكي في أكثر اللحظات ضعفاً على الإطلاق، وحتى قضية الطلاب، هي أكبر من معظم الصادرات الزراعية إلى الصين، حيث ينفق طلبة الصين عشرات المليارات من الدولارات سنوياً على التعليم العالي في الولايات المتحدة، الأمر الذي يساعد فقط في الحفاظ على بقاء هذه الجامعات ويسمح لها بتقديم المساعدات المالية للطلاب الأمريكيين.

لا امكانيات للابتعاد عن الصين

وأشار الخبراء إلى مشكلة ستواجه واشنطن إذا اختارت الاستمرار في حربها «الباردة» ضد الصين، وهي أن هناك استحالة في إعادة انشاء أو إعادة بناء سلاسل التوريد بعيداً عن الصين عندما لا يكون هناك نقود للقيام بذلك، ولاحظ المحللون أن احتفال البيت الأبيض قبل انتشار الوباء بالخروج المفترض لبعض الشركات الأمريكية من الصين لم يكن صادقاً، فالشركات انتقلت إلى دول أخرى مثل تايوان والمكسيك ولكن المصانع لم تغلق في الصين ولم تتوقف سلاسل التوريد الحالية.

ولا أحد يعلم الحكمة من تهديد الصين الآن وسط جائحة كوفيد–19 إذ تعتمد الولايات المتحدة على سلسلة إمدادات طبية من الصين، بما في ذلك الأدوية ومعدات الحماية الصحية الشخصية والأدوات الطبية المتطورة، حيث يزداد الطلب على هذه الموارد بينما تحارب أمريكا الوباء، ولا يوجد وقت أو إمكانية للقيام بإجراءات انتقامية، وقد أثبتت التجارب أن الولايات المتحدة لديها قدرة قليلة على توفير سياسة صناعية مخططة بالكامل وجيدة التنفيذ للإنتاج المحلي بسرعة وفعالية.

وهناك، أيضاً، حاجة للتعاون حول فك تشفير فيروس كورونا والحصول على لقاح، فماذا لو تجاوزت الصين خط النهاية أولاً؟ هل تريد أمريكا المقامرة حقاً بالاحتكاك مع الصين في هذا الوقت؟

ترامب ولعبة اللوم

وبالنسبة لترامب، الذي يعاني من الانتقادات والمزيد من الفحص بسبب استجابته المتأخرة للفيروس محلياً، فإن تصعيد الجهود لإلقاء اللوم على الصين في تفشي الفيروس هو جزء هام من سياسة مقصودة مع تزايد الضغط العالمي على بكين للتعاون مع التحقيق في أسباب تفشي المرض.

وقد اتهم ترامب الصين بالتستر على تفشّي المرض، واقترح أن الفيروس لن ينتشر على مستوى العالم لو كانت بكين أكثر شفافية في البداية، وقال إن بكين ارتكبت خطأً فظيعاً ولم تكن ترغب في الاعتراف به، وكان عليهم إخماده.

وهددت إدارة ترامب بأنها تدرس خطوات لمعاقبة بكين، بما في ذلك تسوية التعريفات الجمركية على الواردات معها، وزعم ترامب ووزير خارجيته مايك بومبيو أن هناك أدلة مهمة على أن الفيروس بدأ من مختبر في ووهان، على الرغم من أنه لم يقدم أي دليل على ذلك، وقالت منظمة الصحة إنها لم تتلق أي بيانات أو أدلة محددة من الحكومة الأمريكية تتعلق بالإصل المزعوم للفيروس.

وقد اعترف ترامب بأن قضية العقوبات مع الصين هي «لعبة معقدة للغاية مثل الشطرنج والبوكر» ولكن الخبراء والعديد من المشرعين، مثل النائب تشيب روي، يعتقدون أن الصين قد تخنق الإمدادات الأمريكية الرئيسية.

وأشار روي، على سبيل المثال، إلى أن الأمريكيين شاهدوا في الوقت الحقيقي مدى اعتماد الولايات المتحدة على الصين في الأدوية واللوازم والمعدات الطبية، وأضاف «إذا أرادت بكين حقاً وضع أمريكا في مأزق خطير، يمكنها حجب هذه الأدوية المنقذة للحياة».

واشنطن والحكمة والحماقة

في نهاية المطاف، الحكمة هي معرفة نقاط قوتك وتقبل حدودك، والحماقة هي الاعتقاد بأنك لا تقهر، وبالنسبة للولايات المتحدة وفقاً للخبراء، من الضروري الاعتراف بأنه ليس الوقت المناسب لتصعيد المواجهة مع الصين، مع الإشارة إلى أن أن هذه المواجهة لم تسفر عن أي شيء من الأصل، ولكنها من الممكن أن تحدث ضراراً كبيراً للولايات المتحدة في المناخ الحالي.

وهناك جاذبية عند أنصار ترامب للهجوم على الصين، خاصة في الموسم الانتخابي، ولكن إذا استمرت الخطابات العدوانية، فقد يصل الضغط لتحويل هذه الكلمات إلى أفعال، وقد حاولت واشنطن بالفعل اتخاذ إجراءات رمزية «لمحاسبة» الصين، وحسب الخبراء، فإن الاستمرار بهذه السياسة سيؤدي إلى تفاقم الوضع السيئ وتعقيده بدلاً من معالجة الضرر الذي حدث بالفعل، وقالوا إنه كان من الأفضل لو ركزت واشنطن على تهيئة البلاد لمواجهة التحديات المستقبلية من خلال الإنفاق بشكل أكثر ذكاء على الموارد المحلية بدلا من الهوس بشأن الصين.

> تكاليف معاقبة الصين ستكون باهظة

أوروبا لن تنخرط في حرب واشنطن ضد الصين

لندن – «القدس العربي»: حسين مجدوبي

ترغب الولايات المتحدة في تحويل مرحلة ما بعد الحرب ضد فيروس كورونا إلى حرب باردة مع الصين لمنعها من تزعم العالم وخاصة اقتصاديا، وهي نقطة أساسية في أجندة واشنطن بكل مؤسساتها وإن اختلفت طريقة تطبيقها وتوقيتها. وترغب أيضا في جر عدد من دول العالم إلى محاصرة الصين، لكنها تجد معارضة كبيرة وعلى رأسها دول أوروبا باستثناء بريطانيا.

ويشن البيت الأبيض بزعامة الرئيس دونالد ترامب رفقة وزارة الخارجية بقيادة مايك بومبيو، حملة قوية ضد الصين بتوجيه اتهامات شتى، تتمحور أساسا حول تحميل الصين المسؤولية المعنوية والمادية في التسبب في الوباء العالمي من خلال عدم مراقبة مختبر إجراء الأبحاث على الفيروسات في معهد مدينة ووهان في إقليم هوبي، مكان ظهور الفيروس. ويركز البيت الأبيض اتهاماته على الحزب الشيوعي الصيني في محاولة إعطاء طابع إيديولوجي للنزاع، بين العالم الليبرالي الحر والشيوعية.

والحرب التي تشنها الولايات المتحدة على الصين ليست وليدة اليوم ولكنها تعود إلى سنوات وخاصة مع بداية ولاية دونالد ترامب الرئاسية سنة 2017. فقد بنى حملته الانتخابية على الحد من تأثير الصين في العالم وعدم تعويضها لواشنطن. ولهذا الهدف، فرض رسومات قوية على الصادرات الصينية نحو السوق الأمريكية، ومنع تواجد شركة هواوي في الأراضي الأمريكية.

لكن الحملة ضد الصين ارتفعت بشكل ملفت خلال الأسابيع الأخيرة على خلفية كورونا فيروس. وتؤكد الولايات المتحدة استغلال الصين للوباء العالمي في محاولة منها بالخروج في وضع قوي للتمهيد لزعامة العالم. وبدأت واشنطن تنبه الدول إلى ضرورة تقليص العلاقات الاقتصادية مع الصين. ومن ضمن الأمثلة الخاصة بالعالم العربي، صرح ديفيد شينكر، مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى خلال هذا الأسبوع إنه «على هذه الدول (الخليجية) أن تفكر في قيمة شراكتها مع الولايات المتحدة». وتتضاعف الضغوطات على الأوروبيين الشريك التاريخي لبناء استراتيجية مشتركة تحاصر ما تعتبره التمدد الصيني في الغرب ثم العالم.

عدم مسايرة البيت الأبيض

وتنخرط أوروبا في المخطط الأمريكي ضد الصين بنوع من الاحتشام ودون حماس يذكر. فقد طالب بعض الرؤساء ومنهم الفرنسي إيمانويل ماكرون بدوره الشهر الماضي بتوضيحات من بكين بشأن ظهور الفيروس الذي يهدد اقتصاديات أوروبا، ولاحقا تخلى عن هذا الخطاب. وتشير المعطيات إلى عدم مغامرة أوروبا كثيرا بالدخول في حرب اقتصادية كبيرة ضد الصين قد تؤدي إلى توترات غير مرتقبة. وتعد ألمانيا السد الحقيقي ضد استراتيجية الولايات المتحدة ضد الصين، فقد أخذت مسافة من تصريحات ترامب ضد بكين.

وعلى رأس الأسباب التي تدفع إلى الحرص من الانخراط الكبير في الحرب الباردة ضد الصين هو وعي الأوروبيين بغلبة دواعي انتخابية وراء رفع إيقاع ترامب الحرب الحالية ضد الصين. ولم يبقى سوى أشهر قليلة على الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وحظوظ ترامب ضعيفة بسبب تراجع الاقتصاد وارتفاع البطالة إلى مستويات لم تسجلها البلاد منذ سنة 1929 بسبب الفيروس الذي يعتبره «فيروسا صينيا». وتعتقد الدول الأوروبية الكبرى أن انخراطها المباشر والقوي في حملة ترامب يعني مباشرة دعمه في الانتخابات ضد الحزب الديمقراطي، بينما هي تتمنى رحيله.

في الوقت ذاته، لم تعد أوروبا تعتقد في مخطط صيني بنشر الفيروس أو نتيجة إهمال من طرف مختبر ووهان، فقد بدأت هذه الرواية تتراجع لاسيما بعدما أصدرت الاستخبارات الأمريكية تقريرا مفصلا معتمدا على باحثين كبار ينفي التهمة عن الصين. وتثق أوروبا في الاستخبارات الأمريكية أكثر من ثقتها في البيت الأبيض، إذ لم يعتمد ترامب على المؤسسات الرسمية لإصدار الاتهامات ضد الصين. وتذهب الاستخبارات الأوروبية إلى النتيجة نفسها التي توصلت إليها نظيرتها الأمريكية.

ويلعب رجال الأعمال الأوروبيون دورا رئيسيا في دفع حكومات أوروبا عدم مسايرة البيت الأبيض في مخططاته ضد بكين. فقد أصيب الأوروبيون بخيبة أمل عندما قرر الرئيس ترامب تجميد مفاوضات التبادل التجاري الحر بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، وهي الاتفاقية التي كانت ستعني الكثير للاقتصاد الغربي. وتعتقد الشركات الأوروبية في أهمية طريق الحرير الصيني بعدما تحول إلى واقع يهيكل التجارة العالمية وسيكون أهم شريان للتجارة والاستثمارات الدولية خلال السنوات والعقود المقبلة، لاسيما بعدما نجحت الصين في بناء أكبر طبقة متوسطة في العالم بل وربما في التاريخ.

وترتاب أوروبا من سياسة ترامب والتيار الفكري الذي بدأ يرسيه في الإدارة الأمريكية وهو التخلي عن العمل المشترك والعودة إلى القرارات والسياسية الانفرادية. فقد تدهورت العلاقات بين أعضاء الحلف الغربي منذ مجيء ترامب إلى الرئاسة، ولكنه تيار بدأ منذ بداية القرن الماضي عندما قررت الدولة العميقة في الولايات المتحدة أن مستقبل التجارة العالمية سيكون في المحيط الهادي وليس الأطلسي. ومن ضمن أسوأ ما ساهم فيه ترامب هو نفور الرأي العام الأوروبي من سياسة واشنطن وفي المقابل تعزيز رؤيتها الإيجابية للصين. وكشف استطلاع للرأي في إيطاليا في أعقاب أزمة كوفيد–19 بأن 36 في المئة من الإيطاليين لديهم رؤية إيجابية عن الصين وتتجاوز رؤيتهم حتى مؤسسات الاتحاد الأوروبي التي حظيت بـ28 في المئة بينما الغالبية العظمى ترى سلبا في واشنطن. ولعل المنعطف، هو بداية ظهور تيار قوي وسط المثقفين والسياسيين وحتى الاستخبارات والجيوش في أوروبا تميل نسبيا إلى الصين على حساب الولايات المتحدة.

وفي نقطة أخرى مرتبطة بالسابقة، ينزعج الأوروبيون من سياسة واشنطن بناء حلف رئيسي مع بريطانيا بعد بريكسيت بدرجة أكبر من بناءه مع الاتحاد الأوروبي. وترى باريس وبرلين على ضوء هذه التطورات عدم استعدادهما لاحتلال مرتبة مهمشة أو ثانوية في صنع القرار السياسي للغرب. ومما يثير غضب الفرنسيين والألمان هو عودة التحالف المقدس بين الأنكلوسكسونيين على حساب الغرب برمته. وإبان الحرب الباردة والسنوات التي تلتها، لم تتردد واشنطن في قيادة حلف أنكلوسكسوني مكون من بريطانيا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا للتجسس على العالم بمن فيها الدول الأوروبية، وهو الملف المعروف باسم «إيشلون» الذي ألقى بظلاله على الثقة وسط مكونات الغرب.

ويتخوف الأوروبيون من خوض أي حرب باردة جديدة قد تقسم العالم إلى قسمين مثل الحرب التي هيمنت على العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حتى تفكك الاتحاد السوفييتي. وهذه المرة ستكون الحرب الغربية ضد الصين مختلفة، فهي ستؤدي إلى تقوية الثنائي موسكو–بكين، ودفع كل الدول الآسيوية تقريبا إلى الانضمام إلى هذا الثنائي. فهو ثنائي لا يهدد ديمقراطية أي بلد، حيث لن تكون للإيديولوجيات الاشتراكية الزعامة بل للمصالح التجارية والقومية في مواجهة الولايات المتحدة.

لا يمكن للولايات المتحدة خوض حرب باردة ضد الصين، في الوقت الذي تتخلى فيه طوعا عن قيادة العالم بل حتى قيادة العالم الغربي وتهميش المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة أو تصرفها غير المنطقي ضد منظمة الصحة العالمية. فهي، بهذا تمهد لزعامة الصين للعالم بشكل أسرع من المتوقع.

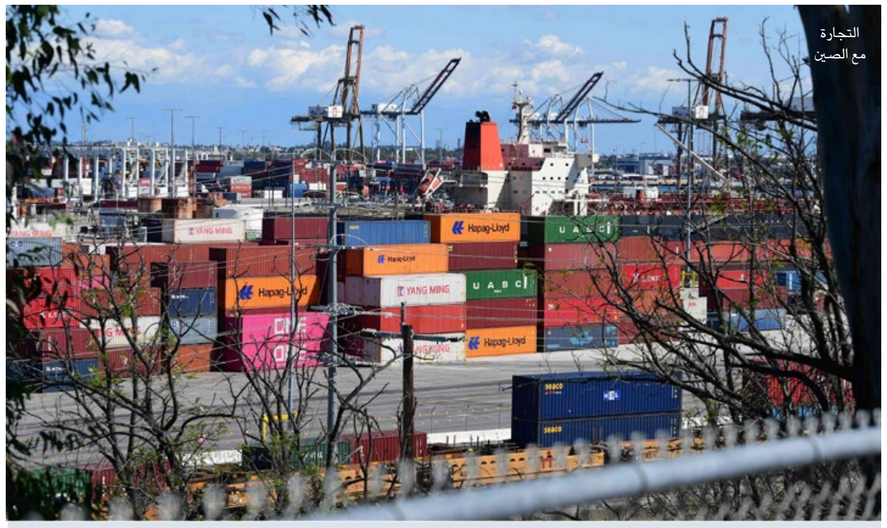

التجارة مع الصين

أمريكا تشدد قواعد منح تأشيرات للصحافيين الصينيين وسط توترات بسبب كورونا

أصدرت الولايات المتحدة قواعد جديدة يوم أمس تشدد إرشادات منح تأشيرات للصحافيين الصينيين قائلة إن ذلك رد على طريقة معاملة الصحافيين الأمريكيين في الصين في تحول يأتي وسط توترات بين البلدين بسبب جائحة فيروس كورونا العالمية.

وتبادلت الولايات المتحدة والصين سلسلة من الإجراءات الانتقامية التي تتعلق بالصحافيين في الأشهر الأخيرة.

ففي آذار/مارس طردت الصين صحافيين أمريكيين من ثلاث صحف أمريكية بعد شهر من إعلان الولايات المتحدة إنها ستبدأ في معاملة خمس وسائل إعلام تديرها الدولة في الصين لها نشاط في الولايات المتحدة بنفس طريقة معاملة السفارات الأجنبية. وبعد يوم من الحكم الأمريكي على المؤسسات الصينية التي تديرها الدولة طردت بكين ثلاثة مراسلين لصحيفة «وول ستريت جورنال» اثنان منهم أمريكيان والآخر استرالي، عقب نشر عمود رأي نددت به الصين بوصفه عنصريا. وبإصدار القواعد الجديدة يوم الجمعة أشارت وزارة الأمن الداخلي الأمريكية إلى ما وصفته «بقمع (الصين) للصحافة المستقلة».

وستسري القواعد الجديدة يوم الاثنين وستقصر تأشيرات الصحافيين الصينيين على فترة 90 يوما مع وجود خيار للتجديد. ومثل هذه التأشيرات تكون عادة مفتوحة ولا تحتاج لتمديدها ما لم ينتقل الموظف لشركة مختلفة.

وقال مسؤول كبير بوزارة الأمن الداخلي طلب عدم نشر اسمه إن القواعد الجديدة ستسمح للوزارة بمراجعة طلبات الصحافيين الصينيين للحصول على تأشيرات بشكل أكثر تواترا ومن المرجح أن تقلص إجمالي عدد الصحافيين الصينيين في الولايات المتحدة.

وقالت الوزارة إن القواعد الجديدة لن تسري على الصحافيين الذين يحملون جوازات سفر من هونغ كونغ أو مكاو وهما المنطقتان الصينيتان شبه المستقلتين.

وتزايدت التوترات بين الولايات المتحدة والصين في الأشهر الأخيرة مع اجتياح فيروس كورونا المستجد العالم وفتكه بأكثر من 269 ألف شخص في شتى أنحاء العالم حتى الآن.

الولايات المتحدة تتحضر لـ «لوكربي جديدة» وشعار «قاطعوا الصين» يتمدد!

رلى موفق

سينشغل العالم لسنوات طويلة بتداعيات وباء كورونا على مختلف المستويات، ومنها المستوى القانوني الذي قد يكون الأكثر إثارة وتأثيراً. فإصرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب على تسمية الفيروس بـ«الفيروس الصيني» سيفعل فعله حين يتم احتواء هذه الجائحة. بدأت لافتات «قاطعوا الصين» تُرفع في ولايات أمريكية دعماً لمشاريع قوانين عدة تُطرح في الكونغرس لمحاسبة بكين على ما جنته أيديها.

هذا مسار طويل، لكنه أكيد. تتحضر الولايات المتحدة الأمريكية لمقاضاة الصين، ستكون هناك أقانيم متعددة رسمية وشعبية وتجارية وغيرها. ستُرفع دعاوى قضائية جماعية للتعويض على الضحايا، وستتميت الشركات والمؤسسات التي أفلست وأصيبت بخسائر ضخمة بفعل الإغلاق التام نتيجة الوباء لمحاسبة المسؤول عن هذا «العدو» الذي قضى على الأخضر واليابس.

ستُفتح أبواب جهنم على «المارد الجبار» الذي كان يمضي قُدما لتحقيق حلم التمدد والسيطرة اقتصادياً عبر مشروع «الحزام والطريق» الذي أطلقه عام 2013 لربط الصين بالعالم، وهو المشروع الذي يعيد إحياء أمجاد طريق الحرير القديم، ويقوم على استثمارات ضخمة لبناء شبكة مرافئ وطرق وسكك حديد ومناطق صناعية، بما يعزز من الهيمنة الاقتصادية والتجارية الصينية على العالم، الأمر الذي يقلق أمريكا ويقود رئيسها إلى حربه التجارية مع بكين.

النزعة الوطنية والقومية

ترتفع النزعة الوطنية والقومية في أمريكا، وتتمدد. تذهب مسودات المشاريع في الكونغرس إلى المطالبة بإصدار تشريعات لمنع الطلبة الصينيين من الدراسة في الولايات المتحدة بحجة انهم يُرسَلون لأدوار استخباراتية، وإلى وقف صفقات شراء طائرات «الدرون» من الصين لاستخدامات أمنية لأنها قد تكون زرعتها بالرقائق الإلكترونية للتجسس على الأمريكيين وجمع المعلومات. بدأت النقاشات عن ضرورة تخفيض الضرائب لعودة الصناعة إلى داخل البلاد، ولاسيما الصناعات التي تتعلق بالأمن الاجتماعي والصحي وتحديداً الدواء. ستُطرح الكثير من الإجراءات التي تأتي للإفادة من «الغضب الشعبي» في اتجاه تعزيز الشعور القومي في الحرب التجارية الدائرة بين واشنطن وبكين.

سيتحول الاتجاه نحو مقاضاة الصين من أمريكي إلى دولي. كثيرون سيسلكون غداً مسار الولايات المتحدة. دوامة قانونية وعقوبات وقيود وحواجز تجارية وما شابه سيتم وضعها كلها في سياق الصراع على مَنْ يتزعم العالم. بعد كورونا وما يصاغ من خطط لإغراق بكين وإرهاقها قانونياً بما سينعكس عليها انكماشاً اقتصادياً وتراجعاً في علاقاتها الخارجية، فإن 2025 لم يعد تاريخاً ضاغطاً على الأمريكيين القلقين من أن تتربع الصين وحيدة خلال السنوات الخمس على عرش القوة العظمى والأكبر. باتت التوقعات تجنح نحو الحاجة إلى عقدين من الزمن كي تعاود بكين النهوض من كبوتها المفترضة.

يقول مدير «التحالف الأمريكي شرق أوسطي» طوم حرب، إننا سنشهد «لوكربي جديدة» على مقياس أكبر، في إشارة إلى حادثة تفجير الطائرة الأمريكية فوق لوكربي الاسكتلندية عام 1988 والتي رسى الاتهام الأمريكي–البريطاني فيها على نظام معمر القذافي، ما أدى إلى دعاوى قضائية وعقوبات دولية وحظر جوي وحصار غربي سياسي واقتصادي خانق على ليبيا. ولم ينته هذا الكابوس عنها إلا بعد عشر سنوات مع تسليمها المتّهَمين، ولاحقاً بإعلان طرابلس الغرب مسؤوليتها عن الحادثة وقبولها التعويض للضحايا، وعقد صفقة التسوية بدفع حوالي عشرة ملايين دولار لكل من الضحايا. لكن الأهم الذي حصل من جراء «حادثة لوكربي» هو تطويع ليبيا بتخليها عن برنامجها النووي، ووقف تمويل التنظيمات الراديكالية. اشترى يومها القذافي ثمن رفع الحصار والعقوبات عن بلاده وبقاء نظامه وعدم استهداف رموزه.

قراءة حرب الذي ينتمي إلى «لوبي» الجمهوريين، تنطلق من أن الديمقراطيين، الذين شنوا حملة بخلفيات سياسية على قرار ترامب تعليق الرحلات مع الصين في بدايات أول ظهور كورونا، وساندهم فيها الإعلام، اهتزت صورتهم بعدما ظهر أن إجراءات الرئيس الأمريكي كانت صائبة، وأنه لو اعتمدت بكين الشفافية حول الفيروس وطبيعته لما كان انتشر الوباء. ولن يكون في مقدور الديمقراطيين مساندة دولة أضرت بالشعب الأمريكي ومصالحه ومعارضة الإجراءات التي تُتخذ ضدها. في رأيه أن وجهة أمريكا ستكون الهند كقوة صاعدة، وهناك فرص في باكستان وتايلند وتايوان.

ما يلفت إليه أن «أمام الدول العربية فرصة تاريخية قد لا تكرر ثانية، ولاسيما الدول ذات الكثافة السكانية العالية كمصر والجزائر والرابح. ما هو أكيد أن «خطيئة الصين» ستكون في صلب الحملة الانتخابية لترامب ليقطع الطريق على الأصوات التي قد تحمله مسؤولية التقصير في التصدي للوباء، ولكن الأهم ليسدد ضربات مُحْكَمة لـ«مارد الشرق» قد لا يكون هناك من توقيت أفضل لها.

منتصف الطريق من قبل النخب في منطقتنا لتحويل الأزمة مع الصين إلى فرصة حقيقية لشعوبنا ودولنا».

قد تكون الرهانات على محاصرة الصين تختزنها الكثير من التمنيات غير القابلة للتحقق. سيقف المحور السياسي الداعم لها الذي يشمل إيران وكوريا الشمالية وروسيا مبدئياً، لكن المراقبين يرون أنه ليس من مصلحة روسيا، على المدى البعيد، أن تقف في وجه الغرب إذا وقعت الحرب الاقتصادية.

لا شك أن جائحة «كورونا» تحوّلت لاعباً هو الأبرز سياسياً واقتصادياً في بقاع المعمورة. ستبنى في غماره تحالفات جديدة، واستراتيجيات لا ندرك بعد مدى التحولات التي ستحملها ومَنْ ستطال، ومَنْ سيكون الخاسر والرابح. ما هو أكيد أن «خطيئة الصين» ستكون في صلب الحملة الانتخابية لترامب ليقطع الطريق على الأصوات التي قد تحمله مسؤولية التقصير في التصدي للوباء، ولكن الأهم ليسدد ضربات مُحْكَمة لـ«مارد الشرق» قد لا يكون هناك من توقيت أفضل لها.

الحرب الأمريكية الصينية الباردة والموقف الأوروبي منها

صادق الطائي

تتصاعد التهديدات بين الولايات المتحدة والصين على خلفية الحرب التجارية القائمة بين العملاقين، بالإضافة إلى الكوارث الاقتصادية التي سببها تفشي جائحة كورونا (كوفيد–19) وتصاعد حدة اتهامات إدارة ترامب للحكومة الصينية والحزب الشيوعي الصيني بالتسبب في تلك الكارثة، والمطالبة بتحميل الصين تبعات الخسائر التي أصابت الاقتصاد العالمي. مسار التوتر بين واشنطن وبكين اتسم بالتصاعد وبقفزات متسارعة منذ أن دخل الرئيس دونالد ترامب البيت الأبيض في 20 كانون الثاني/يناير 2017 إذ سرعان ما كشف الرئيس الجديد، القادم من عالم المال والأعمال، عن سياسة عدائية تجاه الصين تمثلت في إلغاء معاهدة الشراكة عبر المحيط الهادئ التي سعى سلفه الرئيس أوباما لتوطيدها كنوع من احتواء المنافسة التجارية الصينية وتأطير العلاقات التجارية عبر اتفاقات تنسق جهود الولايات المتحدة مع حلفائها في الشرق الأقصى. لكن ترامب مزق هذه الاتفاقية في يومه الثالث من رئاسته للولايات المتحدة، معلنا حربا من السياسات الحمائية ضد البضائع الصينية، ما دفع الصين لاتخاذ إجراءات مماثلة بالمقابل لتنطلق شرارة الحرب التجارية التي توقع المراقبون حتمية وصولها في النهاية إلى صدام عسكري بين القوتين العالميتين.

تشتيت الحلفاء

يتذكر المراقبون الدور الأمريكي التاريخي الداعم لقيام اتحاد أوروبي قوي إبان الحرب الباردة حتى انهيار وتفكك الاتحاد السوفييتي مطلع تسعينيات القرن الماضي، وقد أنصب ذلك العمل في إطار جهود توليد مصالح اقتصادية وسياسية بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة على خلفية ايديولوجية تتبنى وجهات نظر الليبرالية والديمقراطية في مواجهة الشمولية الايديولوجية الشيوعية التي يتبناها الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية السائرة في فلكه.

وكان من أهم أدوات الصراع بين قطبي الحرب الباردة في تلك الحقبة، اللجنة التي عرفت باسم «لجنة تنسيق ضوابط الصادرات متعددة الأطراف» التي عملت على تنسيق السياسات الاقتصادية المنظمة للعلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين من جهة، في مواجهة الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية في الجهة المقابلة. وقد انتهى عمل هذه اللجنة وحلت عام 1994 إيذاناً بانتهاء الحرب الباردة، وهنا يسأل البعض: لماذا لم يصار إلى تفعيل هذه اللجنة في إطار الجهود الأمريكية في حربها التجارية على الصين؟ لكن يبدو إن سياسات ترامب التي أنتهجها تحت شعار «أمريكا أولا» قد تسببت في تفتيت شمل العلاقة القديمة بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

إذ أعلن ترامب الحرب على حلفائه بنفس الشراسة التي أعلنها على خصومه الصينيين وحلفائهم، وقد أقرت إدارة ترامب سياسات حمائية تمثلت في رفع التعريفة الجمركية على الواردات الأوروبية، ما أبعد أهم القوى الأوروبية كألمانيا وفرنسا عن التعاطي مع الأهداف الأمريكية، وأخذت تفكر بمرونة في أمر التعاطي مع شروط بكين الأكثر يسرا من تشدد واشنطن.

وربما كانت أبرز تجليات الحرب التجارية بين الولايات المتحدة والصين هي حرب شركات التقنيات والاتصالات التي باتت احتكارا رسميا للصينيين نتيجة التقدم الذي أحرزته شركاتهم في ما يعرف بتكنولوجيا الجيل الخامس في قطاع الاتصالات «5G». فقد سعت إدارة ترامب إلى فرض العقوبات على شركة هواوي الصينية العملاقة بالإضافة إلى مجموعة «ZTA» الحكومية الصينية وقد حذرت الولايات المتحدة شركائها الأوروبيين من السماح لهاتين الشركتين باحتكار سوق «5G» في أوروبا، نتيجة مخاوف واشنطن من أن هذا الإجراء قد يشكل خطراً على الأمن القومي للدول التي تسلم معلوماتها بيد الشركات الصينية.

من جانبها أكدت «الجمعية الدولية لشبكات الهاتف المحمول» المعنية بمصالح شركات تشغيل شبكات الاتصال في العالم أن العقوبات المفروضة على عملاق الاتصالات الصيني هواوي ومنعها مع « 5G» وكانت هذه الخطوة بمثابة صفعة وجهها البريطانيون لحلفائهم الأمريكيين، الذين أمضوا أشهراً عدة في الضغط على البريطانيين بهدف منع شركة هواوي من دخول السوق البريطاني، بسبب مخاطر أمنية مزعومة حول علاقات الشركة مع الحكومة الصينية. ولإقناع حكومة بوريس جونسون بخطر العلاقة مع الصينيين، أرسلت إدارة ترامب معلومات استخباراتية، وأدلة عسكرية إلى المملكة المتحدة مفادها أن شركة هواوي يمكن أن تتجسس على شبكات الدول الأجنبية، لكن رد الحكومة البريطانية جاء محاولا إمساك العصا من النصف، إذ أعلنت حكومة جونسون إنها ستسعد تقنية شركة هواوي عن الأجزاء الحساسة لشبكة «5G» الجديدة في الدولة، بيد أنها لن تسير على خطى الولايات المتحدة، وأستراليا، واليابان في منع دخول الشركة الصينية إلى السوق البريطاني، ويبدو أن شركاء آخرين مثل ألمانيا والهند وكوريا الجنوبية في طريقهم لاتخاذ الخطوة البريطانية نفسها. ما يعني انتكاسا لسياسات ترامب في حربه التجارية على الصين.

موازنة المواقف

كان المتوقع من حكومة بوريس جونسون أن تكون الأقرب أوروبيا لحكومة دونالد ترامب، نتيجة تقارب رؤى الرجلين، لكن الواقع على الأرض أفرز نتائج مختلفة جدا، ففي أواخر كانون الثاني/يناير الماضي، أعلن رئيس الحكومة البريطانية، أن المملكة المتحدة ستسمح لشركة الاتصالات الصينية هواوي بتزويد بريطانيا بالتجهيزات الخاصة من الجيل الخامس لشبكة الهواتف المحمولة في المملكة المتحدة، وذلك بالرغم من الضغوط الأمريكية الهائلة المستمرة للأوروبيين بزيادة نفقاتهم العسكرية في إطار الحلف.

وفي آخر اجتماع لقيادات حلف الناتو الذي عقد في لندن في كانون الاول/ديسمبر 2019 بمناسبة الذكرى الـ 70 لتأسيسه، أشار الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون واصفا حلف الناتو بأنه «ميت دماغيا» ما أثار استياء الرئيس ترامب الذي رد واصفا تصريحات ماكرون بأنها» مقرفة ومسيئة». ويسعى ترامب ضمن سياسته المتمحورة حول شعار «أمريكا أولا» إلى خلق حلف يسير خلف قيادته من دون أي اعتراض أو نقاش، وهذا أمر تعارضه قوى مهمة في الحلف مثل ألمانيا وفرنسا.

وبالرغم من التفوق العسكري الأمريكي على الصين، إلا أن سياسات ترامب ستحاول جر حلف الناتو ليكون داعما للولايات المتحدة في حال دخولها صراعا عسكريا مع الصين، إلا إن حال الحلف والنزاعات التي تمزقه لا يبشر باتخاذ مواقف داعمة لسياسات ترامب، بل إن مواقف الشركاء الأوروبيين باتت أكثر ابتعادا عن سياسات ترامب الاستفزازية والاستعلائية على شركائه، في حين تسعى الصين لترسيخ اتفاقات عسكرية مع روسيا لمواجهة التهديدات الأمريكية.

حلف الناتو

ربما انحدرت سياسة الرئيس دونالد ترامب الساعية لتفتيت الاتحاد الأوروبي إلى مسارات خطيرة فيما يخص رسم سياسات الاستراتيجية الأمريكية المتعلقة بالأمن القومي عندما فرض رؤيته القائمة على حسابات الربح والخسارة الفجة والتأكيد على تقليص الدور الأمريكي في حلف الناتو الاستراتيجي. فمن المعروف إن الولايات المتحدة لعبت دورا محوريا في إيجاد الحلف وتحملت العبء الأكبر ماليا عبر تاريخ الحلف الممتد منذ الخمسينات حتى الآن.

لكن سياسات ترامب انصبت على تقريع الشركاء في الحلف ومطالبتهم بزيادة الانفاق العسكري، ولطالما صرح ترامب بالقول إن «حلف الناتو لا يعاملنا بشكل عادل، لكنني أظن أننا سنتوصل لحل. نحن ندفع الكثير جدا وهم يدفعون القليل جدا» متداركا «لكن سنصل إلى حل، وكل الدول ستكون سعيدة». كما كتب ترامب في تغريدة على حسابه في تويتر؛ إن «دولا عدة في حلف الناتو نحن من يدافع عنها، لا تكتفي بعدم الوفاء بتعهد تخصيص 2 في المئة من دخلها القومي للإنفاق العسكري، لكنها تقصر منذ أعوام في تحمل نفقات لا تسددها. هل ستسدد المتأخرات المستحقة بذمتها للولايات المتحدة؟» وذلك في سياق مطالبته المستمرة للأوروبيين بزيادة نفقاتهم العسكرية في إطار الحلف.

التوتر بين الصين والولايات المتحدة داخل المنظمة الدولية وخارجها

الرئيس الأمريكي والصيني

نيويورك–«القدس العربي:
عبد الحميد صيام

في مؤتمره الصحافي يوم 30 نيسان/ أبريل كان الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، واضحا في توجيه انتقاد غير مباشر للدولتين العظميين، الصين والولايات المتحدة، على طريقة أدائهما في مواجهة جائحة كورونا. وقال: «إن هناك غيابا في القيادة الدولية. ما نراه أيضا أن المجتمع الدولي منقسم في مواجهة هذا الوباء، وكان من المفروض أن يتحد. إنها مشكلة قيادة. نحن نرى نماذج عظيمة للقيادة لكن ليست مشفوعة بالقوة، وأينما نرى القوة تكون القيادة غائبة».

الخلافات داخل مجلس الأمن الدولي

بعد نحو أربعة أشهر من بداية الأزمة لم يصدر عن مجلس الأمن أي موقف رسمي من الوباء بعكس الأوبئة السابقة مثل الإيبولا والأيدز، والخلاف يدور أساسا بين الصين والولايات المتحدة. وهذا الخلاف عطل دور مجلس الأمن في وقت كان العالم يبحث عن مواجهة موحدة لخطر يهدد البشرية جمعاء من دون استثناء.

تبدأ الحكاية في شهر آذار/مارس الماضي عندما رفعت منظمة الصحة العالمية تصنيف كوفيد–19 من وباء صحي طارئ إلى جائحة. كانت رئاسة مجلس الأمن من نصيب الصين. وقد صدف أن بدأت المنظمة الدولية إجراءات الحجر والعمل من البيوت واستخدام تقنيات الفيديو عن بعد لعقد الاجتماعات. وعندما سئل السفير الصيني، زانغ جون، إذا ما كان المجلس سيبحث مسألة الخطر الذي يمثله وباء كورونا قال: «إن أعضاء مجلس الأمن يشعرون بشكل عام أن ليست هناك ضرورة للرعب في هذه الفترة. وسيبقون يراقبون الوضع. كوفيد–19 ليس مطروحا على جدول أعمال المجلس لشهر آذار/مارس». وتابع قائلا عند السؤال عن الأسباب: «إن الفيروس يقع ضمن مظلة قضايا الصحة العالمية العالمية وليس تحت رزمة قضايا مجلس الأمن المهتم بمسائل الأمن والسلم الدوليين».

انتقلت رئاسة المجلس في شهر نيسان/أبريل إلى الجمهورية الدومينكانية، وحاول السفير، خوزيه سنغر، أن يجمع مجلس الأمن لبحث جائحة كورونا فنجح في عقد جلسة مشاورات مغلقة يوم 9 نيسان/ أبريل بناء على طلب من الدول العشر المنتخبة ولم ينتج عن الاجتماع شيء. في الوقت نفسه حاولت إستونيا أن تتقدم بمشروع قرار مختصر مفيد يعتبر الجائحة تهديدا للسلم والأمن الدوليين. لكنها عادت وتراجعت عن الفكرة وتركت الأمور للتشاور أولا بين الدول المنتخبة العشر.

لكن تونس صاغت مبادرة جديدة وعرضتها على الدول العشر. يقول السفير التونسي الجديد لدى الأمم المتحدة، قيس قبطني، الذي وصل في آذار/مارس، إنه توجه للتشاور مع مجموعة الدول العشر غير دائمة العضوية ودخل معها في مفاوضات طويلة، ثم توصلت المجموعة إلى صيغة توافقية حول مشروع قرار جديد. ثم قامت مجموعة الدول العشر بالتوجه، من موقع قوة وبين يديها المشروع الذي صاغته تونس، نحو الدول دائمة العضوية الخمس التي دبت بينها الخلافات. هذا الأمر أجبر الدول دائمة العضوية على التعامل مع الموضوع بشكل أكثر إلحاحاً. انضمت فرنسا التي كانت تعمل على مشروع قرار خاص بها، وبعد مشاورات مع الجانب الفرنسي، تم دمج النصّين معاً، ثم عرض على كامل أعضاء المجلس، ولاقى القبول من الغالبية إلا من الولايات المتحدة والصين.

ومشروع القرار يشير، بعد التأكيد على أن جائحة كوفيد–19 تشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين، إلى الحاجة الملحة إلى تعزيز التنسيق بين جميع البلدان، وكذلك جميع الكيانات ذات الصلة في منظومة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والإقليمية ودون الإقليمية للمساعدة في الكفاح العالمي ضد كوفيد–19. ويشير مشروع القرار إلى الأثر السلبي غير المتناسب للوباء على الفتيات والنساء والأطفال، واللاجئين والمشردين والمسنين وذوي الاحتياجات الخاصة. كما يؤيد دعوة الأمين العام لوقف إطلاق النار في جميع النزاعات.

إلا أن الخلافات بين الصين والولايات المتحدة عطلت أي تقدم نحو التصويت على مشروع القرار. وقد تمحورت الخلافات حول بندين: الولايات المتحدة كانت تصر على ذكر مدينة «ووهان» باعتبارها المصدر الأساسي للوباء ثم أصرت على ذكر تقصير منظمة الصحة العالمية في التعامل مع الأزمة لكن أحدا من بقية الأعضاء لم يؤيد الولايات المتحدة في المطلبين بحرفيتهما.

الولايات المتحدة من جهتها تراجعت عن ذكر ووهان في نص مشروع القرار، والدول العشر تفاوضت حول لغة لا تشير بالإسم إلى منظمة الصحة العالمية لكن بطريقة ما تشير إلى المنظات المتخصصة وضرورة أن تقوم بأدوارها حسب الولاية التي يمنحها إياها المجتمع الدولي. هناك أخبار متداولة اليوم حول مشاورات على أعلى مستويات بين الدول دائمة العضوية، وحديث عن وساطات فرنسية وأخرى روسية. قد يحسم الموضوع خلال الأيام المقبلة، طالما أنها المسألة الوحيدة العالقة تقريباً، فلا أحد يريد إسقاط مشروع القرار والعالم ينتظر أن يسمع كلمة موحدة من مجلس الأمن الدولي حول وباء كورونا ومكافحته.

الخلافات خارج مجلس الأمن

في 6 أيار/مايو اتهم وزير الخارجية الأمريكي، مايك بومبيو، في مؤتمر صحافي، الصين بالمسؤولية عن تفشي فيروس كوفيد–19 وهي تهمة ترددت كثيرا من الرئيس ترامب ووزير خارجيته مؤخرا في مؤتمراتهما الصحافية ولقاءاتهما على البرامج التلفزيونية والصحف على مدار الأسابيع الثلاثة الماضية. وقد أكد ترامب وجود معلومات تشير إلى أن فيروس كوفيد–19 خرج من مختبر ووهان، من دون أن يؤكد ما إن كان ذلك عملا متعمدا أم لا، متوعدا الصين بعقوبات وإجراءات مشتددة في حال لم توضح مصدر الفيروس وكيفية انتشاره. وما فتئ الرئيس الأمريكي يتهم الصين في كل مناسبة بأنها وراء تفشي جائحة كورونا، ويصر على أنه كان يتعين عليها إبلاغ العالم بالفيروس وأنها أخفت المعلومات عمدا.

لكن ترامب في تصريحاته الهائجة تلك والموجهة أساسا لأنصاره مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية ناقض تقارير الأجهزة الاستخبارية وتقييم العلماء كذلك. فتقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «CIA» اكد أن الفيروس لم يتم تطويره في المختبرات وإنما تطور بشكل طبيعي، ويؤكد أن تحذيرات الوكالة منذ بدايات كانون الثاني/يناير لم يبد الرئيس أي اهتمام بها. (تقرير مجلة تايم الصادر في 1 أيار/مايو 2020). من جهته استبعد مدير «المعهد القومي الأمريكي للحساسية والأمراض المعدية» أنتوني فاوتشي، أن يكون فيروس كورونا قد صنع في مختبر في الصين، وذلك استنادا إلى أدلة علمية. وشرح فاوتشي في مقابلة مع المجلة الشهرية «ناشيونال جيوغرافيك» نشرت يوم الاثنين، 4 أيار/مايو أن «أفضل الأدلة التي نمتلكها تظهر أن فيروس كورونا المستجد الذي خلف الوباء لم يُصنع في مختبر في الصين، بل إن التطور التدريجي للفيروس، وبمرور الوقت يشير بقوة إلى أنه تطور في الطبيعة ومن ثم قفز إلى الخارج».

التهمة الثانية التي وجهها ترامب للصين هي تضليلها لمنظمة الصحة العالمية التي يصر الرئيس الأمريكي على أنها ارتكبت خطأ فظيعا لأنها «تدور في فلك الصين ولا تعارضها في أي شيء» مضيفا أنه قرر تعليق تمويل المنظمة الذي يصل إلى نحو 450 مليون دولار سنويا، بينما تمولها الصين بعشر هذا المبلغ. وأصر على أن القادة الصينيين لم يبلغوا منظمة الصحة العالمية بحالة العدوى بالفيروس طيلة شهر كانون الثاني/يناير الماضي للتقليل من شدته. بل تمادى بومبيو وبعض أعضاء مجلس الشيوخ من الجمهوريين بالحديث عن إيجاد بديل لمنظمة الصحة العالمية تتحلى بالشفافية والتحرر من الفساد وطالبوا باستقالة المدير العام، الدكتور الإثيوبي تـادروس أدهانوم غيبريسيوس، وعادوا وفتشوا عن ماضيه واكتشفوا أنه كان شيوعيا ومن هنا جاء تعاطفه مع الصين.

الصين من جهتها لم تسكت على هذه الاتهامات. وكما تصدت للمساعي الأمريكية في مجلس الأمن قامت أيضا باتهام الإدارة الأمريكية بالكذب ومحاولة تحويل الأنظار عن فشل إدارة ترامب في مواجهة الحالة الطارئة. فقد علقت المتحدثة باسم الخارجية الصينية، هوا تشون ينغ، على تصريحات بومبيو قائلة بأنه «يتعمد مواصلة الكذب في إطار هجومه المستمر على بلادنا فيما يتعلق بجائحة فيروس كورونا» مؤكدة أن الحكومة الصينية التزمت بالشفافية التامة إزاء الفيروس الذي بدأ تفشيه في العالم من مدينة ووهان الصينية أواخر العام الماضي. وقالت المتحدثة: «على الرئيس الأمريكي ترامب، الذي قارن بين جائحة كورونا والهجوم الياباني على بيرل هاربر وأحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 أن يتذكر أن العدو الذي تواجهه الولايات المتحدة هو الفيروس وليس الصين، وأن من الأجدى بالولايات المتحدة التعاون لمواجهة العدو المشترك بدلا من توجيه الاتهامات». وحذرت وزارة الخارجية الصينية الأربعاء 6 أيار/مايو من استخدام الرسوم الجمركية كسلاح، وذلك بعد أن هدد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الأسبوع الماضي برسوم جمركية جديدة كإجراء عقابي ردا على طريقة تعامل بيجين مع أزمة فيروس كورونا.

تبدو الصورة الآن أن الأزمة في طريقها إلى التصاعد وخاصة بعد الحديث عن تقديم شكاوى ضد الصين تطالب بأرقام خيالية كنوع من التعويضات. إنها حملة أمريكية أساسا وراءها ترامب كنوع من تصدير أزمته الداخلية خاصة أن غالبية الأمريكيين تعتقد أنه لم يحسن إدارة الأزمة والآن يريد أن يتفلت هو من المسؤولية ويلقي بها على عاتق الصين ومنظمة الصحة العالمية. إنه يريد أن يبقى في عيون مريديه الرئيس القوي الذي على استعداد أن يواجه الثنين الصيني الذي بدأ يزاحم الولايات المتحدة على المركز الأول في حجم الاقتصاد والتجارة الخارجية والناتج القومي الإجمالي. فترامب منذ بداية حملته الانتخابية عام 2016 ما فتئ يكرر انتقاداته للصين ويندد بسياساتها، وضرورة كبح جماح قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

إننا نعتقد أن الولايات المتحدة قد فشلت على مستويين: المستوى الأول في إدارة التصدي للجائحة بطريقة حكيمة وعلمية وحازمة، وثانيا فشلت في أن تكون النموذج الجيد لدور الدولة العظمى التي تستخدم قوتها الناعمة في مثل هذه الظروف لقيادة معركة عالمية ضد عدو مشترك يشكل تهديدا لكل الدول وكل الجنسيات وكل الشعوب. هذه المواجهة بين العملاقين تهدد بتفاقم أزمة الكورونا والتي قد تنعكس على دخول العالم مرحلة الانهيار الاقتصادي الذي سيطال 62 في المئة من سكان العالم في 170 بلدا في أقل التقديرات ويرمي بـ 650 مليونا في براثن الفقر ويهدد 265 مليون إنسان بخطر المجاعة، كما قال مارك لوكوك، منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية. لعل الدولتين الكبريين تتداركان الخطر المحدق في الدقائق الخمس قبل منتصف الليل.

في فيروس كورونا ترامب يقول اللوم ليس علي ولكن على الصين ومن حقي الفوز بولاية ثانية

إبراهيم درويش

كشفت المقابلة التي أجرتها قناة «فوكس اند فريندز» الجمعة الماضية مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن توجهاته في التعامل مع أسوأ وباء يجتاح الولايات المتحدة، وكانت الرسالة «لا تحملوني المسؤولية» عن عدد الإصابات التي تجاوزت مليون إصابة وأكثر من 79.000 وفـاة. ولا تحملوني مسؤولية انهيار الاقتصاد وثلاثين مليون عاطل عن العمل. عليكم أن تحملوا الصين. وهي الرسالة التي تتردد منذ وقت في أروقة البيت الأبيض والإعلام الذي يؤيده مثل فوكس والتي يملكها روبرت ميردوخ، وتم التركيز فيها على الصين كطرف مسؤول عن الوباء الذي اجتاح العالم وسط حرب كلامية دائرة بين البلدين.

فرص ضائعة

فمنذ اكتشافه عدد الوفيات ومن يموت في هذه الأزمة قرر ترامب أن يحرف النقاش في الولايات المتحدة عن قصور إدارته وتأخرها بـالـرد على كوفيـد–19 الـذي انتشر مثل الهشيم. وبات معلوما أن إدارة ترامب ضيعت فرصا وقللت من خطورة المرض، وفكر ترامب مثل بقية الدول الأوروبية، خاصة بريطانيا أن الصين بعيدة وأن المرض الذي بدأ بالانتشار هناك سينحصر في البؤرة الأولى وهي مدينة ووهان. وكان ترامب يعتقد أن الوباء لن يؤثر على حظوظ انتخابه، فنحن في عام انتخابات وبعد ستة أشهر سيقرر الناخب الأمريكي رئيسه للسنوات الأربع المقبلة. وكانت حملة ترامب تعول على الاقتصاد، وتفاخر «صانع الصفقات» بأنه أقـام أقـوى اقتصاد في العالم. ولكن الحملة انهارت سريعا مع بداية تصاعد أعداد الإصابات والوفيات. ومن هنا قرر الرئيس ترامب أن يكون نجم الإيجازات اليومية ويواجه الإعلام في محاولة لتمرير رسائله الانتخابية التي باتت حملته تكافح من أجل تمريرها في ظل السخط العام على طريقة الإدارة المتخبطة في التعامل مع الأزمة. وما كشفت عنه عدة استطلاعات عن تراجع في شعبية الرئيس.

قائد حرب يهرب من المسؤولية

ومن هنا فرسالة «لا تحملوني المسؤولية» هي جزء من التحلل من الأخطاء ورمي التهمة أولا على منظمة الصحة العالمية التي اتهمها بأنها أخفت معلومات عن الرأي العام العالمي حول أصول الفيروس. ووجد ترامب وأنصاره في تغريدة للمنظمة في 14 كانون الثاني/يناير قللت فيها من إمكانية انتشار المرض من شخص لآخر. ورغم أن المنظمة غيرت الرسالة عندما بات واضحا أن الفيروس قد قفز من حيوان بري إلى شخص. ولم يغفر ترامب المتقلب المتخبط بالأزمة فعاقب المنظمة وشن حربا عليها وقطع المشاركة الأمريكية ودعا للتحقيق في دورها في انتشار الوباء. وهذه هي طريقته المعهودة في حرف المسؤولية عنه وتحميلها لطرف آخر. فمنذ انتخابه أظهر هوسا في إرث باراك أوباما الذي حمله كل أثام أمريكا، فكل مأساة هي من صناعة أوباما وإدارته السابقة، ولهذا فلن يفكك كل إنجاز حققه أول رئيس أمريكي أسود. ومع أن المنظمة دافعت عن نفسها وقالت إنها كانت واضحة في تمرير الرسائل إلى الحكومات وأن الممثلين الأمريكيين فيها كانوا يرسلون للإدارة تقارير يومية حذروها من خطورة الوباء إلا أن ترامب قرر تجاهلها. وكعادته أشعل الإعلام في محاولة اتهام المنظمة الدولية، في محاولة للتغطية على قصوره. ومن هنا تقول صحيفة «لوس أنجليس تايمز» (2020/5/8) أن رسالة لا تحملوني المسؤولية مخاطرة تقوم على افتراض أن الناخب الأمريكي سيكافئه ولن يحمله مسؤولية الكارثة التي حدثت أمام ناظريه. وفي تلك المقابلة الطويلة قال إن ما حدث كان متوقعا وأنه سيعيد عجلة الاقتصاد إلى ما كانت عليه. وأردف أن الديمقراطيين لم يلوموه على ما حدث، وهو ما رفضه القادة الديمقراطيون. وتعلق الصحيفة أن أي رئيس لا يحب تحمل المسؤولية عندما يحدث أمر سيء ولكن الغرابة تنبع من رئيس نصب نفسه «قائد حرب» ولكنه قرر أنه لا يتحمل المسؤولية ولا حتى التأثير. وهو وضع يزعيم الحرب البريطاني بوريس جونسون، عندما أشغلت إصابته بكوفيد–19 الـرأي العام البريطاني وتم تناسي الضحايا الحقيقيين في الحرب ضد كوفيد–19 وهو ما دعا بولي توينبي لوصفه في صحيفة «الغـارديـان» (2020/4/20) بأنه الزعيم السيء في الوقت الخطأ والمنصب الخطأ.

المتنمر الآخر

لكن الأمر في حالة ترامب تجاوز التحلل من المسؤولية إلى نقلها إلى الصين. وتكراره ما وزير خارجيته مايك بومبيو، الذي يعرف ما يفكر به سيده ويتصرف بناء عليه. وهي نظرية تسرب فيروس كورونا من مختبر ووهان للفيروسات. وهو أكبر معهد في العالم مكرس للفيروسات الخبيثة. وظل بومبيو يصف الفيروس بـ «فيروس ووهان» وخرب اجتماعا لمجموعة الدول السبع الكبار عندما أصر على تضمين الوصف في البيان الختامي، حيث خرج المجتمعون بدون بيان. ورأى معلق صحيفة «واشنطن بوست» (2020/5/5) أن أكبر دبلوماسي أمريكي، أي بومبيو انشغل وسط الحرب الدائرة على الفيروس بالموضوعات المحببة إلى نفسه خاصة إيران التي أضاف إليها الصين، حيث أصبح متنمرا ويتصرف ببلطجية عالية أدت لدهشة نظرائه من الدول الحليفة في أوروبا وآسيا. ففي هذه الظروف الطارئة يتطلع المجتمع الدولي لقيادة يثق بها وكانت غائبة في كوفيد–19. بل وبات الحلفاء لأمريكا يخشون من مغبة تصرفات ترامب وحلفائه الذين يدفعون للمواجهة مع الصين التي تتحمل جزءا من المسؤولية وعليها الإجابة على عدد من الأسئلة وفيما إن كانت قد تأخرت في إخبار العالم عن الفيروس وإن كان جاء نتيجة تجربة أو من الأسواق التي تنتشر في الصين ومنها واحد قريب من معهد ووهـان للفيروسات. ورأت صحيفة «فاينشال تايمز» (2020/5/7) في افتتاحيتها أن العالم بات يخشى من إدارة ترامب التي تشن الحروب الكلامية من دون أن تعمل أي شيء. صحيح أن المسؤولين في البيت الأبيض يدرسون إمكانية تقديم الصين إلى المحاكم الأمريكية، لكن عملية كهذه ضمن القانون الدولي مشكوك فيها. والمشكلة هي أن غياب القيادة الأمريكية يعني أن التوصل إلى موقف موحد في قضايا الصحة العالمية يعد أمرا مستحيلا. وهو ما أشارته مجلة «بوليتكو» (2020/5/3) عندما تحدثت عن غياب الولايات المتحدة عن اجتماعين مهمين دعا إلى الأول مدير منظمة الصحة والـثـاني دعـت إليه رئيس المفوضية الأوروبـية أورسـلا فاندير لين، الأسبوع الماضي، ورغم محاولاتها دفع أمريكا للمشاركة إلا أن المؤتمر عقد واستطاع جمع مليارات الدولارات لدعم البحث العلمي والتوصل إلى عقار جديد. وألمحت المجلة في تقريرها إلى أن ترامب وإدارته يحاولون تحويل عملية المنافسة على تطوير عقار لمكافحة الفيروس إلى معركة احتكار، متخليا في هذا عن سياسة أمريكا السابقة والتقليدية في مواجهة الأوبئة العالمية، وتقديم الدعم المالي والعلمي للجهود. فهو يتعامل مع المسألة وكأنها محاولة للسيطرة على العالم، وبحسه الخائف يخشى من تطوير الصين عقار أولا مما يعني أنها ستحكم العالم كما قال مسؤول.

بدون تعاطف

وهنا تجب الملاحظة أن تصريحات ترامب وتعامله مع الأزمـة كشفت عن غياب حس التعاطف مع المرضى الأمريكيين أو الموتى، فلم يظهر إلا قليلا مع المرضى، ورفض مثل نائبه مايك بنس الذي زار أهم مركز طبي في أمريكا «مايو كلينك» ارتداء القناع. بل وتحولت الأزمة إلى فرصة لإرضاء الحلفاء وفتح فرص لهم للاستفادة كما كشفت صحيفة «نيويورك تايمز» (2020/5/6) التي تحدثت عن المعوقات التي وضعها جارد كوشنر وفريقه الموازي لمواجهة الأزمة عمل الأجهزة الفدرالية. وطلب من المتطوعين حسب الصحيفة تحديد قائمة «أسماء من الشخصيات الهامة» التي تعتبر موالية لمنحها فرصا تجارية. وكشفت كيف تم منح مهندس من سيلكون فالي عقدا لتوفير منافس بـ 69 مليون دولار ولكنه لم يستطع توفير أي منها. ووسط هذا التخبط بدت منظمة الصحة العالمية كبش فداء، فالهجوم عليها كان رسالة إلى قاعدته الانتخابية ثم جاءت المواجهة مع الصين التي تتهم حسب تقرير في صحيفة «التايمز» (2020/5/4) البريطانية، وهي من مجموعة روبرت ميردوخ ونقلت فيه عن جنرال متقاعد ومستشار قالت إنه غير رسمي حذر فيه من تصاعد قوة الصين في منطقة جنوب شرق آسيا، وقال إن المحافظين في أمريكا باتوا يراقبون تحركات بيجين في بحر الصين الجنوبي وما قبل عن مواجهة بين بارجة أمريكية وزوارق صينية في منطقة متنازع عليها. وهي رسائل يقصد منها تخويف الرأي العام من الصين وتحويلها إلى بعبع.

إصرار بدون دليل

في كل هذه الحملة أصر ترامب وبومبيو أن لديهما «الدليل القاطع» على تورط الصين في تهريب الفيروس من المختبر، وعندما سئل الرئيس قال إنه سيقدم تقريرا، أما بومبيو فقد قال إنه متأكد لكنه لا يستطيع قول المزيد. والمشكلة هي أن مصادرهما هي من أبحاث متوفرة لأي باحث في علم الفيروسات الكثير منها وضعها علماء صينيون للمساهمة في مواجهة كوفيد–19 وتحدث بعضهم عن غياب معايير السلامة في التعامل مع الوطاويط والحيـوانـات البرية الأخـرى التي يسكنها كورونا. ولكن هذا لا يعني أن الفيروس تسرب أو هرب عمدا من المختبر، وهي نتيجة ترددت المؤسسات الأمنية الانجرار إليها عندما قدمت تقريرا قالت فيه أن منشأ الفيروس جاء من خلال اتصال بين إنسان وحيوان في الخريف الماضي ولكن بدون معرفة الطريقة. والتقرير وإن لم يستبعد إمكانية هروبه إلا أنه أكد على أن مصدر الوباء كان الأسواق. وأشار موقع «بلومبيرغ» (2020/5/6) إلى انقسام مجتمع الاستخبارات في تفسير مـا هـو متوفر من معلومات حـول انتشار الـفـيروس، وهـي أدلـة عرضية من مصادر مفتوحة، ذلك أن أمريكا ليست لديها مصادر من الميدان للتأكد من صحة النظرية. وقال الموقع إن ترامب الذي فوجئ بحجم الوفيات قرر التركيز على موضوع يحرف الأنظار، وجـاء بناء على بيانات الاستطلاعات التي كان يقرأها فريق حملة الرئيس وهو يحاول. أن 45 في المئة بمن فيهم ثلثا الجمهوريين يؤمنون بنظرية هروب الفيروس من المختبر. وحتى الدكتور أنطوني فوتشي، مدير المعهد الوطني للحساسية والأمراض المعدية، وهو كبير الخبراء في هذا المجال على مستوى العالم استبعد في مقابلة مع مجلة «ناشونال جيوغرافيك» (2020/5/4) نظرية صناعة الفيروس في المختبر وقال: «لو نظرت إلى تطور الفيروس في الخفافيش وما هو موجود كان يقرأها فريق حملة الرئيس وهو يحاول. ففي استطلاع بوغوف/ايكونوميست كشف الآن أن مصدر الوباء ونسبة انتقاله من مختبر في ووهان لا تتعدى 5 في المئة حسب تأكيد الحكومة الأسترالية. ويضيف أن دخول ميردوخ على العملية كلها مصممة لخدمات سياسات الانتخابات الرئاسية الأمريكية: فهناك ثلاثة موضوعات في الحملة وهي تعامل ترامب مع الفيروس وكيفية إخراج أمريكا من اقتصاد أثر عليه الفيروس ومن سيكون أكثر تشددا تجاه الصين–ترامب أو «بايدن بيجين» حسب وصف الجمهوريين للمرشح الديمقراطي جوزيف بـايـدن، ولا شيء غير هذا. وذكر كيف قادت حرب العراق والخداع الذي تم فيها لتدميره وقتل الآلاف وخلق أزمة مهاجرين وصعود تنظيم «الدولة» ما ورط أمريكا في الشرق الأوسط وأشغلها عن الصين وصعودها.

درس العراق من جديد

وما نراه في تركيز ترامب وبومبيو ومن يقف معهما من الصحافة الميردوخية هو بناء حالة كتلك التي خدعت الرأي العام بأن صدام حسين كان يطور أسلحة دمار شامل. ويعتقد رئيس وزراء أستراليا السابق كيفن راد أن ترامب وصحافة ميردوخ لم تع درس العراق وتقوم بحملة لإقناع الرأي العام بأن الصين هي المسؤولة عن الفيروس. وكانت صحيفة ميردوخ «أستراليان ديلي تلغراف» قد نشرت تقريرا قالت فيه إنها حصلت عليه من مصادر استخباراتية يؤكد ضلوع بيجين بالجريمة. وعلق راد في مقاله الذي نشرته «الغارديان» (2020/5/8) على أن الصحيفة الأسترالية المحت إلى أن التقرير هو من إعداد مجموعة «العيون الخمسة» التي تضم أجهزة استخبارات أمريكا وكندا وبريطانيا واستراليا ونيوزلندا، وتم تمرير التقرير الصحافي كوثيقة صادقة من إعلام ميردوخ الأسترالي إلى إعلامه في أمريكا. وحاول تقديم مصداقية على مزاعم الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته، والهدف من هذه العملية هو دعم ترامب في عملية إعادة انتخابه. ويرى راد الا أحد يعرف حتى الآن مصدر الوباء ونسبة انتقاله من مختبر في ووهان لا تتعدى 5 في المئة حسب تأكيد الحكومة الأسترالية. ويضيف أن دخول ميردوخ على العملية كلها مصممة لخدمات سياسات الانتخابات الرئاسية الأمريكية: فهناك ثلاثة موضوعات في الحملة وهي تعامل ترامب مع الفيروس وكيفية إخراج أمريكا من اقتصاد أثر عليه الفيروس ومن سيكون أكثر تشددا تجاه الصين–ترامب أو «بايدن بيجين» حسب وصف الجمهوريين للمرشح الديمقراطي جوزيف بـايـدن، ولا شيء غير هذا. وذكر كيف قادت حرب العراق والخداع الذي تم فيها لتدميره وقتل الآلاف وخلق أزمة مهاجرين وصعود تنظيم «الدولة» ما ورط أمريكا في الشرق الأوسط وأشغلها عن الصين وصعودها.

حوار

أستاذ علم الاجتماع التونسي د. منير السعيداني:

أكبر ما يهدّد فرص نجاح الانتقال الديمقراطي في تونس هو عجزه عن أن يكون منصفا من منظور العدالة الاجتماعية

حاورته: روعة قاسم

تطرق د. منير السعيداني في هذا الحوار لـ «القدس العربي» إلى التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها المجتمع، معتبرا أن مناقشة أدوار علم الاجتماع بتقلبات عدة في تونس، منها المساعدة على البناء الوطني، والتنبيه إلى مآزقه، واستشراف مستقبلاته الممكنة. وأكد أن الممارسة السوسيولوجية البحثية قد تغيرت في البلاد في مستوى آليات إنتاج المعرفة السوسيولوجية وفي كيفيّات تداولها. وأضاف أن تهميش الشباب جعل بعض الفئات تحوّله إلى مُبَرِّر اجتماعي للانفصال الواعي عن «مجتمع الدّولة». يشار إلى أن السعيداني هو أستاذ علم الاجتماع في المعهد العالّي للعلوم الإنسانية في تونس ونال عددا من التكريمات والجوائز، وهو باحث زائر لدى معهد الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة جورج أوغست، غوتنغن ألمانيا. ولديه عديد الأبحاث المنشورة والمؤلفات، إضافة إلى عديد المقالات بالإنكليزية والفرنسية. وفي ما يلي نص الحوار:

○ تونس رائدة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي بلد عالم الاجتماع ابن خلدون، هل تعتقدون أنها وصلت ما بدأه بطريقة ما؟

● لست متيقنا من أحقية اعتبار تونس رائدة في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ولا يكفي بطبيعة الحال أن تكون بلد ابن خلدون (1332–1406) حتى تكون كذلك. لقد تبين من الدراسات في تاريخ العلوم الإنسانية والاجتماعية العربية أنّ وراثة ابن خلدون، في معنى مواصلة ما بدأه وتعميقه وتطويره ليست أمرا هيّنا. لقد عرف مسار مقدمة ابن خلدون (1377) ذلك الإسهام الأساس في واحدة من أهم وأبكر تأسيسات علوم الاجتماع، لحظات تاريخية كبرى ليس منها تونسيًا إلا القليل. كانت اللحظة الأولى، وهي لحظة التلقي، عربية بشقّين، مشرقي مع ابن حَجَر العسقلاني (1372–1449) الفلسطيني المولد كما يدل عليه لقبه، ومغربي مع ابن الأزرق (1427–1491) الغرناطي المالقي، ولم يكن فيها إسهام تونسي على ما هو معروف اليوم. وكانت اللحظة الثانية، هي لحظة الاتصال ضمن الثقافة الإسلامية، وكانت عثمانية مع كاتب جلبي المعروف بحاجي خليفة (1609–1657) ومصطفى نعيمة (1655–1716) وليس فيها إسهام تونسي. وإذا ما تجاوزنا اللحظة الثالثة، وهي لحظة الاكتشاف الأوروبي للمقدمة، وعلى الخصوص مع الفرنسيين بارتيليمي دربولو دومولانفيل (1625–1695) وسيلفستر دو ساسي (1758–1838) تظل وحدها اللحظة الرابعة ذات إسهام تونس. عنيتُ هنا لحظة إعادة اكتشاف ابن خلدون ومقدمته خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، ضمن النهضة العربية. وربما أضفنا إسهاما آخر، ضمن اللحظة الخامسة التي تبدأ مع إحياء–استدماج المقدمة ومؤلّفها ضمن الأكاديمية العربية الحديثة الناشئة، وذلك منذ أن أنهى طه حسين (1889–1973) دكتوراه عن «فلسفة ابن خلدون الاجتماعية» في سوربون (1917) ونشرها معربة في القاهرة (1925). ويصح الإسهام التونسي في هذه اللحظة الأخيرة على الأخص، انطلاقا من السنوات الستين من القرن العشرين مع انطلاقة الجامعة التونسية.

وربما سمحت لنا هذه المراجعة التاريخية الخاطفة أن نقول إن لحظتي الاستعادة–الموصلة التونسية لما أطلقه ابن خلدون ذاتَ وجهين. أولّهما اعتباري، في معنى الاعتبار بالدروس والعبر التي يحويها أثره والاستدلال بها في قراءة الواقع وعلى الأخص عندما يكون متأزما. وكانت تلك حال لحظة النهضة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر مع خير الدين باشا (1820–1890) وأحمد ابن أبي الضياف (1803–1874) ومحمد بيرم الخامس (1840–1889) حتى أن أول جمعية ثقافية تونسية كانت «الجمعية الخلدونية» (قرار تأسيسها في 1896 وحفل افتتاح نشاطها 1897). ثاني الوجهين معرفي، في معنى الاعتبار قراءة ابن خلدون قراءة تجديدية، بأدوات حديثة، من أجل بناء نَظَر مخصوص في المجتمع في سياق ما بعد استعماري، وحتى ديكولونيالي (مقولات الاستقلال، والبناء الوطني، وتحرير المعرفة السوسيولوجية من استعماريّتها). وللّحظتين، بمعنيي الاعتبار والمعرفة، أهمية بالغة لا في مواصلة ما بدأه ابن خلدون فحسب، ولكن في بناء تجربة تونسية مخصوصة في تدريس علم الاجتماع وخوض البحث فيه.

○ هل نفهم من هذا أن أدوار علم الاجتماع تتغير؟

● نعم، وليس علم الاجتماع شاذا عن بقية العلوم في ذلك، ولا أعني العلوم الإنسانية والاجتماعية فحسب بل العلوم الطبيعية أيضا، وغيرها. من الممكن، طبعا، أن نقول إن المعرفة العلمية الاجتماعية لها على الدوام أدوار دعم جهود المجتمع في بناء أسس العيش المشترك وتوفير مستلزمات الاستجابة لحاجات الناس الأساسية وتطوير قدراتهم الجسدية والذهنية والنفسية، ومساعدتهم على التأقلم مع بيئاتهم الطبيعية والاجتماعية، وعلى الإبداع والتحرّر. ولكن هذه الأدوار تتغير في تخصيصها على كل فترة تاريخية محددة وكل مجتمع بعينه. خصوصية علم الاجتماع أنه معرفة بالمجتمع ذاته في تركيبه، وكيفيات تشكله وآليات تغيّره، مع عدم إغفال ما يعتري ذلك من مآزق وأزمات، وما يكون فيها من رهانات القوة والسلطة وتنازع الهيمنة والتحرر.

ولقد مرت مناقشة أدوار علم الاجتماع بتقلبات عدة في تونس، منها المساعدة على البناء الوطني، والتنبيه إلى مآزقه، واستشراف مستقبلاته الممكنة بما في ذلك مستقبلاته الثقافية، وعرض–تفسير مظاهر التفاوت، واللاعدالة والحيف الاجتماعي، وكان هذا هو، تقريبا، مسار المناقشات التي خيضت بمناسبة الانطلاق في تدرس علم الاجتماع في تونس (ستينات القرن العشرين) وتعريبه (سبعينات القرن العشرين) والتوجه نحو مَهْنَتِه (تسعينات القرن العشرين). ولم تكن أدوار علم الاجتماع بوصفه علما يعتمد البحث الميداني بعيدة عن المناقشات حول أدواره بوصفه مادّةً تُدرَّس في الجامعة. ولكن أهم ما يمكن أن يقال في هذا الصدد هو أن الاختلافات حول تحديد هذا الدور أو ذاك لعلم الاجتماع لم تكن من دون نزاعات تبدو معرفية، وهي كذلك، ولكنها ليست معرفية خالصة، إذ هي في عمقها اجتماعية.

خلال العشريات الماضية على وجه الخصوص، وفي العديد من مناطق العالم، تنامت الدّعوات إلى تأكيد الدور العمومي لعلم الاجتماع. أنا من الداعين إلى هذا الدور، وهو بصدد التنامي في تونس وفي غيرها من البلدان القريبة أيضا، وعلى الأخص منذ ثورات 2010–2011. ويعني هذا الدور تغييرا في كيفية بناء العلم بحيث لا يُكتفَى بوجوده داخل أسوار جامعية ظلت على الأغلب منغلقة على نفسها، بل مع الناس في عمومهم، بمن فيهم غير العارفين، ومن خلال الاشتراك معهم في بنائه الحقائق بالتحقيقات الاجتماعية الواسعة، وإعطاء الكلمة لأفراد المجتمع ومجموعاته وجماعاته، ثمّ بالعودة إليهم بما يتمّ بناؤه من معرفة عالمة بالمجتمع، لمناقشتها وإثرائها وبيان أوجه استخدامها العمومي لفائدة أوسع فئات الناس كما قلتُ.

وقد لاحظتُ أن الممارسة السوسيولوجية البحثية قد تغيرت في تونس في مستوى آليات إنتاج المعرفة السوسيولوجية (بظهور المراكز البحثية الخاصة) وفي ما يهم نوعيّة تلك المعرفة (أكثر مواكبة لحركة المجتمع) وفي كيفيّات تداولها والاستفادة منها (النشر الورقي والافتراضي المكتوب وغير المكتوب). وقد حاولتُ أن أساعد على الاستفاضة في هذا الأمر في بحث منشور مؤخرا بعنوان «التّغير الاجتماعي والتحوّل السّوسيولوجيّ».

○ في هذا السياق، لديكم العديد من المؤلفات التي تناولت التجربة الثورية التونسية مثل كتاب 'التنظيمات السياسية والمدنية في الانتقال الديمقراطي بتونس' إضافة إلى كتاب ثان عنوانه 'يريد ويبدد ما يريد: الشباب في الانتقال الديمقراطي في تونس' (صَدَرَا 2012). ما أهم النتائج التي توصّلتم إليها في دراساتكم حول دور الشباب في الانتقال الديمقراطي؟

● إن سمحتِ لي، أضيفُ إلى ما تفضلتِ بذكره، كتيّب «الحركات الاجتماعية في تونس. السّياقات، الفاعلون، الأفعال وسيناريهات التطوّر المُحْتَمَلة» (2018). حَامَتْ تحاليل الكتيّبات الثلاثة حول التساؤل الرئيسي الذي تفضلتِ بذكره. ويمكن لي أن أقول إنني خَلُصت إلى نتيجة مزدوجة بل حتى متناقضة: وقوع فئات واسعة من الشباب تحت طائلة مظاهر حادّة وعميقة من التهميش واسع النطاق وعدم الاعتراف والاستبعاد والعنف من جهة، وتبوّأها مكانة مركزية في الفعل الاجتماعي المحدّد لمستقبل المجتمع التونسي. ليس الوجه الأول من نتائج الأبحاث جديدًا، ولكن حدّته وعُمقه وخطورته بدت لي ذات مظاهر صارخة، ولذلك علاقة بالوجه الثاني من نتائج الأبحاث. في هذا الوجه الثاني تفاصيل من بينها أن الفئات الشبابية الأكثر انخراطا في ما وَقَفَ عليه الوجه الثاني من نتائج هي بشكل رئيسي الفئات عشرينية الأعمار، والمدينية، والمتعلّمة، وذات الأصول الرّاسخة إلى حد ما في الطبقات الوسطى، الحضرية والقروية، ومتقاربة التوزيع بين شبان وشابّات. ثاني التفاصيل يقول إن المجموعات الأكثر حَرَكَةً من غيرها ضمن هذه الفئات الشبابية ذات ألْفَة بالعنف باستخدام وسائط الاتصال والتواصل، وذات اطلاع واسع على تجارب التحرّر في العالم، وذات تحرّر ملحوظ من التوقوع ضمن الأطر السياسية والإيديولوجية التقليدية. ثالث التفاصيل هو أن فعل المجموعات الشبابية الناضلة كان رئيسيا من خلال الحركات الاجتماعية الجديدة، والحمَلات النضالية والتوعوية، والتعبيرات الفنية والثقافية المتمرّدة. وقفتُ كذلك على أن ثمّة ترابطا قويًا بين التطلّعات الشبابية نحو الدخول إلى الحياة ونضالاتهم. لقد لاحظتُ أنّهم يسعون إلى الدخول إلى الحياة من أبواب اقتصادية (الحصول على شغل/مورد عيش) واجتماعية (الاستقرار، بناء أسرة) وسياسية (المشاركة). ولكن مصاعب التمكّن من الدخول تجعل تلك التطلعات متقابلة بين تطلّعات مؤكّدة وأخرى مُعَادة البناء وأخرى مُتَخَلَّى عنها. وكما لاحظت أن هذه التقلبات ذات أثر مباشر في نضال الشباب، أفرادا ومجموعات، من أجل حيازة الاعتراف وموارد الاستقلال الحياتي. رابع التفاصيل أن هذا النضال الشبابي بخصائصه السابق ذكرها، يقوم في خضم تجارب رائدة في بناء أشكال اجتماعية مُبْتَدَعَة: أشكال نضالية أفقية، طُرُقٌ ظُهور ذات ميزات فنية، إدْرَاجُ النّضال ضمن مجريات الحياة لا اختزالها فيه، تحدثتُ هنا عن فئات شبابية، ثم خصصتُ حديثي عن المجموعات الشبابية الأكثرَ حَرَكَةً. ولكن من المهمّ التنبيه إلى أن قضايا عدم الاعتراف والاستبعاد والحرمان من الموارد أنتجت وتنتج ردود فعل أخرى لدى فئات شبابية غير التي ذكرنا. تستبطن هذه الفئات الوصم الاجتماعي وتحوّله إلى مُبَرِّر اجتماعي للانفصال الواعي عن «مجتمع الدّولة» والانكفاء في أرخبيلات اجتماعية، مُتَنَاسَاة ومُنْعَزِلَة في آنٍ مَعًا، تَضُمُّهَا الأحياء الشعبية في المدن الكبرى، وفي القرى الفقيرة وفي الأرياف... إلخ. ومن السمات المميزة لهذه الفئات الشبابية أفعال الحرقة والمجازفة بالموت في أعماق البحار، وممارسة إبداع البقاء على قيد الحياة يوما بيوم، والإعجاب بالأطروحات المكفّرة للدّولة وللمجتمع تكفيرا يمتد من الاجتماعي إلى السياسي فالديني–المؤَدْلَج، وصولا إلى الانخراط في المجموعات الإرهابية.

ومن المهم الإشارة إلى إمكانية اختلاط مختلف هذه الفئات الشبابية، أي الحركية المناضلة، والموصومة المنفصلة، والقصووية المجازفة، بحيث تُكَوِّنُ كُتْلَةً تغيير واحدة، مُوَحَّدة، ثائرة، في معنى الثورة وفي معنى الثأر، كما كان الأمر في الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية التونسية الأخيرة. لقد ذلك التقاء تكتيكيا ولكنه بالغ الأثر في النسق–النظام السياسي الاجتماعي، الذي تعارضه مختلف الفئات الشبابية المعنية، أو تنسحب من مجال امتداد مظلّته، أو تكفّره.

○ إذًا، هناك مصاعب تجابه الانتقال الديمقراطي في تونس، ما هي أبرزها حسب رأيكم؟

● من نتائج البحث الأخرى أن الانتقال الديمقراطي مُنْشَطِرٌ على نفسه. ولهذا الانشطار تمظهرات عدة. ففي مستوى كيفيات اشتغال النظام السياسي، ثمة من يستفيدون من الواجهة الانتخابية والبرلمانية والحزبية وحتى الجمعياتية من هذا الانتقال، وثمة من وجدوا أنفسهم خارج هذه الاستفادة بل ضحايا لممارستها بطُرُق احتكارية وزبونية وغير مُنْصِفَة. وفي مستوى التمثّلات–الخطابات، كثيرا ما نسمع فئات مجموعات وحتى أصواتًا فردية شبابية، تصرّ على القول إن ثمة مسارا ثوريا تمّ الالتفاف عليه بمسار انتقال ديمقراطي مغشوش ومهتز ومُعْتَعِلٌ في تَوَافُقَاته. وفي مستوى «الثّمار الاقتصادية–الاجتماعية» ثمة من عانوا حِرَاكًا اجتماعيا نازلا انتقلوا بموجب آثاره إلى مستويات عيش قريبة من خط الفقر ممّا هو تحته وممّا هو فوقه، بعد أن طالتهم ضربات عجز المنوال الاقتصادي عن تغيير آلياته الإنتاجية والتوزيعية وفشله في الاستجابة إلى حاجيات أوسع فئات الناس، وهو فَشَلٌ مُزْمِنٌ.

وعلى ذلك، فإنّ أكبر ما يهدّد فرص نجاح هذا الانتقال الديمقراطي هو عجزه عن أن يكون منصفا من منظور العدالة الاجتماعية وأن يكون قادرا على إنفاذ سياسات التمكين لفائدة ضحايا عدم الاعتراف والاستبعاد والتعنيف وإنهاء سياسات التجريد من مقومات الحياة الكريمة هذه.

○ شهدت تونس أطوارا عديدة من التغير والتطوير في المنظومة الحقوقية بشكل عام وحقوق المرأة بشكل خاص، فما مستقبل هذا «الحراك المجتمعي الحقوقي» حسب رأيكم؟

● إن سَمَحْتِ لي، سوف أجيب على سؤالك، بالتركيز على القضايا النّسوية. استراتيجيّة التغيير الاجتماعي بمفاعيل القوانين والأوامر وبقية مخرجات الترسانة التشريعية استراتيجية رئيسية لدى النظام السياسي القائم في تونس، على امتداد تاريخه ما بعد الاستعماري. لقد انطلقت هذه الاستراتيجية بإصدار مجلة الأحوال الشخصية عام 1956 بمقتضى أمْر عَلِيّ من بَايْ(ملك) تونس، ودخلت حيز التنفيذ في 1957.

وما يجب أن يقال بالضبط هنا هو أن هذه الاستراتيجية ليست مجتمعية في معنى الشمول والتاريخية وحيازة الاقتناع والتمتع بالانخراط الطوعي الواعي المتلزم، ولكن ذلك لم يمنعها من أن تكون نافذة بل وأساسية في بناء شرعية السّلطة الصّاعدة. لقد كانت هذه الاستراتيجية تسمح لقادة النظام السياسي الناشئ بأن يؤكّدوا ما يقولونه عن مناوئيها: رجعيون، وأصوليون، وغير عصريين، وذوو وشائج ثقافية–ذهنية مع الثقافة العربية الإسلامية التقليدية. وكان ذلك يعني بالنسبة إلى قضايا النساء المجتمعية أن مناوئي الإصلاح، في غير صف «حرية المرأة» كما كان يقال حينها، ومعادون لحقوق النساء، وأنّهم إذًا من مناوئي التقدم بما يشرّع لاستعدائهم. لقد كانت استراتيجية التغيير الاجتماعي بمفاعيل القوانين السّلطوية في مجال القضايا النساء جزءً أساسًا من استراتيجية التحديث الرّسمية، وكان من نتائجها تَبَلْوُرُ نسويّة دَوْلة احتكرت القضايا النسائية، ولكن من دون أن تكون جَذرية في مكافحة اضطهادهن، ولم تعمل على إضعاف البطريركية والذكورية، بل مارست التسلّط في هذه القضايا بالذات، ومنعت التعبيرات النسوية الأخرى من أحقية القول والفعل.

ومنذ ظهور نسويّة مختلفة عن نسوية الدولة أواسط السنوات السبعين من القرن العشرين، حامت تعبيراتها المعارضة حول موقف منشطر على ذاته تجاه النظام السياسي: مساندة لتقدميته في القضايا النسائية ونقد لرجعيته في القضايا السياسية والاجتماعية. وكان هذا الموقف المُزْدَوَجُ يترجَمُ، في ما يهم نسوية الدولة، في مساندتها مساندة نقدية. وكان النقد ذا مرجعية تقدمية، يسارية ولكنها غير منخرطة ضمن التشكيلات السياسية اليسارية القائمة، بل ناقدة لها هي أيضا. وبقدر تزايد انخراط نسوية الدولة في الزبونية والاستخدام الوظيفي للشعارات النسوية، كانت النسوية الناقدة لها تجد مجالات للحركة ولتأكيد شرعيتها (الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات 1989، جمعية النساء التونسيات للبحث حول التنمية، 1989). الحدث الفارق الذي غيّر هذا المشهد هو انقضاء نسوية الدولة إذ كانت آخرَ تعبيراتها مُخْرَجَاتُ أعمال «لجنة الحريات الفردية والمساواة» (اشتغلت ما بين 2017 و2018). انقضاء نسوية الدولة ناتج عن انتهاء الوجود الهيمني لممثليها السّياسيين في السلطة. وأنا أرى أن هذا الانقضاء مظهر من مظاهر انقضاء صلوحية الدولة ما بعد الاستعمارية في تونس.

من هذا المنظور، مستقبل ما أسميته «حراكا مُجتمعيًا حُقُوقِيًا» في مجال قضايا النساء يمرّ بمآلات النزاع بين الاتجاهات النسوية المختلفة من جهة، وبمن جهة ثانية بنجاح/فشل إكساب النسويّات أعماقا اجتماعية تشمل أحوال النساء وحقوقهن الاقتصادية والاجتماعية في الأرياف وفي القرى الصغرى والكبرى الفقيرة وفي الأحياء الشعبية في المدن الكبرى. هذان رهانان لا يمكن كسبهما إلا من خلال اعتماد ما أسمّيه «القطاعية الديكولونيالية» التي تنظر إلى قضايا النساء من زاوية تقاطع أوضاعهن وحقوقهن ومصالحهن ومواقعهن المتخالفة من السلطة، وسوق العمل، ومنظومات الحقوق المدنية والشخصية والثقافية، والأدوار والمنازل الاجتماعية، والنفاذ إلى موارد المجال العمومي وأحقية الفعل فيه، ومن المعرفة...إلخ.

تسمح القطاعية الديكولونيالية بتجاوز مآزق النسويتين التونسيتين التاريخيّتين اللتين أشرتُ إليهما. وبالفعل، نمت النسويّتان بالاعتماد على ذات القاعدة الاجتماعية المدينية والبرجوازية الصغيرة والعارفة والمثقفة (طبيبات، محاميات، جامعيات، صحافيات، مهندسات، موظفات، طالبات) بحيث كانتا تتنازعان شرعية تمثيلها. وما يؤسس لشرعية القطاعية هو ظهور نسوية تونسيات في مجال الفعل النسوي ذوات ميزات جديدة. من حيث الفئات المهنية–الاجتماعية، هن من خارج القاعدة الاجتماعية التقليدية للنسويّتين التّاريخيّتين في تونس (تاجرات متنقلات، قائمات بأعمال هامشية وغير مشمول بالتغطية الاجتماعية، عاملات فلاحيات، عاطلات عن العمل، مبادرات وصاحبات مشاريع صغرى). من حيث معيشهن، هن نساء الممارسات اليومية بوصفها مقاومة غير منظمة وابتداعا لأساليب البقاء على قيد الحياة. من حيث المنظورية الاجتماعية، هن نساء أسواق البيع اليومي والأسبوعي، والشبكات الترويجية الافتراضية، والحقول الفلاحية، سياسيا، هن نساء الفضاء العمومي المنشق بممارساته الاحتجاجية والمطلبية، والحضور الانتخابي «التكتيكي» خارج الإعداد التقليدي المسبق، والحضور في الحركات الاجتماعية والشبابية.

يجب الانتقال من المقاومة السياسية–الحكومية للجائحة إلى المقاومة المجتمعية

○ وكيف ترون التحولات الاجتماعية في المجتمع التونسي وأثرها في باقي المجتمعات العربية؟

● نقطة الانطلاق هي ثورة كانون الأول/ديسمبر 2010 وكانون الثاني/يناير 2011. توسعت رقعة الانتفاضات التغييرية، وبصرف النظر عن مآلاتها اللاحقة، انطلاقا من تونس. صحيح أنّها كانت ذات امتداد عالمي بل كوني في بعض الأحيان، ولكنها كانت دائما، وعلى مرّ العقد الماضي، ذات خصوصية في الربوع العربية. ما يسترعي انتباهي على الأخص هو هذه الحركات الاجتماعية الجديدة التي تفرض تغيير النظر إلى منطق التغير الاجتماعي وكيفياته وفاعليه. في هذا المجال أنا أجهد لتطوير منظور ديكولونيالي يتميّز بمحاولته فهم ما يحدث باعتماد زاوية نظر مزدوجة الموقع: من داخل، ومن تحت. يعني ذلك الامتناع عن التركيز على المستوى السّطحيّ، المؤسّساتيّ والرّسميّ. ما أراه هنا من هذا الموقع هو تعدد مظاهر التشابك، التقليدي منه والمستحدث، بين قضايا التغيير الاجتماعي في هذه المجتمعات، وفاعليه ومن بينهم الباحثون الاجتماعيون. وهو ما يتطلب المزيد من الدراسات.

○ يجابه العالم اليوم وباء كورونا بكل ما يحمله من مخاطر وتحديات، فما هي الانعكاسات الاجتماعية والسيكولوجية للفيروس على العلاقات المجتمعية اليوم، حسب رأيكم؟

● من المعاينات الواجبة تجاه انتشار الفيروس التاجي 19 الإقرار بأن التغيير الاجتماعي تدفع به مثل هذه الظواهر ذات الطبيعة الكلية: هي طبيعية (فيروس وطبية (انتشار وبائي سريع ومعولم) واقتصادية (ركود) واجتماعية (احتداد مظاهر التفاوت الاجتماعي) وسياسية...إلخ. ثمّة نقاطٌ اشتراك بين آثار الفيروس في مختلف المجتمعات، ولكن ثمّة آثار مخصوصة في كل واحد منها. وفي ما أرى، على علماء الاجتماع أن يركّزوا على قراءة الآثار المخصوصة أكثر من التركيز على المشتركات. في نصّين كتبتُهما مبكرا نسبيا بالنسبة إلى عموم الوباء قارات العالم كلّها، اعتبرتُ أننا نعيش في مجتمع ذي خصائص مستجدة أسميته «مجتمع الجائحة». وشرحت فيهما أننا إزاء قضيّتين أساسيتين: كيفية احترام التّباعد الجَسَدي من دون التّضحية بالصلة الاجتماعية، وكيفية تحويل الأزمة إلى بنية فرص تتيح الاقتراب ما أمكن، وبأسرع ما يكون، من دولة الرعاية الاجتماعية المستقلة الديمقراطية العادلة. إلى حدّ الآن، آليّاتُ التغير الاجتماعي اشتغلت في اتّجاه تحويل التباعد الجسدي الصحي الضروري لمجابهة الجائحة إلى تباعد اجتماعي ذي أثر مباشر في تعميق مظاهر التّفاوت الاجتماعي. وهنا يقع الرّهان الحقيقي في تدبير الأزمة. في ما يحدث، ثمّة الكثير من اللاّيقين، وحركة تغيّر سريعة وحادة وغير خطية الاتجاه، وذلك ما يوجب الانتقال من المقاومة السياسية–الحكومية للجائحة إلى المقاومة المجتمعية الشاملة. في عمق تقابل المقاومتين ثمة تقابلٌ بين ما أسميتُه سياسات التّجريد (تجريد المجتمع العميق من مقوّمات المقاومة) وسياسات التمكين (تمكين أوسع فئات المجتمع من موارد المقاومة وأسلحتها).

حريات

9 منظمات حقوقية تطالب فتح تحقيق في القضية

مصر: وفاة المخرج شادي حبش في سجن طرة تثير ردود فعل محلية ودولية

القاهرة ـ «القدس العربي»: تامر هنداوي

رغم دخول مصر مرحلة جديدة من حيث معدل الإصابات بفيروس كورونا المستجد، تأتي تصريحات المسؤولين المصريين لتؤكد أن السلطات تخطط لعودة الحياة إلى طبيعتها تدريجيا بداية من شهر حزيران/يونيو المقبل.

وسجلت مصر يوم الجمعة الماضي، أعلى معدل يومي للإصابات بالفيروس منذ ظهور أول إصابة في أوائل شهر اذار/مارس الماضي.

وأعلنت وزارة الصحة والسكان المصرية، عن تسجيل 495 حالة إصابة جديدة بفيروس كورونا ووفاة 21 حالة.

وقالت الوزارة، في بيان، إن إجمالي العدد الذي تم تسجيله في مصر بفيروس كورونا المستجد حتى أمس، هو 8476 حالة من ضمنها 1945 حالة تم شفاؤها وخرجت من مستشفيات العزل والحجر الصحي، و503 حالات وفاة.

وأكدت أن جميع الحالات المسجلة إيجابا للفيروس في مستشفيات العزل والحجر الصحي تخضع للرعاية الطبية، وفقًا لإرشادات منظمة الصحة العالمية.

وشددت على ضرورة الالتزام بالتباعد الاجتماعي وتقليل المخالطة والالتزام بالإجراءات الوقائية، بالإضافة إلى الإكثار من شرب السوائل في المدة بين الإفطار والسحور، والحرص على اتباع نظام غذائي صحي مما يقوي الجهاز المناعي.

ودعا البيان المواطنين خاصة خلال آخر أسبوعين من شهر رمضان الكريم قبيل عيد الفطر المبارك إلى ضرورة تعديل السلوكيات بعدم الإسراف في الخروج للتسوق، وتقليل التجمعات.

في الموازاة، كشف نادر سعد، المتحدث باسم مجلس الوزراء المصري، عن أن أول حزيران/يونيو المقبل سيشهد بداية فترة التعايش مع كورونا، مؤكدا أنه قبل عيد الفطر ستكون هناك مراجعة موقف تطبيق القواعد والإجراءات الطبية والاحترازية التي كانت مطبقة خلال الفترة الماضية في مواجهة الفيروس.

وأضاف في تصريحات تلفزيونية أن «العالم حتى الآن غير قادر على الوصول إلى علاج لفيروس كورونا، وعليه لا يمكن أن تستمر دول العالم في الإغلاق، والحل الأمثل أن تعود الحياة إلى طبيعتها تدريجياً مع اتباع الإجراءات الطبية».

وتابع «هذا لا يعني أننا سلمنا للأمر الواقع بل ستكون عودة بضوابط، على سبيل المثال إعادة الحياة إلى السينما والمسرح وغيرهما ستكون قابلة للعودة بشكل تدريجي مع تطبيق الإجراءات الاحترازية».

وكان مصطفى مدبولي، رئيس الوزراء، أعلن استمرار العمل بإجراءات حظر التجوال حتى نهاية شهر رمضان بنفس المواعيد.

تتبع المخالطين

عوض تاج الدين، مستشار الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي للشؤون الصحية، قال إن عدد الفحوصات التي أجريت للكشف عن فيروس كورونا في مصر، تخطى المليون فحص.

وأضاف في تصريحات صحافية، أن 88 في المئة من الحالات الجديدة التي يتم الكشف عنها نتجت عن تتبع المخالطين للمرضى.

وبين أن 90 في المئة من الوفيات هي بسبب إصابة مرضى كورونا بأمراض أخرى مزمنة مثل أمراض القلب والسكر وأمراض الصدر المزمنة وضغط الدم والسرطان، وأن حوالي 81 في المئة من الإصابات لحالات متوسطة، و13.8 في المئة حالات خطرة، و4.7 في المئة حالات حرجة.

وزاد: «لدينا أكثر من 7 آلاف جهاز تنفس بالإضافة إلى أعداد أخرى سيتم استيرادها وتوريدها في الشهور المقبلة».

وبخصوص ذروة انتشار الفيروس، أوضح «لا نستطيع تحديد متى تأتي ذروة الإصابات لكننا مستعدون لجميع الاحتمالات، والتكدس والزحام أكثر أنماط الإصابة».

وعلق كذلك على مقترح تحويل الصيادلة إلى أطباء والذي رفضته نقابة الأطباء، إذ أشار عوض إلى أنه لن يحدث ذلك، لكن ندرس الاستفادة من خبرتهم في الدعم الطبي.

وحول ما أعلنته وزارة الصحة من أن 70 في المئة من الوفيات تصل إلى المستشفيات متأخرة، قال: «نعمل على رفع الوعي لدى المواطن وتجهيز وتطوير المستشفيات».

وفي سؤال حول المساعدات الطبية التي ترسلها مصر لدول أخرى أو تتلقاها من دول أخرى، قال: «تبادلات ذات طابع سياسي يتعلق بتعزيز العلاقات بين الدول الصديقة».

واختتم حديثه بالتأكيد على أن «الدولة تبذل أقصى الجهود للسيطرة على المرض» مؤكدا أن الأرقام المعلنة للإصابات جاءت في إطار توقعاتنا، وأن معدلات الانتشار حتى الآن ما زالت آمنة.

قانون الطوارئ

وأثارت التعديلات التي أقرها البرلمان المصري على قانون الطوارئ، وصادق عليها الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي الخميس الماضي في إطار تدابير مكافحة تفشي وباء كوفيد–19 جدلا واسعا.

ونشرت التعديلات على النصوص في الجريدة الرسمية الخميس بعد إقرارها في البرلمان في نهاية أبريل/نيسان.

ووصفت منظمة «هيومن رايتس ووتش» في بيان التعديلات بأنّها «ذريعة» لإنشاء «سلطات قمعية جديدة».

وقال نائب مدير قسم الشرق الأوسط وشمال افريقيا في المنظمة جو ستورك: «تستخدم حكومة الرئيس السيسي الوباء كمبرّر لتوسيع قانون الطوارئ المصري المسيء، وليس إصلاحه».

وتتيح التعديلات للرئيس المصري إغلاق المدارس، وتعليق خدمات عامة، ومنع تجمعات عامة وخاصة وفرض الحجر على المسافرين الآتين إلى البلاد.

كما أنها تتيح للرئيس الحد من تجارة بعض المنتجات، وضع اليد على مراكز طبية خاصة وتحويل مدارس ومراكز تربوية وغيرها من المنشآت العامة إلى مستشفيات ميدانية.

وبموجبها أيضاً، سيكون المدعي العام العسكري مخوّلاً مساعدة النيابة العامة في التحقيق حول جرائم تبلغ عنها القوات المسلحة المسؤولة عن تنفيذ القانون خلال فترة الطوارئ.

ملف السجون

ويظل ملف السجون، هو أكثر الملفات الشائكة في تعامل السلطات المصرية مع فيروس كورونا، خاصة في ظل رفض السلطات المصرية الدعوات التي أطلقتها المنظمات الحقوقية لتخفيف حد الزحام في السجون، من خلال الإفراج عن سجناء الرأي والمحبوسين احتياطيا وكبار السن، وأصحاب الجرائم التي لا تمثل خطورة على المجتمع. المجلس القومي لحقوق الإنسان، وهو منظمة حكومية، طالب، بضرورة مراجعة ملف المحبوسين احتياطيًا، وإخلاء سبيل من تجاوزوا مدة العامين ممن لا تنطبق عليهم شروط التجديد. جاء ذلك بعد وفاة واقعة وفاة المخرج المصري الشاب شادي حبش، الذي توفي في سجن طرة بتسمم كحولي، حسب بيان النيابة العامة. وكانت وفاة حبش في السجن أثارت ردود فعل محلية ودولية، طالبت بفتح تحقيق لبيان ملابسات وفاته.

وسجن شادي حبش في آذار/مارس 2018 بتهمة «نشر أخبار كاذبة» و«الانتماء إلى جماعة أسست على خلاف القانون».

وتقدمت النائبة المصرية نادية هنري، بطلب إحاطة ضد رئيس مجلس الوزراء المصري ووزيري الداخلية والعدل، بشأن موت المخرج الشاب شادي حبش داخل محبسه في سجن طرة، والذي أعلن النائب العام أن موته جاء نتيجة شرب مواد كحولية تستخدم للتعقيم.

وطالبت النائبة بـ «الإفراج عن السجناء المرضى، وعدم جعل الحبس الاحتياطي عقوبة» مؤكدة أن «هناك ضمانات أخرى خلاف الحبس الاحتياطي، وأنه لا يعقل أن يستمر حبس متهم عامين كاملين على ذمة اتهام».

وتابعت: «أتم شادي قبل وفاته عامين قيد الحبس الاحتياطي، من دون إحالة إلى المحاكمة وذلك على ذمة القضية رقم 480 لسنة 2018 أمن دولة عليا وبموجب قانون الإجراءات الجنائية كان يجب أن يتم إخلاء سبيل شادي في آذار/مارس الماضي».

وزادت: «لقد ساءت حالته الصحية والنفسية في الأشهر الأخيرة في ظل الإجراءات الاستثنائية المطبقة بسبب فيروس كورونا، الأمر الذي جعل شادي يتعرض لنوبات قيء شديدة قبل يومين من وفاته ولم يتلق أي رعاية صحية».

وواصلت: «نطالب بالتحقيق بسبب الوفاة ومحاسبة المسؤولين عن غياب الرعاية الصحية التزاما بمواد لائحة قانون تنظيم السجون رقم 79 لسنة 1961 والتي تنص في المادة 24 على أن طبيب السجن مسؤول عن الإجراءات الصحية التي تكفل سلامة صحة المسجونين». وواصلت: «سبق وطالبنا بالإفراج عن المسجونين خاصة في الحبس الاحتياطي في ظل الوباء المنتشر في العالم كله، ونطالب بسرعة توضيح أسباب وفاة الشاب شادي حبش، والإسراع في الإفراج عن باقي السجناء أصحاب الأمراض حتى لا يتكرر الأمر الذي يشوه سمعة مصر».

واختتمت: «الحبس الاحتياطي سن تشريعيا ليس كوسيلة عقاب وإنما كإجراء احترازي، وإذ أنني أربأ بالنائب العام أن يجعل الإجراء الاحترازي وسيلة عقاب فهناك ضمانات أخرى خلاف الحبس الاحتياطي، فلا يعقل أن يستمر حبس متهم عامين كاملين على ذمة اتهام بدعوى الحبس الاحتياطي، برجاء إحالة الطلب إلى اللجنة المختصة».

مصلحة السجون

في السياق، أصدر النائب العام المصري بيانًا بشأن وفاة حبش في السجن، لفت فيه إلى أن «التحقيقات كشفت عن العثور على عبوتين من الكحول المخصصة للتعقيم من فيروس كورونا في سلة المهملات، وأنه توفي قبل ترحيله إلى مستشفى خارجي للعلاج».

وقال النائب العام في البيان إن «النيابة العامة تلقت إخطاراً من قطاع مصلحة السجون مساء اليوم الأول من شهر أيار/مايو الجاري بوفاة المتهم شادي حبش - المحبوس احتياطيًا على ذمة القضية 480 لسنة 2018 حصر أمن الدولة العليا - في العيادة الخاصة في سجون طرة».

وأضاف أن «فريقا من النيابة العامة انتقل لمناظرة جثمان المتوفى ولم يُعثر على أي إصابات ظاهرة فيه، وبسؤال الطبيب المناوب المكلف في سجن القاهرة يوم الواقعة؛ قرر بإخطاره فجر هذا اليوم بإعياء المتوفي، وبتوقيعه الكشف الطبي عليه تبين حُسن إدراكه وطبيعية معدلات علاماته الحيوية، وأن الأخير أعلمه بشربه خطأ كمية من الكحول ظهيرة اليوم السابق على وفاته، مُدعياً إليه بعدم علمه قدرها واشتباهه في كون الزجاجة التي كانت معبأة فيها هي زجاجة مياه، وشعوره لذلك بآلام في البطن، فأعطاه مطهراً معوياً وأعاده لمحبسه لاستقرار حالته».

وزاد البيان: «في صباح اليوم ذاته أُبلغ مرة أخرى باستمرار إعياء المتهم وإصابته بقيء، فكشف عليه وتأكد من طبيعية معدلات علاماته الحيوية، ثم حقنه بمضاد للقيء وأعاده لمحبسه وتواصل مع طبيب مناوب آخر يعاونه أكد له صحة ما اتخذه من إجراءات لعلاج المتهم، ولإبلاغه ظهيرة ذلك اليوم باستمرار شكوى المتوفى خاصة من آلام بالبطن، حَقنَه بمضاد للتقلصات عقب كشفه عليه وتأكده من سلامة معدلات علاماته الحيوية، وفي المساء ولاستمرار إعيائه أخبر الطبيب المعاون بأمره ليستكمل علاجه، والذي بسؤاله قرر بطلبه- فور إخطاره - نقل المتوفى إلى عيادة السجن حتى وصوله لتوقيع الكشف عليه، وعلمه من الطبيب الآخر بادِّعاء المتوفى شربه كمية من الكحول، وأنه تبين من توقيع الكشف عليه اضطراب درجة وعيه وضعف نبضه وضغطه، فأجرى إسعافات أوليه له، وشرع في اتخاذ إجراءات ترحيله الفوري لمستشفى خارجي، وتجهيز سيارة إسعاف لنقله، وإثر سوء حالته أعطاه محاليل وحاول إنعاش قلبه ورئتيه، إلا أنه لم يستجب وتوفي إلى رحمة الله».

ولفت البيان إلى أقوال ثلاثة من مرافقي المتوفى في الغرفة التي كان محبوساً فيها، وأن أحدهم شهد بدهشته ظهيرة اليوم السابق على الواقعة بدخول المتوفى في نوبة من الضحك الهستيري بادياً على غير طبيعته، ولما استعلم منه عن سبب ذلك أعلمه بشربه خطأً رشفة من الكحول المسموح به لتطهير أيدي المحبوسين احترازاً من فيروس كورونا، وأنه عثر وزملائه على عبوتين من الكحول فارغتين في سلة المهملات.

ونقل البيان أقوال سجينين آخرين، من زُفقاء المتوفى في محبسه، فشهد أحدهما بحيازة المتوفى ثلاث زجاجات من الكحول سعة الواحدة نحو مئة مللي، وأنه ورفقاءه في محبسه عثروا على عبوتين منها فارغتين في سلة المهملات، مؤكداً على استقرار حالة المتوفى النفسية قبيل وفاته، وعدم شكواه من أية أمراض مزمنة من قبل، وعدم تعرضه لسابقة تعد عليه طوال فترة حبسه.

وزاد البيان: «شهد النزيل الآخر بإبصاره المتوفى ظهيرة اليوم السابق على وفاته بساحة السجن - صحبة آخرَيْن - وبحوزته زجاجة مياه غازية، فشرب هو رشفة منها فتذوق طعما غريباً بها، وآنذاك ضحك المتوفى فلما سأله علم منه بخلطه المياه الغازية بمادة الكحول المستخدمة في تطهير الأيدي؛ ليكون لها تأثير كتأثير الخمر».

حقوق الإنسان

وقد أمر النائب العام باستكمال التحقيقات، ونَدَب أحد الأطباء الشرعيين لتشريح جثمان المتوفى لبيان السبب المباشر الذي أدى إلى وفاته.

وسبق أن طالبت الحركة المدنية المصرية الديمقراطية المعارضة، بإجراء بتحقيق فوري وشفاف في ملابسات وفاة حبش، وتشكيل لجنة لتقصي الحقائق والملابسات من المجلس القومي لحقوق الإنسان.

وجددت الحركة مطالبة الأجهزة المسؤولة بإعادة النظر في وضع المحبوسين احتياطيا على ذمة قضايا سياسية، وربما يكون الأمر الآن وفي سياق ظروف تفشي الوباء أكثر إلحاحا.

وطالبت كذلك السلطات المصرية بالإفراج عن السجناء السياسيين الذين لم يتورطوا في أعمال عنف وإبقائهم على ذمة التحقيق في هذه القضايا إذا لزم الأمر.

في السياق طالبت 9 منظمات حقوقية مصرية أيضا، في بيان، بفتح تحقيق في وفاة حبش.

وتضمنت قائمة المنظمات الموقعة على البيان كلا من مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، والجبهة المصرية لحقوق الإنسان، والشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، وكوميتي فور جستس، ومركز النديم، ومركز بلادي للحقوق والحريات، والمفوضية المصرية للحقوق والحريات، ومؤسسة حرية الفكر والتعبير، ومبادرة الحرية.

وقالت المنظمات في بيانها: «تشكل وفاة المخرج الشاب شادي حبش (22 سنة) في محبسه في سجن طرة دليل إدانة إضافيا على مدى استهتار المسؤولين عن إنفاذ القانون في مصر بحياة المواطنين وبسيادة القانون، وتفشي نزعات الانتقام من كافة منتقدي النظام الحالي من مختلف الفئات والأعمار».

وتابعت: «تقدم الواقعة برهانًا جديدًا على مدى تردي أوضاع السجون المصرية ونقص الرعاية الصحية فيها، خاصة في ظل ما ورد من شهادات تفيد باستمرار استغاثتهم لنجدة زميلهم ساعات طويلة دون جدوى».

وطالبت المنظمات الموقعة على هذا البيان بفتح تحقيق جاد ومستقل حول أسباب الوفاة، وحول مسؤولية النيابة العامة عن استمرار حبس شادي وآخرين أكثر من 26 شهرا احتياطيًا من دون محاكمة بالمخالفة للقانون.

شادي حبش

الوباء كمبرّر لتوسيع قانون الطوارئ

ملف السجون هو أكثر الملفات الشائكة في تعامل السلطات المصرية مع فيروس كورونا

السلطات ترفض دعوات تخفيف الزحام في السجون

الإفراج عن السجناء المرضى، وعدم جعل الحبس الاحتياطي عقوبة

كتب

رواية الجزائري سعيد خطيبي «حطب سراييفو»: وقود وحوش افتراس النساء في إسار الحرب

المثنى الشيخ عطية

يعلم الروائيون، ولا يخفي بعضهم ذلك عن قارئه داخل الرواية نفسها، أنّ هناك أبطالاً مستترين أو بطلاً بحدّ ذاته، غير الشخصيّات التي يقدّمونها وتسحر قراءَهم لدرجة التماهي معها سواء بذكرى ما كان أو فعل ما سيكون. ويعلم الروائيون أكثر من قرائهم لأنهم يعانون ذلك خلال تطور رواياتهم، أن شخصياتهم المقدَّمة لا تستطيع الحياة من غير هؤلاء الأبطال المستترين. وقد أوقف روائي أعرفه نشْرَ رواية شبه منتهية سبع سنوات، إلى الوقت الذي وجد فيه بالصدفة بطله المستتر الذي لم يره وهو أمام عينيه، وتجلّى له في أن يضع بطله الرئيسي «الكاتب» ببساطة خلف طاولة ليكتب رواية طفولته فيحلّ عقدة ملاقاة زمن الحاضر وزمن الطفولة. وقد أحيا بنية هذا التلاقي شخصياته التي بدأت تتحرك بحرية داخل الرواية، مع إضافة هذا البطل المستتر عنصر «الرواية داخل الرواية» كهديّة أخرى مع هذا الحلّ.

الروائي الجزائري سعيد خطيبي كان محظوظاً ومبدعاً في إيجاد بطله المستتر في روايته المدهشة «حطب سراييفو»، التي وصلتْ بجدارة إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية «البوكر» لعام 2020. فلم تكتفِ هذه الرواية التاريخية، إن اعتُبرت كذلك، بأداء دورها في «فتح الثغرات، وفي لفت النظر إلى ما سقط من كتب المؤرخين، وما تغافلوا عنه، بدون أن تنوب عن التاريخ بما ليس من مهمتها»، كما عبّر خطيبي في مقابلة معه؛ وإنما أيضاً بتقديمها بنيةً فنية إبداعية تضيف الكثير من الجمال إلى فنّ الرواية، وإلى معاني الأبطال المستترين الذين لا تحيا من دونهم الشخصيات الروائية المدروسة الطليقة المدهشة.

تشكل بُنية رواية «حطب سراييفو»، الشكلية والعميقة، (التي لا أعرف إن كانت قد أرهقت مبدعها قبل أن تسلمه لجام قيادها البسيط والخبّ بطلاقة، فيما يبدو)، بطلاً مستتراً حاملاً للرواية على بساط ريح. وكما لو أننا في حلقة غنائية يتبادل فيها الغناء رجل وامرأة لا يأبهان سوى بصدق مشاعرهما، داخل وخارج الموسيقى، يتبادل السّرد بتناوب، في منظومة السرد داخل هذه البنية رجلٌ وامرأة، صحافي جزائري وكاتبة مسرحية بوسنية، ويكشفان لنا من خلال تناوب هذا السّرد توازياً وتلاقياً، جوهرَ ما حدث في البوسنة والجزائر في نهاية القرن العشرين الماضي. ولا يجري هذا عن طريق عرض واقع المجازر المخيّم والمكبّل للأرواح قبل الأجساد، ولا بالعودة إلى العقود السالفة التي نتج عنها هذا الواقع، من مآلات الحرب العالمية الثّانية وتأثيراتها على منطقة البلقان، وما حصل في حرب التّحرير في الجزائر وما تلاها مباشرة من استبداد، فحسب؛ بل أيضاً والأهم: إخراج الوحوش التي انتعشت داخل نفوس البشر ودفعتهم إلى السلوك الذي عبّر عنه الروائي بحطب سراييفو، في مجاز عن الوقود الذي يغذّي الوحوش والمجازر.

قبل البدء بتفصيل هذه البنية، تجري من خلال السّرد حكاية مشوّقة ومؤثّرة ومقنعة، حتّى لو بدت بعضُ مصادفاتها وكأنّها خارجة من فيلم هندي.

من طرف أول تدور الحكاية حول صحافيّ جزائري شاب يدعى سليم، يعيش في الجزائر العاصمة أيام حرب المجازر بين الإسلاميين المتطرفين والحكومة. وفي ظلّ التهديد الدائم بالموت سواءً من قبل الإسلاميين بالقتل للمثقفين المتحررين وللنساء غير المحجبات، أو من قبل تفجير السيارات المفخّخة التي لا تميّز بين طفل ورجل وامرأة ومدني وعسكري؛ يتوقّف عمل سليم بإغلاق صحيفته، وتأتيه دعوةٌ للعيش في مدينة ليوبليانا بسلوفينيا، من عمّه اليسور المتزوج من سلوفينية وله منها طفلان. وهكذا يقرر تجربة الهجرة، ويترك حبيبته مليكة، التي تكبره بسنوات وتشكّل ملاذه الأمومي في ظلّ مرض وموت أمّه وغياب أبيه في غياهب الزهايمر. يكتب سليم:

«نجوتُ من الموت، وخرجت من حبسي، ظننت أنني سأمكث فيه سنوات طوال. أزهقت روحاً، والتحقت بالقتلة، وتخيلت أنني أقف على رجليّ، من جديد. شعرت أن عمري يتبخر، ببطء، ولن أحقق حلمي، الذي حملته معي، هنا وفي غربتي، كما تحمل أمّ رؤوم جنينها الأول. تصورت أن الحرب التي مزقت وجه سراييفو، ستحرقني معها، وتحوّلني إلى خرقة بالية، لا نفع منها بزغت صورة شقيقتي الصغرى في ذهني، وخفت أن يختلّ عقلي، وأجنّ مثلها».

من طرف ثانٍ تجري الحكاية عن كاتبة مسرحية شابة بوسنية اسمها إيفانا، تعيش في سراييفو تحت ظل المجازر وقسوة الأب وعدم اهتمام الأم وضياع عقل الأخت بتشابه مع حالة سليم، في وضع العائلة وتاريخها، وفي توقّف عملها في الفندق نتيجة عدم استجابتها لتحرّشات مديرها، وقرارها الهجرة إلى ليوبليانا للعمل.

عند تلاقي الطرفين في مقهى عمّه حيث أصبحت إيفانا تعمل فيه، وحيث يتردد سليم، تلتقي مصائر الطرفين في تتالي مشوّق للأحداث، يتكشّف فيه تحرّش عمّه بإيفانا التي تستجيب خوفاً من فقدان عملها، إلى حدّ مضاجعته الفاشلة لها. كذلك يتكشّف خسرانه لعمه الذي ذهب قتلاً على يد حبيب إيفانا في محاولته قتلها بعد أن أخبرت زوجته عن أفعاله، ويتكشّف بعد القتل وحصر التركة أن العمّ ليس عمّه بل والده.

في تباعد الطرفين، بعودة سليم إلى الجزائر للبحث عمن هو والده ومن هي أمه، وعودة إيفانا إلى سراييفو، يتراسل الطرفان لمساعدة بعضهما في إتمام أعمالهما الكتابية؛ مسرحيتها التي تنجزها بعنوان «حطب سراييفو» ومشاركة سليم كبطل فيها يكمل طرف الرجل في فيلم «هيروشيما يا حبّي» الذي تستوحيه المسرحية، وكتابته الصحفية الروائية في جريدته عن سراييفو وإيفانا تحت العنوان نفسه.

وفي الجريان المتوازي للحكاية، والتلاقي والتباعد تتكشّف الأحشاء المرعبة للجزائر وسراييفو اللتين تعكسان بعضهما، بما يعكس الوحوش التي تتراكم وتستقر في البشر لترتكب خطاياها فساداً ولصوصية وقتلاً واغتصاباً لبعضهم، وللنساء المقهورات على وجه الخصوص.

بتفصيل هذه البنية التي عليها أن تلمّ حكاية على هذه الصورة من التشابك المكاني/ الزماني، الذي يخيف الروائيين في العادة ويدفعهم للتوقف، يلجأ خطيبي إلى بساطة الابتكار، فيضع بنيةً شكلية تتكون من فصلين، تحت عنوانين يحملان اسمي بطلي الرواية الأساسيين: سليم، إيفانا؛ وتتسلسل بعدهما أربعة أجزاء، يحمل كل منها عدداً من الفصول بمجموع خمس وثلاثين فصلاً على صورة عناوين تتسلسل بالتناوب المتتالي في السّرد بينهما، ويرسم الإثنان بهذا التناوب المحافظ عليه، طريقيْ مصيريهما اللذيْن يتوازيان ويتقاطعان مع الأمكنة والأزمنة التي شكلت شخصيتيهما، بصورة مدهشة ومقْنعة. ويخلّ بهذا التناوب المتسلسل خرقان يأخذ فيهما البطلان عنوانين، وربّما لا يجد القارئ مبرراً لهذين الخرقين، فكسرُ رتابة التناوب بين الراويين تمّ في الحقيقة من خلال التلاقي في مدينة ليوبليانا، واستمرّ مع الرسائل التي أكملت التشويق المتداخل بدفعات البحث عن أسرار ما جرى.

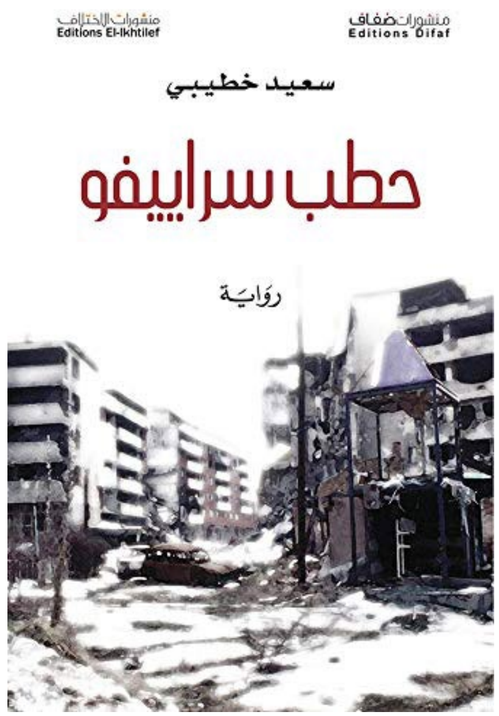

ويرفع خطيبي سُتُر الخوف التي تخفي خطايا وجرائم المقدّسات والمحرّمات التي تتحول إلى سيوف لجزّ أعناق البشر على يد المتطرفين الإسلاميين «نواطير الأرواح». ويبدي خطيبي، في كشفه العميق لسُتر الخوف من خلال الحكاية وخارج التنظيرات، انحيازاً واضحاً بتعاطف إنساني غامر وعميق مع الضحايا الأساسيين لجرائم المجتمعات الذكورية/ النساء، اللواتي يتم تهميشهنّ بالدونية وتحطيم أجسادهنّ بالعنف وأرواحهنّ بالإهمال، ويتمّ تحطيم أجسادهنّ وأرواحهنّ بالتحرّش والاغتصاب:

«لقد اغتصبوا شقيقتك. تناوب عليها ثمانية رجال في ليلة واحدة. داهمني غثيان وأنا أسمع كلامه. اضطرمت نارٌ بداخلي ورغبتُ حينها أن أفقأ أعين مُغتصبيها واحداً واحداً. أن أبتر خصيانهم وأقليها بالزّيت أمامهم. أن أُدخل قضيب حديدٍ في دُبر كل واحد منهم.

ليتهم اغتصبوني أنا وتركوا أختي الصّغرى تعيش شبابها. أذكر وجه آنتشي حين عادت بعد يوم من الغياب. خرجت تبحث عن الماء وتأخّرت. اعتقدنا أنها اختبأت عند قريب أو صديق حذر الموت والقذائف والقنّاصة. ثم عادت في اليوم الموالي بشعر أشعث. اشتكت من آلام في الظّهر، وفشلتْ أمّي في مداواتها ثم انّسلت إلى عالمها السّفلي بيسر. مرضتْ وتملّكها هذيان وانفصام وراحت أمّي تصل الليل بالنّهار في الاهتمام بها، وأنا أجالسها بين الغينة والأخرى، أسمع هذيانها وأبكي بحرقة».

وهكذا، في البنية العميقة التي تتكشف مع جريان الأحداث، يرفع خطيبي سُتُرَ الخوف التي تخفي أخطاء وخطايا المجتمع الذكوري المتعلقة من جهةٍ بالأسَر والآباء على اختلاف وضعهم كمجاهدين ضدّ الاستعمار، أو كمتعاونين معه، أو كمتخاذلين بالحياد. كما يكشف العناصر التي جعلت من هذه الخطايا جبال عقد نفسية، تكبّل أجنحة الأجيال اللاحقة وتعيد صياغة العنف.

سعيد خطيبي: «حطب سراييفو»
منشورات ضفاف، لبنان، بيروت 2019
منشورات الاختلاف، الجزائر 2019
327 صفحة.

القاص السوداني أبو زيد عبدالله الإمام في «الصفقة» أبعد من النسيان نحو استبصار الفاجعة

سعيد سلطان الهاشمي

كيف للسرد أن يستبصر الفاجعة؟

قارئ «الصفقة»، للكاتب وأستاذ الموسيقى أبو زيد عبدالله الإمام، لن يحتاج إلى جهد ليدرك أن السلطة المتهنة لكرامة الإنسان إلى زوال. مهما أبدع سدنة الاستبداد في طاعتها، لأن بذور بوارها تتبرعم بمجرد تغييبها للعدل.

المجموعة القصصية لم تكتب كـ«كلام ساكت» حسب القاموس السوداني البليغ، ولا اختلاقاً لعوالم لا تسكن إلا في الكوابيس، ولا حتى تجريباً لأحد أشكال الجمال الفني. كُتبت، كما يبدو، كخلاص روحي، كمغالبة للنسيان لأولئك الذين انتزع الاستبداد من أحشائهم حب الحياة، لا لغرية اقترفوها إلا لاحتفائهم بالحياة.

أناس لم تسعهم الأيديولوجيا، أو عافتها نفوسهم لمحدودية صلاحيتها، فإذ بهم يتحولون، بسبب ذلك، إلى ضحايا عذاب لا قعر له، قضى بعضهم نحبه، من يُرحاء التنكيل وامتهان الكرامة. أما الذين عافهم الموت، فقد استغرقت بهم ذكريات التعذيب المهين في اليقظة والمنام. كل ذلك كان في سودان ما قبل الثورة الشعبية السلمية، كانون الأول/ديسمبر 2018. النصوص الثلاثة، التي تكوّن المجموعة، كُتبت قبل هذا الحدث الفارق بسنوات، وظلت حبيسة الأدراج بحثاً عن ناشر لا يخشى غلق داره بسبب هذا النوع من الأدب. أدب يتنبأ بما سيؤول إليه حال سلطة مطلقة، سحقت الإنسان، نهبت ثرواته، وبددت أزمانه باسم الحق الإلهي الذي لا ينازعها فيه أحد.

عتبة المجموعة منقوش عليها كلمة للفيلسوف الفرنسي فولتير: «إن من يقول لك: أؤمن بما لا أؤمنُ به وإلا لعنك الله، لا يلبث أن يقولُ لك: أؤمن بما لا أؤمن به وإلاّ قتلتك!»، تمهيداً لرسم ميدان السرد المنتظر: إيمانان راسخان متنافران يوشكان أن يتصادما: إيمان بالسلطة الصنم، وإيمان بطل «الصفقة» بإنسانيته. «كلاهما لن يتراجع، فليتصادما إذن ولتقم القيامة».

بطل «الصفقة» هو تاج السر، وعندما اقتيد في تلك الليلة «كان كياناً يتوثب حيّوية وتعاطفاً، منبسط النفْس والفكر، يتسع للآخر ويهتمّ به ويتوجه إليه. ها هم يعيدونه منطفئاً، منسحباً، منكمشاً كحلزون يلوذ بقوقعته في كل شيء». كان قارئاً نهماً، تدهشه العبارة كدهشة طفل بلعبته الجديدة. تُلهبه المعلومة البكر، فيظل يرددها متحمساً، ماخوذاً، مبشراً بها، خاصة إذا كان يراها فتحاً جديداً للإنسانية، أو برهاناً يظاهر فلسفته. وكان يستدرك من دونِ أن تتركه حماسته: «ليس ثمة إجابة شافية تماماً؛ فإجابة التاريخ عن سؤال قديم تتبلور في سؤال جديد... كُتب علينا الكدّ الدائم في البحث الدائم».

عاشق للموسيقى، متبحرٌ في أنهارها، كان دائم القول لزوجته: «الموسيقى تحررني من نفسي، تُذهلني عن نفسي. إنها تقويني؛ فبعد كل سهرة موسيقية، يغشاني صباح يفيض بالرؤى والاكتشافات». شغف تاج السر بالأغنية الأمدرمانية، شغفه بالمدينة نفسها. كان يردد: «ما من شيء جمع أفئدة السودانيين على وجدان واحد مثلما فعلت أغنيات أم درمان؛ ففي (مدينة التراب) هذه تساكن وتمازج أناس انحدروا من أقاليم السودان كافة وانصهروا في أغنية!». فضلاً عن ذلك، لم ينسَ تاج السر تأثره بالإرث الإنساني في الموسيقى؛ فكان متيّماً بفيفالدي وبيتهوفن ومندلسون. يستمع إلى موسيقاهم «غارقاً في استرخائه وهي تتسلل إلى شعاب روحه».

هذه الصورة القلمية الأخاذة لشخصية تاج السر خبأ الكاتب الإخبار بها إلى الربع الأخير من الحكاية، فارداً خارطة العذاب الذي كابده (السِّر) ورفاقه في المعتقلات السرية طوال الأرباع الثلاثة الأولى. الصفقة تمثلت في مساومته ليكون مخبراً داخل إحدى النقابات الزراعية، ويشي بالأسماء والأفكار، ولأنه تعفف، اُختطف، ورُمي في «المرحاض». معتقلون منسيون، شباب غُفل، طاعنون في السن، صامتون عن تأليه الوثن المتعالي للنظام الحاكم، نقابيون يسعون في معيشة كريمة لعمال وأجراء وعتّالين، كل هؤلاء جمعهم المعتقل المجهول، تم اعتقالهم تحوطاً، فقط بمجرد الاشتباه فيهم، شُبّهٌ من قبيل: الثقافة، الكتابة، الشروع في الاعتراض، أو النية في الاعتراض!

كل يوم يتأكد الجلادون من إغلاق أعين ضحاياهم، «فلا شيء يستثير حنقهم مثل عين الضحية ترقبهم». تبدأ الحفلة: أفواه تقذف فُحشاً يقصر عنه الوصف، زبانية يتفننون في إحداث الفداحة بدون مقدمات، فأسوأ من التنكيل جهل الضحية من أين يأتيها التنكيل! آلات نحس كالإبر، الشواكيش، «الزرديّات»، المسامير، السياط، الحبال، الخوازيق، المناشير؛ تبدأ عملية المحو، محو الجسد، ومحو الذاكرة.

يستحضر الكاتب، من خلال دفتر يوميات تاج السر مقولات لمفكرين وشعراء، كعنترة وأبو تمام وغوته ونيتشه وهوغو. هذا الدفتر تحوّل إلى دليل إدانة في يدّ سيادة العقيد عفّان، آمر جوقة العذاب، يحاسبه على مقتبساته! كيف تتعلّق بنيتشه وبمقولته «الدولة وحش جريء في الكذب والسرقة، كلّ ما تصل إليه تنهبه، وسائر ما تقوله تكذب فيه»، كيف تتجرأ على اقتباس كهذا؟ إذن أنت تتبنى هذه الأفكار؛ في نيتك استعداء الدولة؟ ومن الدولة غير نموذج عفّان؟ «أنا إنسان بلا أيديولوجيا – يقول عفّان– لكنني أستميتُ في الحفاظ على دولة آمنة... وإذا كان أمن النظام يعني بالضرورة أمن الدولة، فأنا من حماة النظام أيا كانت منطلقاته ووجهته. أنا رجل أمن محترف يجتهد ليحذق حرفته. ولا أكتمك أنني وجدتُ في رجال العهد الجديد ما لم أجده في رجال العهود السابقة».

يحيك أبو زيد الإمام منسوجته الفنية بلغة مناسبة كمقطوعة موسيقية عذبة، ولعل مهنته ومجال اختصاصه مكّناه من انتخاب الإيقاع المناسب لتقفّي المشاعر المتضادّة دونما خدش أو تشتيت. هذا ما يجده القارئ في القصة القصيرة الثانية «أربع صور من زمان المسغبة» حيث الهوامش التي «تأذن بعد الانقلاب، حين داهمت جحافل الأمس حاضر الناس ومستقبلهم». والقصة الأخيرة «انتماء»، والتي تحكي مآل دونجوان عابث استحال درويشا جوّالاً علّمته موسم «أن الحب نبلٌ» وأن الذي لا ينتمي إلى مبدأ يُضفي على حياته البائسة شيئاً من أمل، لا يستحق صفة الآدمي، «من الإحساس بالانتماء تنبثق الفضائل ويتعلّم الإنسان معنى أن يُضحي وأن يكون مسؤولاً».

«تنحاز الفاجعة إلى النسيان؛ النسيان الذي لا ذاكرة له، التراجع الجامد لما لا يُقتفى» حسب موريس بلانشو، لكن «معزوفة» أبو زيد الإمام ذهبت أبعد من النسيان، ذهبت إلى استبصار الفاجعة.

أبو زيد عبدالله الإمام: «الصفقة»
مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أم درمان 2019
83 صفحة.

المقال

عبدالباسط سيدا

رسائل جيفري في عام الكورونا

جيمس جيفري: رسائل مبطنة وأخرى مسكوت عنها

المقابلة الطويلة التي أجراها الصحافي ابراهيم حميدي مع المبعوث الأمريكي الخاص بالملف السوري جيمس جيفري، ونشرتها جريدة «الشرق الأوسط» بتاريخ 2 أيار/مايو 2020، مقابلة تستوقف من نواحٍ عدة، وذلك سواء بالرسائل التي تضمنتها، أم بالمواقفَ التي جددتها أو أفصحت عنها، أو بالوقائع التي تصمت عنها؛ هذا إلى جانب الإشارات التي قد يُستشف منها ملامح وأبعاد العلاقة المستقبلية بين الروس والأمريكان في ضوء توزيع الأدوار وتكاملها في منطقتنا.

الرسالة الأهم يوجهها جيفري إلى عدد من الدول العربية المتلهفة للانفتاح على النظام السوري، وتطوير العلاقة معه، والعمل على إعادته إلى الجامعة العربية؛ وذلك بحجة أن خطوات من هذا القبيل ستبعد النظام عن إيران. وهي الفكرة التي وصفها جيفري بالمجنونة أو الجنونية؛ مبيناً في سياق رده على مزاعم المتهافتين بأن علاقة النظام الإيراني مع سوريا عبر نظام بشار الأسد باتت عضوية، فأجهزة النظام المعني متغلغلة معشعشة في الدولة والمجتمع السوريين. وحتى يخفف من مسؤولية بعض الدول العربية، أو ربما تحذيرها، أردف جيفري قائلاً: «لا نعتقد أن دول الخليج العربي والبلدان العربية الأخرى ستكون على وفاق أبداً مع رجل مثل الأسد».

فإيران ماضية في دعمها لحزب الله والميليشيات المذهبية المرتبطة بها، وهي الميليشيات التي جاءت بها من العراق وأفغانستان وباكستان، وربما من دول أخرى لتحارب الشعب السوري ضمن مشروع ولي الفقيه التوسعي.

رسالةٌ أخرى يوجهها جيفري إلى النظام الإيراني عبر تأكيده دعم الولايات المتحدة الأمريكية للهجمات الإسرائيلية ضد القوات الإيرانية والميليشيات التابعة لها داخل الأراضي السورية، وذلك في سياق السياسة الأمريكية الثابتة في ميدان الالتزام بأمن إسرائيل. فما ذهب إليه جيفري في مقابلته هو أن الأخيرة تواجه خطراً وجودياً يتمثّل في النظام الإيراني، ويصفه بالنظام الوحشي الذي يقمع الشعب الإيراني ويعمل على التغيير المذهبي في سورياً ضمن إطار سياسته المعهودة التي تقوم على وضع المذهب في خدمة مشاريعه التوسعية التي تُستخدم ضمن الحملة التضليلية الديماغوجية التي يمارسها في الداخل الإيراني، وذلك بهدف إقناع الناس بضرورة التحمّل، وانتظار نتائج «الفتوحات الكبرى» التي ستجعل من إيران قوة أساسية سائدة في المنطقة، بل «قوة عالمية عظمى» يُحسب حسابها.

رسالة ثالثة يوجهها جيفري إلى السوريين المناهضين لحكم الأسد، مفادها أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست إلى جانب نظام بشار، بل هي مع الانتقال السياسي، ويبين أن الضغط الاقتصادي الذي يمارسه الأمريكان على النظام إنما يستهدف الأخير وليس الشعب السوري، والغرض منه هو إرغام النظام على القبول بالانتقال السياسي، وإقناع الشخصيات القريبة من النظام بأن الضغط لن يتوقف من دون تغيير سياسي في البلاد.

وبالتكامل مع هذه الرسالة، هناك رسالة موجهة إلى الأوروبيين، تبين لهم أهمية الاستمرار في خط العقوبات المتخذة ضد نظام بشار.

وهناك رسالة مزدوجة خاصة بالروس فحواها أن الأمريكان هم إلى جانب تركيا في موضوع إدلب. ويتجلى ذلك عبر تثمين الدور التركي في ميدان التعامل مع المجموعات الإرهابية التي يحددها بجبهة تحرير الشام، ويرى أن هذه الأخيرة لا تشكل خطراً على النظام والروس، بقدر ما تشكل خطراً على الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها. وبالانسجام مع ذلك لا يرى أي مسوغ لأي هجوم سواء من جانب الروس أم من جانب النظام ورعاته الإيرانيين على إدلب، وهي التي اعتبرها في مقابلته آخر قلاع المعارضة السورية التي لم تسقط رغم توقعات الكثيرين العكسية.

أما الشق الثاني من الرسالة الروسية فهو يتشخص في الإشارة التي يُستشف منها إقرار ضمني باستمرارية الوجود الروسي في سوريا مستقبلاً. هذا بينما يبين جيفري أن كل القوات الأخرى، بما فيها الأمريكية، ستخرج من سوريا. ولكن ما هو الثمن مقابل ذلك؟

هل المطلوب من الروس الإسهام في عملية إخراج الإيرانيين من سوريا، وهذا ما يستوجب المزيد من التعاون والتنسيق مع الإسرائيليين الذين أعلنوا صراحةً أنهم قد انتقلوا من عملية إعاقة القوات الإيرانية في سوريا، إلى مرحلة العمل الجاد من أجل طردها وإخراجها من البلاد؟

والسؤال المشروع الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: هل من علاقة أو صلة بين الموقف الأمريكي هذا الذي أفصح عنه جيفري والدراسات والتقارير والاستطلاعات الروسية التي صدرت عن المجلس الروسي للشؤون الدولية، وصندوق حماية القيم الوطنية، وغيرهما من الدوائر الصحافية القريبة من صانع القرار الروسي، حول فساد النظام السوري، وتراجع شعبية بشار الأسد، ورغبة السوريين في التغيير؟

والملاحظ أن هذه التقارير جاءت قبل خروج الأزمة بين رامي مخلوف وبشار وطاقمه بصورة دراماتيكية إلى العلن. وذلك بعد فترة طويلة نسبياً من الخلاف الصامت، وهو الخلاف الذي لم يعرف بحقيقته وأبعاده سوى من هم في الدوائر الضيقة المحيطة بهما.

إلى جانب ما تقدم، كان من اللافت إشادة جيفري بإدانة منظمة حظر الأسلحة الكيميائية للنظام في موضوع استخدام السلاح الكيميائي (السارين والكلور) في اللطامنة (ريف حماة) في 24 و30 آذار/مارس 2017. كما أنه أوضح دلالات عدم سيطرة النظام على مناطق هامة واسعة من سوريا، خاصة مناطق السهول الزراعية، وتلك التي تحتوي على حقول النفط؛ هذا فضلاً عن رفض أكثر من عشرة ملايين سوري العيش ضمن المناطق التي يسيطر عليها النظام.

والأمر الذي يستوقف في مقابلة جيفري أنه يريد إقناع المشككين بالموقف الأمريكي في سوريا بأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست من أصدقاء النظام السوري، هي ليست كذلك في عهد ترامب، ولم تكن كذلك أيضاً في عهد أوباما. ويشدد أن بلاده ستستمر باستخدام كل أنواع الضغط على النظام من أجل إرغامه على التمثل لمطالب التغيير، ويكون مستعداً للقبول بالانتقال السياسي. ومن هنا دعوته الموجهة لشخصيات قريبة من النظام، وفحواها أن لا مستقبل لهذا النظام.

أما لماذا لم تضغط الولايات المتحدة الأمريكية على النظام في الوقت المناسب، ومنذ بدايات الثورة السورية ربيع عام 2011، وقبل ظهور جبهة النصرة وداعش، وقبل الامتداد الإيراني المكثف، والدخول الروسي الضخم، فكل ذلك يدخل في باب المسكوت عنه، لذلك نعلق أسئلتنا حول هذا الموضوع مبدئياً في انتظار ترجمة وعود هذه المقابلة واقعاً على الأرض.

وفي إشارة إلى اللجنة الدستورية، يبين جيفري أنه لولا الضغط لما قبل النظام بتحديد جدول أعمال جلستها المقبلة، هذا رغم تقليله من شأن هذا الموضوع برمته. لذلك يشدد على أهمية أن يأتي ذلك في سياق دفع النظام نحو القبول بالانتقال السياسي.

وللملاحظ أنه بالانسجام مع ما تقدم يشكك منذ الآن في الانتخابات التي قد يجريها النظام في العام المقبل بغرض التجديد لبشار؛ ويقول عنها بأنها ستكون عديمة المصداقية، بل ستقابل بالرفض التام من جانب المجتمع الدولي.

ما يمكن قوله عن هذه المقابلة، هو أن أنها تختلف عن الأحاديث والمقابلات الأخرى التي كانت حتى الآن مع جيفري بشأن الموضوع السوري.

ويبدو أنها تعكس الرغبة في الوصول إلى المزيد من التوافقات مع الروس حول هذا الموضوع. ومن الواضح أنه يحرص على أخذ الموقف التركي بعين الاعتبار، خاصة في موضوع إدلب.

وليس بعيداً عن الموضوع السوري الذي سيتعهد به الروس، وبالتنسيق مع إسرائيل، وفق تلميحات جيفري، نرى أن العراق سيكون على الأغلب محور التركيز الأمريكي في المرحلة المقبلة. ولكن دائماً هناك حسابات وتفاصيل تؤخذ بعين الاعتبار. ولا يمكننا في هذا المجال أن نقول إن الأمور قد حسمت لصالح هذا السيناريو أو ذاك، وإنما ما نتلمسه بصورة أولية هو وجود إرادة أمريكية بمنع إعادة تأهيل نظام بشار عربياً، أو تسويقه دولياً، خاصة أن مفاعيل قانون سيزر/ قيصر باتت على الأبواب.

وهناك ملفات كثيرة يمكن استخدامها أمريكياً لإدانة النظام بجرائم الإرهاب المنظم، وغسيل الأموال، والتغيير الديموغرافي، والجرائم ضد الإنسانية، وغير ذلك من الملفات؛ ولكن كل ذلك مرتبط بمهامية وآفاق التوافقات المنتظرة مع الروس.

وتحسباً لأية احتمالات أو متغيرات، يبقى موضوع محاربة داعش له الأولوية.

وفي سياق الملف ذاته، تبقى العقدة التي تنتظر الحل ونعني بها موضوع حزب الاتحاد الديمقراطي الـ «ب.ي.د» الذي يُسمى في إطاره الأوسع بـ «قسد». هل سيكون هذا الموضوع جزءاً من الحل السوري المتوقع بعد تفكيك العلاقة بينه وبين حزب العمال الكردستاني، ليصبح حزباً كردياً سورياً، مقابل جهود أمريكية جادة، وبالتنسيق مع إقليم كردستان العراق، لإعادة الحياة إلى العملية السلمية التي كانت تستهدف الوصول إلى حل عادل للقضية الكردية في تركيا، ضمن إطار وحدة الدولة؟ هذا الأمر هو على غاية الأهمية بالنسبة إلى كل من سوريا والعراق وتركيا، وهام بالنسبة إلى الاستراتيجية الأمريكية المعلنة، ولكنه ذو أهمية قصوى بالنسبة إلى شعوب المنطقة بصورة عامة، لأنه في حال معالجته بصورة عقلانية عادلة سيفتح الآفاق أمام انتعاش اقتصادي يجذب أموال الاستثمار في أجواء الأمن والأمان والاستقرار، ويحقق قفزات تنموية نوعية توفر فرصاً واعدة في ميداني التعليم والعمل أمام أجيالنا المقبلة، وهذا ما يقطع الطريق أمام مشاريع الإرهاب والتدمير والموت بكل اسمائها وصيغها وتلويناتها وادعاءاتها.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

فردانيّة أم أنانيّة؟

منصف الوهايبي

نحن لا نلتقي أبدا بـ«الكائن البشري» أو «الإنسان» لا في الطبيعة ولا في العمران وإنّما بالفرد. وشتّان بين الأوّل وهو «كلّية» مجرّدة، والثاني وهو حقيقة واقعيّة أو عينيّة. ويعرف أكثرنا أنّه ليس بميسورنا إنكار وجود الكلّيّ، أو وجود مفهوم كلّيّ للأشياء، أو حدّ كلّي لجنس أو لنوع من الأشياء. لكنّ كثيرا أو قليلا منّا ينكر أن يكون هذا الكلّي، مفهوما كان أو جنسا، وجودا قبليّا على غراره توجد بعديّا الأشياء المنسوبة إليه. وإذا كان لهذا الكلّيّ أن يوجد، فلَهُ أن يوجد من جهة كونه مؤمّلا بعْدُ، أي من جهة كونه رهان الأشياء تختبر كينونتها الفعليّة على محكّه عساها تدركه. وما هي بمدركته ما دامت تجري في أفق من الوجود مفتوح أبدا. وهذا «المفتوح أبدا» هو الكلّيّ، ومثل هذا لا يقال ولا يحدّ في مفهوم. فإذا ما قيل أو حُدّ فعلى سبيل الافتراض، ليس إلاّ.

وعليه، فإنّ ما هو موجود فعليّا من الأشياء، إنّما يتعلّق بفرديّات، وليس بكليات هي حدود يضعها العقل البشريّ بدافع الرّغبة في إدراك حقائق الأشياء، لا غير. والكائن البشري أو هذا «المجرّد» فكرة أفلاطونيّة، وهو على رأي الكسيس كارفل، يعيش في فكرنا وفي كتبنا؛ ويتكوّن من مجرّدات يدرسها «الوظائفيّون» أو علماء «الفسلجة»، أي علم وظائف الأعضاء، وعلماء النفس وعلماء الاجتماع. وطبّاعه كلّيّات أو جملة من المعاني المجرّدة أو «المحمولات» باصطلاح الفلاسفة.

الفرديّة مسألة قديمة، لكنّها تطفو اليوم، على نحو مثير بسبب هذا الوباء وهو ليس مجرّد شدّة أو نازلة عظيمة فحسب؛ وإنّما هو جائحة تستأصل طباع الناس، وتكاد تُذهب مجال «العيش معا» وتأتي عليه. على أنّ الفردانيّة أو الفرديّات، فهي أسلوب في التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفلسفي، حيث الفرد هو أساس المجتمع وقيمه.

وهي تقوم على منح امتيازات تخصّ مصالح الفرد وحقوقه وقيمه، بالنسبة إلى الفئات الاجتماعيّة كلّها، سواء أكانت الأسرة أم رابطة الدم أم الجماعة أم الطائفة أم أهل الحرفة أم المجتمع؛ فالمصلحة الفردية هي التي تهيمن على المصلحة العامة، في الميادين كلّها، الأخلاقي منها والسياسي والاقتصادي؛ وهي التي تتصدّر الحقوق والمسؤوليات.

والفردانيّة على ما يقوله منظّروها، تنهض على قيمتين: الحرية الفرديّة، وهي للفرد قبل حريّة المجتمع، ونزعة الاستقلالية عن الفئات الأخرى؛ وكأنّها حالة نظام بدهيّ نابع من سلطان الإرادة أو الاستقلاليّة الأخلاقيّة، حيث لا دين أو طيف اجتماعي يملي على الفرد أفكاره.

الفرد إذن هو الواقع الوحيد، سيّد جسده وأفعاله وحياته، ومصدر كلّ تقييم أو تقدير. وفي السياسة، فالأولويّة له أي للمبادرة الخاصّة، وفي تقليص دور الدولة إلى الحدّ الأدنى (الليبرالية).

وعلى أساس من ذلك ترفض التيّارات الفردانيّة أيّ نظر في المشاكل البشريّة القائمة أو الطارئة بشكل جماعي. و«الحريّة» التي تدافع عنها، وتعظّمها وتجعلها «قيمة القيم»، إنّما تظهر في حقّ الملكيّة الفرديّة، وحريّة التفكير والتعبير، أو حرية الأخلاق والضمير. وهي أمور قد يتقبّلها كثير منّا، وفيها ما يرضي الفرد لاشك الذي يريد أن تكون قيمه بمنأى عن القيم أو الأعراف الجماعيّة السائدة.

لا أحبّ أن أقطع برأي في مسألة كهذه قد تكون أعلق بالفرد منها بالجماعة؛ وهناك أفراد كثيرون سعداء بفرديّتهم، أو يتهيّأ لهم ذلك. على أنّ هؤلاء مهما يكنْ نصيبهم من السعادة، ليسوا بمنجاة من التّحوّلات التي طرأت على مجمل القيم التي كان الفكر البشريّ ولا يزال يجريها مجرى الوجود، إمّا لرمزيّتها المجرّدة، أو لانتسابها إلى مجال الغائيّة. ونقدّر أنّها متعيّنة في ظلّ تنامي التّدبير الرّأسمالي للاقتصاد وللمجتمع، وفي الشعبويّة والشوفينيّة، واحتدام الحرب «الكورونيّة» الباردة بين أمريكا والصين. والناس اليوم مثل دولهم فرق مختلفة وأهواء مفترقة، وكأنّهم صورة من الآية «أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا» (المؤمنون 93).

يبدأ المشكل، على نحو ما نرى اليوم، في سلوك الأفراد، والدول وخاصّة تلك التي تنعت بـ«المتقدّمة»، عندما يلتبس الأمر ولا تعرف جهته: أهو فرديّة أم أنانيّة؟ لكن ما هي الأنانيّة؟ أهي نرجسيّة وعبادة ذات؟ أم هي تحرّر من أيّ واجب تضامن مع الآخرين وعيش للنفس فقط؟

قد يكون الأنانيّ هو الذي لا يفكّر فيّ». كما يقول أوجين لابيش، أو لا يهتمّ بي أو لا يشغل نفسه بي. وعلى أسّ من هذا التعريف المثير، يتساءل الفيلسوف دومينيك لوكور ما إذا كان يحسن بنا حقّا أن نفكّر في الآخرين؟ ونحن في مجتمعات «تطابق» فيها الأنانيّة الفردانيّة حيث الفرد «سيّد نفسه، ولكنّه في الآن نفسه مُغْفَل غير مميّز ولا مُسمّى، ولا تاريخ له، ومهيّأ للخضوع لكلّ الامتثاليّات [نزعة التقيّد بالأعراف المقرّرة]، وكلّ يزاحم الكلّ، حتى يكون له الصدر دون العالمين، في التفكير والفعل...». ولعلّه محقّ في عصر تشتدّ فيه النرجسيّة وتحتدّ وتتفاقم، إذ يلاحظ أنّ هناك نوعين من الأنانيّة: إحداهما تصدر عن روح المنافسة، والأخرى تتجلّى في لامبالاة الفرد بغيره أو بالجميع. وهي لا تعني «اللاتفريقيّة» أي الموقف الحيادي المطلق في السياسة والدين، وإنّما عدم الاكتراث أو عدم إغاثة الملهوف، عندما يشيح أيّ منّا بوجهه عن امرأة تعنّف، أو مجرم أو سارق يسلب المارّة أو يبتزّهم. والأولى هي مرادف النجاح الاجتماعي حيث تؤخذ الدنيا غلابا، وكأنّ الإنسان «ذئب الإنسان» أو هو «مُبرمج» لسحق الآخر وإزاحته، من أجل أن يُخلي المكانَ له وحده، أو يحلّ محلّ غيره. وكان عالم البيولوجيا ريتشارد دوكينز قال عام 1976 إنّ الأنانيّة كامنة في الجينات. ولكن علم الوراثة دحض هذه المزاعم.

قد تكون الأنانيّة بهذا المعنى هي القاعدة الاجتماعيّة حيث النفاق والرياء والمكر والخداع هي مفتاح السرّ في الإنسان أي هذا «الكائن المجرّد» كما سلفت الإشارة. وهذه كلّها من الكلّيّات لابدّ منها من أجل بناء العلم والمفاهيم، وحاجتنا إلى العامّ أو الكائن هي على قدر حاجتنا إلى الخاصّ أو الفرد؛ ونحن نعيش في عالمين مختلفين: عالم الوقائع وعالم الرموز، وفي صراع لا ينقطع من أجل العيش. وهو ما يجعل البعض مثل الأمريكيّة من أصل روسي آين رند (1905/ 1982) تذهب في مصنّفها الأثير في أمريكا «فضيلة الأنانيّة» 1960، إلى أنّ الأناني ليس هو الذي ينتهز الفرص ويستغلّ الآخرين ويفيد منهم؛ وإنّما هو «الذي يمتنع عن استخدام الآخرين، بأيّ وجه من الوجوه، ولا يعيش مرتهنا بهم، ولا يجعل من الآخرين الحافز الأصلي لفعاله وأفكاره، ولا يستمدّ منهم مصدر طاقته». وهذه في تقديرها هي «الأنانيّة المعقولة» أي مجموع القيم المكتسبة من أجل بقاء الإنسان إنسانا، وحفظ الجنس البشري.

على أنّي لست بالمتشائم ولا بـ«المتشائل»، فثمّة ناحية في النفس البشريّة قد نغفل عنها، وقد نتناساها، هي «الغيريّة» أي حبّ الغير أو «الإيثار»، حتى عندما نقرأ أنّ الغيريّة شعور نملك الحسّ به، أو هو يمنحنا نوعا من انشراح الصدر وطيبة الخاطر ليس إلاّ. بل إنّ آدم سميث وهو ما هو عند المدافعين عن الليبراليّة الجديدة (يد السوق غير المرئيّة) يقول إنّ الإنسان مدفوع إلى التعاطف أو الاستئناس أو المشاركة الوجدانيّة، والتواصل مع الآخرين. وحاجتنا نحن العرب إلى هذه «الغيريّة» قد تكون اليوم أشدّ، وليس من حقّنا ونحن نرى كيف تنتهك حقوق الشعب السوري أو الفلسطيني أو العمّال المهاجرين الذين تقطّعت بهم السبل؛ أن نلوذ بالنظريّات والأطروحات التي ما انفكّت تؤصّل لخطاب في التشاؤم أو العدميّة، أو للفردانيّة الشوفينيّة.

إنّ للفردانيّة شأنها شأن الأنانيّة حدودا، لعلّ أظهرها ضمان السّلم والأمن والطّمأنينة، وتدبّر شؤون الجماعة بقدر معقول من الدّيمقراطيّة والغيريّة، ونحن لم نوفّر بعدُ الحدّ الأدنى من هذا الضّمان، على اختلاف مجتمعاتنا. فهل الفردانيّة مطلب مشروع لبعض البشر دون الآخرين؟ أم هل هي تجري مجرى التملّك أم مجرى الوجود؟ والأفراد يختلفون عن بعضهم البعض، الأمر الذي يثير أكثر من سؤال، إذ كيف يمكن تشكيل المجتمع عندما يُقدّس» السعي وراء المصالح الخاصّة، وتشتدّ المنافسة أو رغبة الفرد في إشباع غرائزه أو متعه الخاصّة؟ بل أيّ تماسك اجتماعي ممكن في عالم تتصدّره الفردانيّة؟

ومع ذلك نتساءل ما إذا كان يجوز لنا، حتى لا نصادر حقّ غيرنا أن نحصر مقاربة الفردانية؛ في الانتقال من سجلّ التّعالي أو «الإرجاء الميتافيزيقيّ» أو اللاهوتيّ، إلى سجلّ المحايثة؛ حيث سعادة الفرد حبيسة أنماط سلوك وضروب عيش يجري تسويقها بتسخير آليّات كثيرة من الدّعاية والإشهار في حضارة اليوم.

لعلّ المطلوب دائما هو أن نفحص بنية ذواتنا؛ عسى أن نتبيّن ما إذا كان الأمر معقودا على ذاتيّة فرديّة أم على ذاتيّة جمعيّة.

كاتب تونسي

تخفيف تدابير العزل

سجلت عطلة نهاية الأسبوع بداية التخفيف الفعلي لتدابير العزل في أوروبا وتحديداً في فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وبلجيكا وهولندا وتشيكيا واليونان وأوكرانيا، كل بلد على طريقته.

وفي اسبانيا منذ الجمعة، فتحت برشلونة شواطئها للرياضة، على الرغم من الحذر السائد في البلاد.

وترفع إيطاليا التي دفعت ثمنا باهظا جراء تفشي الوباء، التدابير باحتراس. في وقت لا تزال عاصمة لومبارديا تعتبر «قنبلة» كما وصفها عالم أوبئة معروف.

في فرنسا سيسمح مجددا بحرية التنقل لكن مع قيود في المناطق «الحمراء».

ودعا رئيس الوزراء بوريس جونسون البريطانيين إلى الصبر قبل ثلاثة أيام من خطاب سيلقيه ليعلن فيه تخفيفا «محدودا جدا» لبعض القيود.

وقررت ألمانيا التي تراجعت الإصابات فيها إلى مستوى «يبعث على الرضا» رفع كل القيود تقريبا. والأمر نفسه ينطبق على النمسا والدول الاسكندنافية والدنمارك التي ستعيد فتح المتاحف والمسارح ودور السينما في 8 حزيران/يونيو.

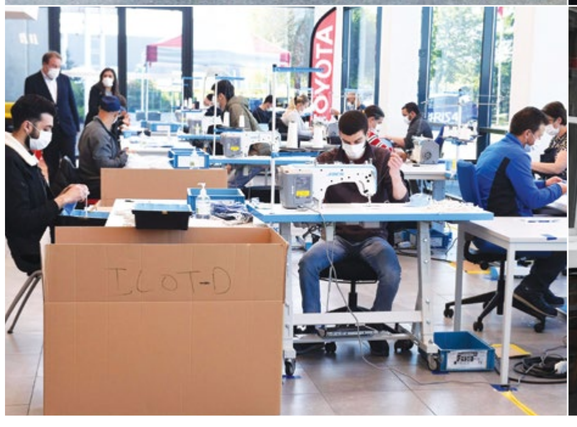

أدب وفنون

العيارون واللصوصية في التراث العربي

د. مصطفى عطية جمعة

لا تستغرب من القول إن حركة الشطار والعيارين (اللصوصية) من الحركات الشعبية الأصيلة في التاريخ العربي الممتد، تلك الجماعات التي ظهرت بين العامة، وتمردت على الدولة والمجتمع، واستهدفت الثورة على الحكومة والسلطة وذوي المال، وذلك عبر احتراف أعمال اللصوصية والعيارة. والغريب أن لفظة العيار تعني في لغة أهل التركستان؛ اللص الشريف الذي يفشل في الحصول على تسوية لوضعه الاجتماعي أو في الحرية السياسية، فيتجه إلى أعمال اللصوصية، وتحدي سلطة الدولة.

والمفارقة في أمرها، أن هذه الحركة إذا كانت مرفوضة من الناحية القانونية والسلطوية، فإنها مقبولة من الناحية الاجتماعية، ويُعدُّ أصحابها من الأبطال في نظر العامة، تلهج بذكرهم، وتشيد ببطولتهم في حديثها السيار، ولها مبرراتها في ذلك، فهي تنظر إليهم وإلى تمردهم أو ثورتهم على الدولة والمجتمع؛ باعتبارهم يمثلون ثورة الفقراء على الأغنياء. وقد ازدهرت حركة العيارين في الحواضر السياسية والاقتصادية أولاً، ومن ثم تمددت إلى الأطراف والمدن الكبرى، ذات الثقل والبعد النسبي عن مركز السلطة، وتنمو أكثر كلما اشتد ترف الطبقة الحاكمة وثرائها، حينما عامة الشعب تعاني أقصى درجات الحرمان.

وعلى الجانب الآخر، فإن اتباع هذه الحركة يُنتقَدُون بشدة، لأن أسلوبهم في التمرد والسلطة كان يفتقر للنظام والتخطيط لتغيير الحكم، ولم يكن للقائمين عليها تصور لمجتمع آخر، وهذا منطقي، فلم يكونوا أبطالاً أو شرفاء، ولكن كانت لديهم مبادئ نبيلة، وقوانين عادلة، ضمن مجتمعهم القائم على اللصوصية والنهب.

وقد اهتم مؤلفو الكتب السردية القديمة بالشطار والعيارين، وذكروا قصصا عنهم، فللجاحظ مؤلَّف بعنوان «كتاب اللصوص» (من تحقيق: عبد السلام هارون، ونشر في مكتبة الخانجي، القاهرة) وفيه يروي دستور العيارين وهم جماعة من اللصوص كانوا يقطعون الطريق على المسافرين، ويسرقون من الأغنياء ويساعدون الفقراء، ولهم دستور خاص بهم. وقد قدّم الجاحظ دستور هذه الجماعة بشكل حسن، وجعلهم أصحاب رسالة نحو الفقراء، وإن أخذ عليهم أساليبهم غير الشرعية.

والمدهش في الأمر أن الجاحظ ذكر سردياته عن اللصوص، من واقع معاشرته لبعضهم، وسماعه بنفسه لحكاياتهم. وذلك منهجه وأسلوبه الذي أشار إليه في مقدمة كتابه «البخلاء» وأكّد عليه في كتاب «اللصوص» فلو سمع بقصة عن لص، يعمل على تقصّيها، ليخرج عنها الكذب ويأتي بالرواية الصادقة، ويشير بقوله: «وقد رأيت بعضاً منهم وجالستهم».

وهذا دال على دأبه في المعرفة والحضور الذي يشكل أهم صفات الباحث العلمي والموسوعي، بأن يكون له تواجد اجتماعي دائم من خلال عمل مستمر ومتقصّ ويتسم بالمراجعة للحقائق، حتى لو كانت طبيعة الموضوع تتعلق بالسرقة واللصوصية.

ويذكر بعض الباحثين أن كتاب «اللصوص» للجاحظ هو سجل للصوصية؛ ليس في عصره فحسب، بل إن الجاحظ قد قام فيه بتتبع الأمر من الزمن الغابر إلى زمنه المعاصر، وأنه كان يقوم على معالجة فنية وليس مجرد عمل إخباري.

وفي تقريظ كتاب «اللصوص» يورد الخطيب البغدادي ما نصه: «هو (الكتاب) في تصنيف حيل لصوص النهار، وفي تفضيل سراق الليل، جمع فيه لطائف الخدع، وغرائب الحيل»، أي أورد القصص الطريفة والمسلية على شاكلة ما في «البخلاء».

وعلى صعيد آخر، فإن المحسن التنوخي في كتابه السردي الكبير «الفرج بعد الشدة» يتبنى وجهة النظر الجاحظية نفسها نحو اللصوص، من خلال قصتين، الأولى يرويها عن أبيه، حيث يحكي الأب أنه كان مسافرًا من الكرخ إلى واسط عبر النهر، فخرج عليه جماعة من اللصوص، إلا أن الوالد رفض أن يهاجمهم حتى لا يهاجموه، وما إن اقتربت سفينة اللصوص من سفينة الوالد، حتى صعد إلى سفينته زعيمُهم، وراح يقبّل وجه الوالد ويديه، فلما سأله والد التنوخي عن سبب فعله، ذكر الزعيم أنه ابن بوّاب كان يعمل لدى الوالد في الكرخ ولا يزال يذكر للوالد معاملته الحسنة له، وعن سبب احترافه السرقة، قال زعيم اللصوص: «يا سيدي، نشأتُ، فلم أتعلم غير معالجة السلاح، وجئت إلى بغداد أطلب الديوان (يقصد أن يعمل في الحكومة) فما قبلني أحد، فانضاف إليّ هؤلاء الرجال، وطلبت قطع الطريق، ولو كان السلطان أنصفني ونزّلني بحيث أستحق من الشجاعة، وانتفع بخدمتي ما كنتُ أفعل هذا بنفسي»، فوعظه والد التنوخي، وطلب منه أن يعفو عن من بالسفن ففعل وكذلك فعل مع الفقراء والضعفاء، وسار اللص مع الوالد حتى أوصله إلى بر الأمان.

ومن خلال كلام اللص الكرخي وتصرفه، نرى أن أسباب انحراف هؤلاء اللصوص تعود إلى أبعاد اجتماعية، فقد نبذهم ديوان الحكم والمجتمع، فاحترفوا اللصوصية مدفوعين بالعوز والفاقة، ومع ذلك لا يؤذون الضعفاء من المسافرين ولا الفقراء.

والقصة الثانية يرويها المحسن عن ابن حمدي اللص البغدادي الشريف، الذي اشتهر بفتوته وظرفه وعدله، فقد كان لا يأخذ مالاً دون ألف درهم، ولا يفتش امرأة ولا يسلبها، وموجز القصة أن أحد التجار كان مسافرًا، فقطع عليه الطريق أتباع ابن حمدي، وسلبوه كل ما يملك من مال في الدنيا، فهكر التاجر، وذهب باكيًا إليها ابن النديم في كتابه «الفهرست» معددا أبرز الكتب التي تحدثت عن طائفة السُرّاق، وفنون السرقة، ومن ضمنها: «كتاب السرقة وقطاع الطرق» لمؤلفه محمد بن حسن (ت 189 هـ)، والذي يعتبر أقدم الكتب في هذا الموضوع، ويبدو أنه سبق الجاحظ أو استفاد منه. وهناك كتاب «الحراب واللصوص» لمؤلفه أبي هلال لقيط المحاربي المتوفى (ت 190 هـ)، وأيضا كتاب «الراحة ومنافع العيارة» لأبي العنبس الصميري (ت 256 هـ)، وكتاب «أشعار اللصوص» لأبي سعيد السكري (ت 275هـ)، وهو متقدم زمنياً بالإضافة لكتاب متقدم آخر وهو «كتاب السرقة» لأبي سليمان داود بن علي الأصفهاني، المتوفى (ت 270 هـ)، وهو ما يستلزم الكثير من الدراسات البحثية، التي نقرأ بها الوجه الآخر للمجتمع العربي المسلم، من خلال سرديات اللصوص، فلا يمكن فهم مجتمع إلا بدراسته من جوانبه كافة.

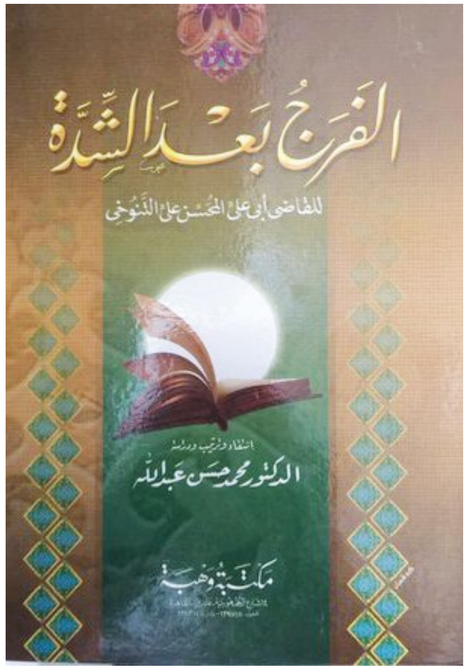

ابتكار الأمل: فنانون وأدباء عراقيون يواجهون عزلة كورونا بشُرفة افتراضية

مروان ياسين الدليمي

الأسئلة التي تُطرح للوهلة الأولى هذه الأيام: أين يقف النخبة من الفنانين والأدباء والمثقفين في هذه المحنة التي أشاعت قلقا رهيبا في داخل الإنسان، هل سيكون خيارهم الانزواء في بيوتهم مثل ملايين البشر، من غير أن يمارسوا دورهم، باعتبارهم يمثلون في حضورهم حساسية عالية إزاء الأحداث التي تحيط بهم؟ أليس من المجدي الحديث عن أهميتهم في صميم هذا البلاء؟ والفنون الإبداعية دائما ما كانت تعبر عن قوة فاعليتها في الأزمنة التي تشهد تحديات وجودية، ولا شك هناك تباينات واضحة، في ردود الأفعال على المستوى الفردي، إزاء الحدث بين عناصر هذه النخبة. والحديث عن تداعيات جائحة كورونا على الحياة، يتشعب كثيرا إذا ما حاولنا أن نتقصاه، بعد أن بدت آثارها السلبية في جميع أوجه النشاط الإنساني، وبات بحكم الأمر المنتهي، أن الأوضاع لن تعود إلى ما كانت عليه من بعد ان يتم السيطرة على الفيروس، مع اقرارنا بأن ما من معلومة مؤكدة تشير إلى اقتراب موعد القضاء عليه، وربما ستطول فترة الحرية التي يتمتع بها وهو يصول ويجول في بقاع الأرض، خاصة وأن الأسباب التي تقف خلف ظهوره وانتشاره ما زالت مثار جدل واتهامات متبادلة بين أمريكا والغرب من جهة والصين من الجهة الأخرى.

الأدب والشعر في الأمس القريب

ما يعنينا بهذا الموضوع، آثاره التي انعكست على الأنشطة الثقافية والفنية في العراق، فقبل هذا الحدث كانت هناك فعاليات مختلفة ومتنوعة لم تكن تقتصر على العاصمة العراقية بغداد بل معظم المحافظات العراقية، إلا أنها توقفت نهائيا، فلم تعد تشهد المسارح ولا الصالات عروضا مسرحية وندوات وأماسي شعرية، والغيت جميع المعارض التي تحتفي بالكتاب، مثل معرض بغداد وأربيل والموصل.

كثيرة جداً العناوين الفنية والثقافية التي أمست بحكم الذكريات وكأنها تعود إلى أيام بعيدة لم يعد بالإمكان تعود لتمكث بيننا، وكلما حاولنا ان نستعيد تفاصيلها بما تحمله من أصوات وألوان وأضواء وكلمات نشعر بالحسرة، وإذا ما أردنا استعراضها لن يسعفنا المكان لاحتوائها، ويكفي فقط الإشارة إلى أن اتحاد الأدباء كان يقيم أمسيات بعدد أيام الأسبوع، وكل يوم مخصص لحقل أدبي ينضوي تحت عنوان رابطة أو ملتقى يشير إليه، فالأيام تكتسب اسماءها منها، مثلا يوم السبت من كل أسبوع مخصص لنادي السرد، حيث يستضيف قاصا أو روائيا ليقدم شهادة عن تجربته في الكتابة، ويوم الأحد يحتفي منتدى نازك الملائكة بواحدة من الشاعرات لتعيد على أسماع الحاضرين نماذج من نصوصها الشعرية، ويوم الأثنين يفتح نادي الشعر أبوابه أمام تجربة شعرية لتتساب على المتلقين خيالات واستعارات تغرد بها عن تجارب أخرى، ويوم الثلاثاء ينصت جمهور ملتقى الإذاعيين والتلفزيونيين إلى واحد من الأسماء التي كونت حضورها في المشهد الغني، وهكذا تستمر هذه الدورة على بقية العناوين التي تتفرع من اتحاد الأدباء. وإذا ما أجرينا عملية إحصاء سريعة سنجد ما يزيد على 300 نشاط ثقافي في العام الواحد يشهده مبنى اتحاد أدباء العراق، وبسبب كورونا كلها توقفت هذا بالإضافة إلى ما اعتادت على إقامته أندية عريقة مثل نادي العلويّة وعديد الصالونات والمجالس الثقافية المعروفة بأسماء أصحابها الذين ينتمون إلى عوائل معروفة في بغداد، ويزيد عددها على العشرة، تمثل جزءا حيويا من المحتوى الاجتماعي للثقافة العراقية، وفيها يلتقي مثقفون وأكاديميون ورجال أعمال وساسة ورجال دين وفي أجوائها تتحقق حوارات مهمة في الفكر والفلسفة والفولكلور والتراث بعيدا عن أي أجندات لا صلة لها بالشأن الثقافي، وأبرزها: مجلس الفقه، ومجلس الشهرستاني، ومجلس الخزومي، وصالون عشاق بغداد، ومجلس قنبر علي، ومجلس الصفار.

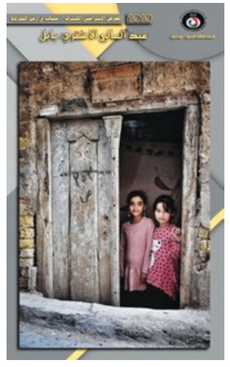

التشكيليون

أما جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين التي تأسست عام 1956 فقد توقف نشاطها الذي كانت لسنين طويلة تعتمده في برنامجها الثابت الذي يتوزع على أشهر السنة الواحدة، ولم تعد تشهد قاعة الجمعية في مدينة المنصور معرضها السنوي الذي يشارك فيه فنانون عراقيون من جميع الأجيال ومن المدن العراقية كافة، ومن خلاله يتمكن النقاد ومتابعو الفن التشكيلي من الاطلاع على أبرز تمظهرات الفنون التشكيلية، من رسم ونحت وسيراميك وخط، إضافة إلى المعرض السنوي الذي تقيمه احتفاء بالأعمال التي تحاكي الطبيعة بأساليب مختلفة، هذا إلى جانب المعارض الشخصية التي ترعاها الجمعية في صالتها، إلى جانب رعايتها لمعارض أخرى تقام في غالبرهات تعود لأشخاص ومؤسسات ثقافية، مثل مؤسسة حوار التي يديرها الرسام قاسم سبتي في منطقة الوزيرية المجاورة لمبنى كلية الفنون الجميلة في العاصمة بغداد، وقد استوعبت هذه المؤسسة أحلام الفنانين التشكيليين في أصعب السنين التي مرت على بغداد خاصة في فترة تسعينيات القرن الماضي التي شهدت فرض حصار دولي على العراق، فكانت الملاذ الذي أعاد ضبط إيقاع العمل التشكيلي بفضل حيوية الفنان سبتي وعلاقاته الاجتماعية الواسعة مع الفنانين داخل وخارج العراق، وحتى بعد سقوط بغداد عام 2003 لم يكن ممكنا في الأشهر والسنوات الأولى لهذا الحدث أن تكون الصورة واضحة للفنانين بعد إحداث الفوضى والعنف التي شهدتها البلاد، فكانت قاعات وحدائق قاعة حوار نقطة ارتكاز الفنانين لتنظيم أفكارهم والتخطيط لمشاريعهم.

المسرحيون

أما المسرح في العراق فقد تلقى فنانوه نصيبهم من آثار حظر التجوال والحجر، بعد أن كانوا في حالة عمل مستمر منذ خمسينيات القرن الماضي لتقديم عروض ذات أبعاد جمالية تنهل من أساليب المسرح الحديث تتوزع ما بين عروض الفرقة الوطنية التابعة لوزارة الثقافة، وعروض كليات ومعهد الفنون الجميلة، إضافة إلى الفرقة الأهلية التي تقدم عروضا مسرحية ذات طابع كوميدي شعبي. وأي متابع للنشاط الفني في العراق سيجد أن المسرح في العراق كان يمثل حكاية معباة بسرديّة تحمل مضامين وأشكال أنتجها فنانون كانوا على درجة مهمة من الخبرة والتطلع إلى إحداث خطاب فني جديد يتجاور مع كل ما هو جديد في عواصم العالم المتقدمة مسرحيا، وتناوبت أجيال من المسرحيين خاصة في حقل الإخراج على تطوير وتحديث لغة العرض المسرحي، وصولا إلى الأجيال الشابة التي ظهرت بعد العام 2003 وحققت نتائج طيبة في المهرجانات الإقليمية.

كل هذه المظاهر المسرحية في العاصمة وفي مدن عراقية أخرى توقفت أيضا.

مواجهة العزلة

للمخيلة ان تسرح بعيدا وتلملم تفاصيل الصورة بعد غياب حرارة الأنفاس والمشاعر التي كانت تنبعث من الفنانين والشعراء والأدباء وهم ينسجون حكاياتهم على المسارح والمنصات والقاعات، وبلا شك فإن الصورة أمست موحشة، ولا تعبر عن الجوهر الإنساني للفنان في سعيه الدائم إلى إدامة التفاعل والتواصل مع الحياة وإثراء محتواها بقيم ودلالات جديدة، ومن الصعب على العاملين في حقول الفكر والمعرفة والثقافة والفنون أن ينطووا على أنفسهم خضوعا للمؤثرات الخارجية مهما كانت قاهرة، وغالبا ما كان دورهم يتجلى بفاعلية أكبر وأعمق في مثل هذه اللحظات التي تتهدد فيها الحياة الإنسانية، فيبتكرون أشكالا ومقاربات جديدة لإنبات الأمل، من هذه الزاوية سنصل إلى تفسير حرص الفنانين على إقامة ندوات وأمسيات ثقافية وأدبية ومعارض افتراضية، اضطلع بإقامتها أفراد وجماعات ومنظمات واتحادات ومؤسسات أكاديمية استعانوا جميعا بمواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت، فكانت بديلا مؤقتا لمواجهة العزلة القاتلة التي فرضها فيروس كورونا، وتطورت بعض هذه الأنشطة إلى الحد الذي بدأ القائمون عليها في تنظيم مهرجانات وعروض ومسابقات فنية جماعية.

الموصل

في مقدمة من أقدم على خطوة اقتحام العالم الافتراضي بديلا عن العالم الواقعي جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين في مدينة الموصل، عندما أعلنت عبر رئيسها الرسام د. خليف محمود عن إقامة أول معرض افتراضي للرسم تحت عنوان «خليك بالبيت احنا نجيك» بتاريخ 13 اذار(نيسان) 2020 شارك فيه 53 تشكيليا يعملون في ميدان الرسم والنحت والفخار، وكان الهدف من هذا المعرض حسب ما تحدث لنا الفنان خليف رئيس الجمعية الذهاب باتجاه حث الناس للمكوث في بيوتهم لمواجهة كورونا، سيما وان مدينة الموصل تفتقر إلى أبسط المؤسسات الصحية، فضلا عن إتاحة نافذة جديدة في هذه العتمة لكي يتواصل الفن مع المتلقين رغم الظروف الصعبة. وأضاف خليف أن الجمعية «وبعد نجاح فكرة المعرض أقمنا معرضا آخر للفنانين التشكيليين الشباب».

اتحاد الأدباء والكتاب

من جانب آخر انطلق اتحاد الأدباء العراقيين في بغداد وعدد من فروعه في المحافظات أيضا إلى إيجاد بديل افتراضي باعتباره خيارا متاحا وربما الأفضل والأوسع أفقا لاختراق العزلة التي عزلت النشاط الثقافي عن محيطه الاجتماعي، فابتدأت الأمانة العامة للشؤون الثقافية في اتحاد الأدباء سلسلة من الجلسات والأمسيات التفاعلية حل فيها ضيوفا أسماء فاعلة في الأدب والثقافة العراقية ومن أبرز الشعراء المشاركين: شلال عنوز، موفق السواد، محمد ناظم، عبد الرزاق الربيعي، عزاوي الجميلي، رسمية محيس زاير، حماد الشايع، كما ساهم عدد من النقاد أيضا منهم: د. عمار ياسر، د. اياد الحمداني، والروائي باسم القطراني، هذا إضافة إلى أسماء أخرى. وكان اتحاد الأدباء في مدينة الموصل قد افتتح هذا المنحى التقني على الفضاء الثقافي، وبدأ منذ الأسبوع الثاني للحجر بإقامة أمسيات وحوارات مباشرة مع شعراء عراقيين وعرب استضافهم عبر منصته الافتراضية، ومن الشعراء المشاركين: عبود الجابري/العراق، مطلق العتيبي / السعودية، عبير سليمان/سوريا وحسن عامر/السعودية.

مؤتمرات أكاديمية تفاعلية

وبما أن المؤسسات التعليمية بكافة مراحلها الدراسية في مقدمة الفضاءات العلمية التي تضررت من إجراءات الحجر لذا وجدت دورها يتعطل وسيصاب بالشلل إذا ما خضعت كليا لتداعيات هذه الأزمة الخطيرة التي اجتاحت جميع منظومتها التعليمية، وفي ما يتعلق بكليات الفنون الجميلة والآداب فقد شهدت عقد مؤتمرات تفاعلية، لعل أبرزها ما أقامته كلية الفنون في محافظة واسط، وقد شارك فيها 330 استاذا جامعيا وباحثا من مختلف دول العالم، من ضمنهم: د. امل ناصر/مصر، د. فاخر محمد/ العراق، د. سواميثيان سيثو/الهند، د.بيتر ستورمان/بريطانيا، د. جواد عبد الكاظم الزيدي/العراق، د. بول كيم/امريكا، د. محمد مهدي القصاص/مصر، د. رافي صباح نجم الدين/العراق، د. اسكندر فليبو/بيلا روسيا، د. احمد عبدالله/امريكا.

ومن البحوث المهمة التي عرضت في المؤتمر ما قدمته الفنانة التشكيلية المصرية د. امل ناصر، جاء في مقدمته: «لم يتبق لي سوى الرسم، ذلك ما أجيد فعله وبإرادة اختبرتها في ذاتي مرات عدة، جمعت جميع أنواع أقلام الحبر الأسود وجلست في ركني بالمنزل والصوت المصاحب لي هو صوت النشرات الإخبارية وتقارير كورونا».

مصورو الفوتوغراف

في مدينة الموصل وجدت الجمعية العراقية للتصوير نفسها بسبب كورونا في حالة عطالة قسرية، بعد أن كانت خلال الأعوام التي أعقبت تحرير مدينتهم من سلطة تنظيم «داعش» قد اجتازت عزلة تامة كان قد فرضها عليها أثناء احتلاله لها، فمدّت خيوط تواصل مع العالم الخارجي، وتمكن أعضاؤها من أن ينقلوا بصورهم أفكارا وتفاصيل مهمة أثناء وبعد الحرب التي شنت لتحريرها من «داعش» فما كان منهم اليوم إلا ان يقيموا معرضا افتراضيا تحت عنوان «أمنيات في زمن كورونا» شارك فيه مصورون من جميع مدن العراق تجاوز عددهم 120 ومعظم اللقطات تشير إلى حالة من الشجن إزاء تفاصيل متنوعة من الحياة رصد فيها المصورون وجوها إنسانية ترك الزمن عليها آثار قصصهم، إضافة إلى مشاهد أبطالها شباب ونساء وأطفال، وهم يواجهون قسوة الظروف، منهم من يبدو مبتسما وغير مبال، ومنهم يكافح حتى يصل إلى أحلامه، وبينهم من يقف عند عتبة الانتظار لعل الأمل قد يأتي.

تحقيقات

تساؤلات عن عودة كابوس تنظيم «الدولة» إلى العراق

الحشد الشعبي

بغداد ـ «القدس العربي»:

لم تعد التحذيرات من عودة تنظيم «داعش» إلى العراق، مجرد هواجس، بل أصبحت واقعا يوميا تشهد عليه عمليات وهجمات نوعية متصاعدة ينفذها التنظيم في أرجاء المحافظات العراقية، وسط تساؤلات عن أسباب عودة التنظيم إلى البلد ومن يتحمل مسؤولية تجدد أعماله الإرهابية التي يكون وقودها الأبرياء، ومغزى توقيت عودته والهدف من وراءها. فقد شهدت العديد من مناطق العراق على امتداد أرجاءه الشمالية والغربية والوسطى، تصاعدا غير مسبوق لنشاطات تنظيم «داعش» وهجماته التي لم تستطع حكومة بغداد انكارها أو تجاهلها بعد تزايد أعداد هجمات التنظيم وتطورها النوعي وارتفاع أعداد ضحاياها والخسائر المادية الناجمة عنها.

ومنذ إعلان بغداد رسميا في عام 2017 عن القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في العراق، لم يشهد العراق هذا العدد من الهجمات التي شملت استهداف مقرات ومواقع للقوات الأمنية والحشد الشعبي والبيشمركه، وشن هجمات على القرى النائية والطرق الخارجية وقتل وخطف مدنيين وإحراق مزارعهم.

وكان أبرز تطور نوعي في عمليات التنظيم خلال الأسبوع الماضي، سلسلة الهجمات المنسقة التي شنها التنظيم على أربع مناطق في آن واحد في محافظة صلاح الدين، كما هاجمت عناصر التنظيم مديرية الاستخبارات في كركوك ونقاطا أمنية قرب سجن سامراء، بالتزامن مع شن هجمات على محافظات ديالى وكركوك وبابل وكربلاء، مسببة مقتل وجرح العشرات من القوات الأمنية والمدنيين، لتؤكد فشل أحزاب السلطة في التعامل مع مخاطر عودة التنظيم.

«غزوة رمضان»

وازاء الفشل الأمني في مواجهة هجمات التنظيم، تعرضت القيادات الأمنية إلى النقد، ليس لعجزها عن الرد على هجمات «داعش» فقط وسوء إدارة المعركة معه والتهرب من المسؤولية، بل وفي تجاهل معلومات استخبارية توقعت حصول الهجوم قبل وقوعه، حيث سبق وتم نشر معلومات عن نية التنظيم شن «غزوة رمضان».

النائب السابق وشيخ عشيرة البو عيسى في محافظة صلاح الدين شعلان الكريم، اتهم القيادات العسكرية في سامراء بعدم تحمل مسؤولياتها في حماية المنطقة ومواجهة هجمات «داعش».

وتساءل الكريم في مؤتمر صحافي «من يتحمل مسؤولية دماء الشهداء والجرحى، رغم أنني شخصياً ناشدت بشأن الثغرة الموجودة في منطقة الحادثة، وكذلك ناشدت الحكومة المحلية، بإغلاق هذه الثغرة منذ سنوات».

وكشف الكريم وجود برقية وصلت قبل يومين من وقوع الاعتداءات في صلاح الدين، عن نية «داعش» شن هجمات على المنطقة المذكورة، متسائلا في مؤتمر صحافي «من المسؤول عن إخفاء البرقية؟ ولماذا وقعت الخروقات وما هو دور الاستخبارات؟» داعيا القائد العام للقوات المسلحة للتدخل وكشف الحقائق.

ومعروف عن محافظة صلاح الدين (شمال بغداد) أنها منطقة يصعب السيطرة عليها لارتباطها بحدود سبع محافظات غير مستقرة أمنيا، وتنشط خلايا التنظيم في «مثلث الموت» بين صلاح الدين وكركوك وديالى، حيث توجد تلال حمرين الكثيفة ومناطق نائية بعيدة عن سيطرة القوات الأمنية.

واللافت ان محافظة صلاح الدين لم تكن وحدها مسرحا لعمليات «داعش» بل وقعت الكثير من الهجمات وخاصة في محافظة ديالى المجاورة لإيران والتي تسيطر عليها فصائل عسكرية موالية لطهران، كما توجد فيها بعض المناطق المتنازع عليها بين حكومتي بغداد وأربيل، والتي يجد التنظيم فيها مجالا لتحركاته.

أما في محافظة كركوك الغنية بالنفط، والتي تتنازع عليها حكومتا بغداد والإقليم، فقد شهدت العديد من هجمات «داعش» على مواقع القوات الأمنية والبيشمركه والقرى النائية والطرق الخارجية، إضافة إلى شن التنظيم هجوما انتحاريا على مديرية الاستخبارات العسكرية في المدينة.

واللافت في هجمات التنظيم هذه المرة، اقترابها من مناطق شيعية مثل منطقة جرف الصخر في بابل التي تسيطر عليها كتائب حزب الله، حيث وقع هجوم على نقاط أمنية، فيما أعلنت قوات الحشد الشعبي، صدها هجوما على منطقة النخيب بين كربلاء والأنبار، وأن المهاجمين قدموا من صحراء الأنبار.

ومنذ الإعلان عن القضاء على «داعش» في العراق عام 2017 دأبت القوات الأمنية على تنفيذ حملات واسعة لتمشيط المناطق النائية في المناطق التي كانت تحت سيطرة التنظيم والتي تشهد هجمات مستمرة، وآخر تلك الحملات عملية مطاردة التنظيم في صلاح الدين ووادي حوران في الأنبار ووادي الشاي في كركوك، حيث تشارك فيها القوات الأمنية والحشد الشعبي، بدعم من القوات الجوية العراقية وطيران التحالف الدولي، ولكنها عجزت كلها عن وقف نشاطات التنظيم.

وكانت وزارة الدفاع العراقية أعلنت عن مقتل 170 مدنيا وعسكريا، إلى جانب 135 إرهابيا من «داعش» خلال مواجهات وأعمال عنف مع تنظيم التنظيم منذ كانون الثاني/يناير الماضي، فيما أكد الأمين العام للبيشمركه جبار ياور وقوع 85 هجوما لداعش في المناطق المتنازع عليها تسببت في مقتل 70 مواطنا وخطف 41 آخرين.

انسحاب التحالف الدولي

وقد أثارت عودة «داعش» بعد إعلان حكومة بغداد القضاء على التنظيم، الكثير من التساؤلات. وحدد المتابعون أسبابا كثيرة لعودة التنظيم، منها السياسية والاقتصادية والأمنية الحالية.

النائب السابق عن الموصل محمد العبد ربه أكد لـ«القدس العربي» أن «السبب الرئيسي لتصاعد أعمال داعش، هو أن العراق فقد الدعم الكامل من التحالف الدولي الذي كان يقوم بعمليات استطلاع ومراقبة وعمليات استخباراتية، وذلك بعد صدور قرار البرلمان بإخراج القوات الأجنبية من العراق، حيث أثر سلبا توقف فعاليات التحالف الدولي على تنامي تحركات داعش الذي ما زال وجوده قويا في العراق وسوريا، وتتنقل عناصره بين البلدين». وحمل مسؤولية عودة «داعش» للأجهزة الأمنية، والتي يجب أن تعمل وفق معلومات استخبارية ومتابعة مستمرة للتنظيم وتحركاته، والعمل على حرمان التنظيم من أي حاضنة له في العراق، وهو متحقق بشكل كبير حيث يرفضه معظم سكان المناطق التي يتحرك فيها، حسب قوله.

وأكد العبد ربه أن أهالي المناطق المحررة، ورغم شكواهم من تجاوزات القوات الأمنية والفصائل المسلحة وتردي أوضاعهم، إلا انهم يرفضون التعامل مع التنظيم بعد ان كشفوا نواياه، بل أن الأهالي يقومون بمساعدة القوات الأمنية في التصدي لعناصر التنظيم عندما يهاجمون مناطقهم» إلا أنه أقر «تلك الهجمات تتسبب في خلق زعزعة للوضع الأمني». وعن الجهات التي تحرك التنظيم، عبر عن قناعته بأن «داعش هي ورقة مخابراتية تستخدمها كثير من الدول وتحركها عند الحاجة، على حساب استقرار العراق، وخاصة عند الأزمات السياسية وانشغال القوات الأمنية».

ويشير مراقبون إلى أن المناطق المحررة من تنظيم «داعش» ما زالت تعيش أوضاعا مأساوية، وما زال الملايين في مخيمات النزوح، والآلاف من أبنائها في السجون أو مفقودين منذ سنوات، كما ان الثقة بالقوات الأمنية وفصائل الحشد الشعبي، ليست على ما يرام، نظراً لتورط بعض عناصرها بعمليات فساد وابتزاز للمواطنين، ولسوء المعاملة مع السكان التي تقوم بها تلك العناصر، حيث يؤدي ذلك إلى استغلال التنظيم لهذه الأوضاع في محاولة إيجاد حاضنة شعبية في تلك المناطق.

تقييم الخبراء

الخبير في الجماعات المسلحة هاشم الهاشمي، أكد في لقاء تلفزيوني أن العمليات الأخيرة لتنظيم «داعش» في صلاح الدين تمثل طفرة نوعية في أعمال التنظيم، حيث شن هجمات على مناطق حضرية، وفتح أربع جبهات مرة واحدة وأحرق مزارع للمشاغلة، وتمكن من الانسحاب، من دون أن تعلن القوات الأمنية عن تمكنها من قتل المهاجمين، متسائلا: كيف تمكنوا من عبور نهر دجلة وتنفيذ الهجوم، والتمكن من الدخول إلى مسافة 40 كلم لتنفيذ عملياته في المناطق الأربع، مما يدل على أن الجهد الاستخباري في حاجة إلى مراجعة. وأكد الهاشمي الحاجة إلى أساليب عسكرية غير تقليدية لمواجهة أساليب التنظيم الحالية، لأن المطاردات والأساليب الأمنية السابقة فشلت، مقرا بالحاجة إلى مراجعة قرار انهاء التحالف الدولي في العراق لأهميته في إحباط عمليات التنظيم.

وإزاء التساؤلات عن مصادر تمويل ودعم «داعش» يشير الهاشمي إلى امتلاك التنظيم الكثير من المخازن التي لم يتم كشفها حتى الآن في المناطق التي كان يسيطر عليها سابقا في الصحاري والكهوف والتلال المنتشرة، وفي المناطق غير المأهولة، حيث خزن فيها الأموال التي استولى عليها خلال فترة سيطرته على مناطق شاسعة في العراق وسوريا، كما أن لديه استثمارات تدر عليه نحو 100 ألف دولار يوميا لدعم نشاطاته، إضافة إلى قيامه بعمليات واسعة للتهريب بين الحدود السورية العراقية.

أساليب جديدة

من جانبه كشف الخبير الأمني أعياد الطوفان في لقاء تلفزيوني «أن داعش عاد بأساليب جديدة، حيث حول العراق إلى ولاية مركزية واحدة، إضافة إلى استخدامه أسلحة إيرانية حديثة، منها هاونات إيرانية ذات مدى 16 كلم استخدمت على الهجوم في طوزخورماتو في كركوك وغيرها» مبينا «ان تنظيم داعش الإرهابي نفذ أكثر من 86 عملية خلال شهر نيسان/ابريل مقابل 42 عملية في اذار/مارس الماضي».

ومع عدم امكانية استبعاد العامل الدولي، فقد تناغمت اتهامات مسؤولين إيرانيين لواشنطن بانها قد تعيد «داعش» إلى العراق لإدامة وجودها فيه، مع تصريحات قوى شيعية عراقية، بأن الجانب الأمريكي ينقل الدواعش من سوريا باتجاه العراق بعد خسارتهم مناطقهم هناك. وفي المقابل تؤكد مصادر معارضة للعملية السياسية بأن إيران تستخدم ورقة «داعش» لتحقيق أهدافها في العراق كما فعلت في ظهوره الأول عام 2014.

مصالح أطراف داخلية

وفيما تتواصل هذه التطورات، تكتفي أحزاب السلطة بتبادل الاتهامات والتهرب من المسؤولية. فالقادة السنة والأكراد يتهمون القوى الشيعية بالتسبب في انسحاب قوات التحالف الدولي وخلق فراغ أمني استغله التنظيم، فيما يتهمها البعض بانها وراء عودة «داعش» لافراغ المناطق السنية وتدميرها، وإعادة سيناريو الانتقام من السنة، فيما يعتقد آخرون أن أطرافا داخلية تستفيد من عودة التنظيم الإرهابي، بينها كردية تحرص على استثمار عمليات «داعش» للضغط بقوة على حكومة بغداد لإعادة قوات البيشمركه إلى المناطق المتنازع عليها التي اخرجت منها، وللموافقة على تمرير الرواتب وميزانية الإقليم.

ولا شك بأن المسؤولية الأولى عن تردي الأوضاع في العراق وعودة النشاطات الإرهابية لتنظيم «داعش» تقع على أحزاب السلطة الذين تركوا شؤون الناس والبلاد وركزوا على الصراع من أجل نهب موارد الدولة وتنفيذ الأجندات الخارجية. وإذا اضفنا تعقيدات الوضع الحالي وانهيار الاقتصاد وأسعار النفط وتفشي كورونا، والشعور الطاغي للشعب العراقي، بالظلم وتحكم حيتان الفساد والفصائل المسلحة بثروات البلاد، فإن الظروف الموضوعية الحالية، تتشابه بشكل كبير مع ما كان سائدا في العراق عام 2014 عندما دفعت أجندات داخلية وخارجية ان يتم تسليم ثلث البلد إلى تنظيم «داعش» الإرهابي من دون قتال، ليستبيح العراق ويعيث فيه تدميرا وفسادا. فهل عودة التنظيم الآن مقدمة لسيناريو جديد لإحكام السيطرة على البلد من قوى محلية وإقليمية؟

«داعش» يوسع هجماته في العراق

تصاعد معدل الهجمات التي يشنها مسلحو تنظيم «داعش» الإرهابي في مناطق شرق وشمال وغرب العراق، مستغلين الإجراءات التي اتخذتها السلطات لاحتواء جائحة فيروس كورونا «كوفيد–19».

ومستغلا تلك الجائحة، شن «داعش» هجمات عديدة أسقطت عشرات القتلى والجرحى، وأثارت مخاوف من قدرة المسلحين على إعادة تنظيم صفوفهم.

ولم تفلح عمليات عسكرية نفذتها القوات المشتركة في المناطق التي يُعتقد أنها «هشة أمنيًا» في إيقاف الهجمات، التي اتخذت مؤخرًا أبعادًا جديدة، عكست خطورة الموقف الأمني، حسب مختصين في الشأن العسكري.

وعبر قناصين وعبوات ناسفة، شن «داعش» خلال نيسان/أبريل الماضي، هجمات استهدفت مواقع أمنية وعسكرية وحواجز ومنشآت للطاقة.

عدنان نعمة، خبير عسكري وضابط متقاعد في الجيش العراقي، يرى أن «خلايا تنظيم داعش استغلت غياب الدعم اللوجستي والاستخباري للتحالف الدولي (لمحاربة داعش) وبدأت بالتحرك في المناطق التي تفتقر إلى تواجد أمني وعسكري».

وأخلت قوات التحالف، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، في آذار/مارس الماضي، عددًا من قواعدها في العراق. وتزايدت وتيرة هذه الهجمات منذ اغتيال كل من قائد «فيلق القدس» بـ«الحرس الثوري» الإيراني، قاسم سليماني، والقيادي بهيئة «الحشد الشعبي» العراقية، أبو مهدي المهندس، في غارة أمريكية في بغداد، في 3 كانون الثاني/يناير الماضي. العميد تحسين الخفاجي، المتحدث باسم وزارة الدفاع العراقية، يقول إن «المجاميع التابعة لتنظيم داعش بدأت بعمليات إرهابية في المناطق الوعرة في محافظات ديالى (شرق) وكركوك وصلاح الدين (شمال) والأنبار (غرب) لرفع المعنويات المنهارة للمسلحين جراء العمليات العسكرية التي تشنها القوات المشتركة ضد معاقل التنظيم».

ويوضح الخفاجي أن «الهجمات التي نُفذت كانت انفرادية لفقدان التنظيم القدرة على إدامة زخم المعركة، بسبب فقدانه مصادر التمويل والقدرة على ضم عناصر جديدة لقتاليه، بسبب الرفض المجتمعي».

ميديا

المحامي الأمريكي جاكوب سمول: لدينا تسجيلات صوتية تثبت تعرض مذيعة فلسطينية في قناة «الحرة» للتمييز بسبب حجابها

وائل عصام

تسلمت محكمة شرق فرجينيا في الولايات المتحدة، الدعوة المرفوعة من المذيعة الفلسطينية في إذاعة «سوا» في واشنطن، رائدة حمرا، ضد قناة «الحرة» المكونة من 49 صفحة، تتهم فيها القناة الممولة من الكونغرس الأمريكي، بالتمييز الديني لارتدائها الحجاب. وتولى المحامي الأمريكي جاكوب سمول الترافع في هذه القضية.

وقال سمول في حديث خاص لـ«القدس العربي» إنه يملك «أدلة واضحة وتسجيلات صوتية، تظهر أن موكلته تعرضت لتمييز بسبب ارتدائها الحجاب، وأضاف سمول الذي يعمل لمكتب «J.Madison» أن موكلته «واجهت الظلم وعدم القانونية في MBN وساءعمل على مساعدتها سواء كانت من أي ثقافة أو عقيدة، أو من دون ايمان. النقطة الحاسمة بالنسبة لي هي أن السلوك الذي تعرضت له، انتهك الباب السابع من قانون الحقوق المدنية لعام 1964. لدينا ما يثبت أنها تعرضت لتمييز بسبب ارتدائها الحجاب، ولكن يتعين على هيئة محلفين في ولاية فرجينيا الشمالية ان تقرر ذلك».

وقد اطلعت «القدس العربي» على بنود الدعوى القضائية المرفوعة والمكونة من 49 صفحة، وتحدثت إلى مصادر مطلعة على الدعوة في قناة «الحرة» وإذاعة «سوا». ويتبين من نصوص الدعوى، أن المذيعة رائدة حمرا تعرضت أيضا للتنمر والسخرية بسبب مظهرها الديني وليس فقط التمييز في إقصائها عن الوظيفة. ولعل أكثر الأدلة قوة في القضية، هي أن المحكمة تسلمت مراسلات وتسجيلات صوتية تثبت أن موظفين رفيعي المستوى في قناة «الحرة» ينتهجون سياسة «غير معلنة» بمنع ظهور المحجبات على الشاشة، ما يعد تمييزا عنصريا على أساس ديني، وفق قوانين الولايات المتحدة.

وتنقل الدعوى أن عددا من مسؤولي التحرير ومنتجي الأخبار والمخرجين والإداريين في قسم شؤون الموظفين في قناة «الحرة» قد أبلغوا حمرا أنه «لن يسمح لها بالظهور على الشاشة ما دامت محجبة»، وأن مدير الأخبار حينها عام 2018 نارت بوران، لا يمكن أن يعين مذيعة محجبة، كما تعرضت حمرا لتعليقات مليئة بالتنمر والسخرية.

وتستعرض «القدس العربي» مقتطفات مما ورد في متن الدعوى القضائية، حسب ما ورد في بنودها الـ 329. فقد قال عرار الشرع، وهو مسؤول غرفة الأخبار سابقا في «الحرة» وزميل سابق لنارت بوران، لحمرا «من خبرتي الطويلة بالعمل مع نارت بوران في سكاي نيوز في أبو ظبي، فإنه يعرف أنه لن يسمح لك بالعمل كمذيعة وأنت محجبة».

أما حسن الشويكي فقد أوضح لها «أن الإدارة القديمة كما الجديدة في القناة، لن ترحب بظهور محجبات، لأنها ممولة من دافعي الضرائب الأمريكيين».

رائدة حمرا

كما قال لها خالد محمد وهو رئيس تحرير نشرات الأخبار، إنه يعمل مع «الحرة» منذ سنوات «وإن لديها سياسة غير معلنة، بعدم ظهور محجبة كمذيعة على الشاشة».

وقال لها إثنان من الإداريين في قسم شؤون الموظفين إنه زمن «فرنانديز وترامب المحافظين وأن الإدارة الأمريكية الجديدة من الجمهوريين وهم يعادون المسلمين» في إشارة لمدير مؤسسة MBN فرنانديز المقرب من إدارة الرئيس الأمريكي ترامب.

أما المخرجة دعاء الاتاربي التي ترتدي الحجاب، فقد قالت لها إن «القناة لن تسمح لها حتى باختيار كاميرا ما دامت ترتدي الحجاب».

خلع الحجاب مقابل الشاشة؟

حسن الشويكي ومحمد عبد الرحيم، وهما منتجا أخبار في قناة «الحرة» سألا حمرا عن امكانية نزعها لحجابها إذا أرادت الحصول على الوظيفة، وكذلك جون صالح، حسب متن الدعوى المرفوعة.

وعندما سألت حمرا الشويكي عن فرصتها بعمل «بايلوت « والحصول على حقها بالتقديم فقط، وبالتنافس على الأقل، نظر إليها وسألها «هل أنت مستعدة لخلع حجابك؟ بوران لن يسمح لك بالظهور على الكاميرا وأنت محجبة».

كما تتضمن الدعوى إشارة إلى رسائل إلكترونية ومخاطبات تظهر أن مسؤولي شؤون الموظفين قالوا لها إنه «لا توجد أصلا وظائف مفتوحة لموقع مذيعة» بينما كانت موظفتان، هما العمودي والخلوي تقومان بإجراء اختبارات أمام الكاميرا، ونشر فيديوهات «بايلوت» على حساباتهما في انستغرام.

خالد فهمي أحد المسؤولين في قسم الموظفين، قال لها «كل قرارات اختيار المذيعين يتخذها نارت بوران لوحده» بدون الرجوع لأي لجنة أو قسم شؤون الموظفين، كما تنص اللوائح.

شعر مستعار

ويبدو أن حمرا تعرضت لكم من المضايقات والسخرية وصولا للتنمر، وليس فقط التهميش الوظيفي بناء على معايير غير مهنية. ففي إحدى المرات وخلال جلسة في كافتيريا القناة، مع مجموعة من صحافيي «الحرة عراق» قال لها صحافي عراقي يدعى حيدر موسى «إذا أردت الظهور كمذيعة من دون نزع الحجاب، فأنصحك بلبس شعر مستعار» وسط موجة من الضحك من زملائه، بينما كانت حمرا على وشك البكاء، حسبما جاء في الدعوى القضائية.

إرهابية وقد تفجر نفسها!

وفي حادثة أخرى قال لها منتج الأخبار محمد عبد الرحيم ضاحكا، أن تتحاشى القدوم لكافتيريا طابق الإدارة «لأنهم قد يعتقدون أنها إرهابية بسبب ارتدائها الحجاب، وأنها ستفجر نفسها». أبدت حمرا استياءها، فرد عليها بأنه «يمزح معها»، كما جاءها عبد الرحيم مرة للاستديو بإذاعة «سوا» بعد أن أنهت قراءة نشرة الأخبار وقال لها إن مستمعي إذاعة «سوا» لن يتوقعوا أنها محجبة «لأن صوتها جميل».

وتشير الدعوى القضائية إلى أن قسم شؤون الموظفين وعد بإجراء تحقيق بعد شكوى داخلية قدمتها حمرا بالتعرض للعنصرية والتنمر، لكنهم لم يقوموا بأي إجراءات، واتهموها برفع صوتها خلال الاجتماع، والتهرب من الإجابة على الأسئلة.

أما مدير شبكة MBN التي تدير قناة «الحرة» البرتو فرنانديز، فقد قال لها في رسالة «إنه يرحب بالتنوع في المؤسسة».

تسجيلات صوتية

كما تتضمن الدعوى نصوصا لتسجيلات صوتية، خلال أحاديث حمرا مع مسؤولي تحرير في غرفة الأخبار بالقناة، أحدها مع محمد عبد الرحيم، المنتج التنفيذي للأخبار، نشر في البند رقم 300 من الدعوى، وهذه مقتطفات من النص المنشور:

«منذ البداية لم يكن لديهم امرأة قط ترتدي الحجاب، أنها سياسة المؤسسة، أنا أيضا ضد أن تظهر مذيعة محجبة على الشاشة. إذا أخبرتني سيدة أنها راقصة تعري فقد أقول لها أتشرف بمعرفتك، أما إذا قالت لي أنها راقصة ومدرسة أخلاق، فسأقول لها عذرا لأن هناك شيئا خطأ، فالحجاب هو فكرة إسلامية لتغطية المرأة، ومنع الرجال من النظر لها، ولكن أن نضع امرأة على الشاشة مع المكياج والإضاءة ويشاهدها300 مليون شخص، فهذا يخالف فكرة الحجاب.

نحن نعمل هنا على التصدي للدكتاتورية والفساد، مهمتنا هي جعل الناس يفتحون عقولهم ويتقبلون الآخر والتنوع، وإظهار امرأة محجبة قد يعني نجاح الايديولوجية الإسلامية، وهذا ضد فكر المؤسسة وآرائها التنويرية».

ويشرح عبد الرحيم طرق الالتفاف على قواعد التعيين لإقصاء غير المرغوب فيهم وفق معايير لا تتعلق بالمواصفات المهنية المعلنة للوظيفة فيقول:

«إذا أتيت لي وكنت صاحب قرار، لدي عدة طرق لانتقاء الموظفين، ممكن أن أسألك عن اسم رئيس بلد واسم الحزب الذي ينتمي له، وستجيبين بشكل خاطئ، الموظفة الأخرى غير محجبة ولا تعرف الجواب، لكني سأساعدها، ساعطيها الوظيفة ولا أحد سيعرف. هل تعرفين النكتة عن الفلسطيني الذي يعاني من التأتأة؟ ذهب إلى التلفزيون الأردني ورفضوا منحه الوظيفة، عندما سأله أصدقاؤه ماذا حدث، قال وهو يتأتئ لأنني فلسطيني».

وتناقش هذه الدعوى القضائية «السياسة غير المعلنة» لمنع ظهور مذيعة محجبة على الشاشة في قناة «الحرة» الممولة من الكونغرس الأمريكي، بينما لا وجود لتعليمات رسمية لدى المؤسسة تقر هذه السياسة.

ونشرت القناة بشكل داخلي «نمط ظهور» ستايل غايد، وزع داخليا على المراسلين والمذيعين، يتضمن منع إظهار «اكسسوارات دينية» وتتضمن الصور المرفقة مجوهرات وقلائد ذات رموز دينية.

ويقول بعض متابعي قناة «الحرة» إن هناك امرأة محجبة تظهر على شاشة القناة، وهي مراسلة الجزائر، ولدى سؤال «القدس العربي» لعينة من الجمهور العربي في الولايات المتحدة وأوروبا، عن رأيهم في عدم وجود مذيعة محجبة على شاشة «الحرة» لم تتمكن أغلبية هذه العينة من الإجابة على هذا السؤال، حيث قالت نسبة غالبة منهم، إنهم «لا يتابعون الحرة أصلا».

> مسؤولو تحرير في قناة «الحرة» قالوا إن ظهور محجبة يعني «نجاح الأيديولوجية الإسلامية»، أحدهم طالبها ساخرا بوضع «شعر مستعار» وآخرون سألوها ان كانت مستعدة لخلع حجابها مقابل الشاشة

اللبنانيون يتذكرون أحداث 7 أيار 2008 بين ممجد ومعارض

لندن ـ «القدس العربي»:

تذكر اللبنانيون على مواقع التواصل الاجتماعي، حادثة 7 أيار/مايو 2008 عبر وسمين هما: «7 أيار يوم مجيد» و«7أيار يوم عار». وفي يوم ذكرى الأحداث الأعنف على مستوى داخلي منذ انتهاء الحرب الأهلية عام 1990 انتشر وسم «7 أيار يوم مجيد» غرد من خلاله مناصرو حزب الله، وجاء الرد عليه عبر الوسم الآخر. و7 أيار هو ذكرى اندلاع اقتتال مسلح بين حزب الله والأحزاب المنتمية إلى تحالف 14 آذار على خلفية قرارين حكوميين بمصادرة شبكة الاتصال التابعة لحزب الله وإقالة قائد جهاز مطار بيروت الدولي العميد وفيق شقير. واعتبر حزب الله صدور القرارين بمثابة إعلان حرب على المقاومة، كما وصفها أمين عام الحزب، السيد حسن نصر الله، كما اعتبر الحكومة حينها «غير شرعية» تنفذ أوامر إسرائيلية وأمريكية، وأن القرار يعد تجاوزاً للبيان الوزاري الداعم للمقاومة، وليثاق العيش المشترك. ولذا قرر الحزب منع الحكومة من تنفيذ القرار عبر السلاح واستمر الاقتتال حتى سحبت الحكومة القرارين.

ووصف أحد المغردين الحدث بأنه «يوم دسنا على رؤوس صهاينة الداخل» فيما اعتبر مغرد آخر أنه «حين خَرج السّلاح ليدافع عن السّلاح وطهّر الفرسان أفواه المدينة من رجس المخططات الخارجية». ورد أحد المغردين على توصيف حزب الله بأنه إرهابي قائلا: «طبعا #حزب_الله إرهابي كيف لا وهو يتسبّب بإرهاب وتخويف العملاء الجبناء والجهلة التابعين عن حقد وعمى، بلى هو إرهابي ومخيف فعلا وحقا». واعتبر غيره أنه «أكيد هيدي الهاشتاغات والتغريدات عن الموضوع مش هدفها تهديد الداخل بل تذكير الخارج انو ما بحاولوا يشغلوا مرتزقة معهم تعو انتو مباشرة».

وقال مغرد آخر من مناصري حزب الله أنه «لكل الأشخاص يلي عم ينظرو علينا بالوطنية اليوم (انو كيف لكم أن تمجدو يوم تناحر فيه اللبنانيون) يبدو أن علينا إعادة توجيه البوصلة، هو ليس اقتتالا داخليا على تقاسم حصص وغنائم، هي معركة حفظ المقاومة ودماء شهدائها وتضحيات أبنائها، بكل فخر».

في المقابل، غرد آخرون عبر وسم «7 أيار يوم عار» رداً على المغردين «الممجدين» للحدث. وكتب الأمين العام لتيار «المستقبل» أحمد الحريري عبر حسابه على تويتر قائلا: «أصدق التحيات في 7 أيار إلى عكار وطرابلس والمنية والضنية وكل البقاع الغربي والأوسط ولصيدا والإقليم وقرى الحدود التي تضامنت مع بيروت في مواجهة الهجمة المسلحة».

وقال مغرد: «واحد مئات من جماعة الحزب الديني الإيراني على فاضي. والغريب انو يقول قدام الجرحى والمعطوبين والأرامل والأيتام انو هل نهار يوم مجيد! ويتقبل تهاني وتباريك بموت شباب! مثل ما أعلن الدمار انتصار بحرب تموز». وأشار مغرد آخر إلى أنه «في 7 أيار 2008 تم تهجيرنا من بيتنا فقط لأننا من الطائفة السنيّة وتم الاستلاء عليه من قبل عناصر حزبية. وفي 11 أيار كانت أول مرة بشوف أمامي حالة إعدام لشخصين كانوا تابعين لتيار المستقبل وقتها كان عمري 12 سنة. فكفى تمجيد وترهيب».

واعتبر مغرد آخر أن 7 أيار بمثابة اليوم الذي «تحول فيه حزب الله من حزب مقاوم للعدو، إلى حزب إرهابي، ووجه سلاحه إلى الداخل فحينها فقد حزب الله الكثير من شعبيته، ففي حين كنا نتغنى جميعًا كلبنانيين بسلاح مقاوم على حدودنا، فقدنا ثقتنا بشكل كامل بهذا السلاح، وبالنهاية تصالح المتخاصمون وذهب الشهداء».

وقال مغرد وصف نفسه بـ«معارض شيعي للثنائي» بالإشارة إلى حزب الله وحركة أمل: «النقيض الحقيقي لـ7 أيار ليس 14 آذار بل 17 تشرين. 14 آذار فكرة سليمه وشعب صادق لكن قادتها فاسدين وتحالفوا مع السوريين قبل وبعدها مع حزب الله وهم شركاء برّي في السرقة، يعني انتهازيين. أما 17 تشرين فهي فكرة نظيفة وشعب مل اهتراء الدولة وفساد الزعماء». و17 تشرين الأول/نوفمبر عام 2019 هو يوم اندلعت الاحتجاجات في لبنان ضد الفساد والانهيار الاقتصادي، والذي يستمر حتى الآن بأشكال مختلفة.

وذكر مغرد آخر بالاعتداءات التي نفذها مناصرو حزب الله وحركة أمل ضد المتظاهرين خلال الاحتجاجات، وقال «بيكفي شو عملوا مناصريه بالمعتصمين السلميين وما تنسوا مجزرة حلبا وقت زعران الحريري قتلوا بلا رحمة. #7_ايار_يوم_عار عالطرفين ولازم يكون درس لكل لبناني انو ما يصدق أي زعيم وما يأيد ولا حزب».

في المقابل، تساءل مغرد آخر عن الوضع الاقتصادي للمغردين في الوسمين، معتبراً أنهم انشغلوا بالماضي في حين أن البلد ينهار، قال: «أنتم الذين تتقاتلون اليوم حول توصيف7 أيار، هل أكلتم ثلاث وجبات كاملة؟ هل تملكون ما يكفي لإطعام عائلاتكم؟ لا خلاص لنا في هذا الوطن إلا في أن نعيش معا، الناس تموت جوعاً وأنتم كما أنتم لا تتقنون إلا تخوين وتكفير بعضكم البعض، كما تكونوا يولى عليكم».

زووم تشتري شركات «كي بايس» لدعم أمان منصتها

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت شركة «زووم» المالكة لتطبيق مؤتمرات الفيديو الصاعد عن خطوات مهمة في إطار جهودها لدعم أمنها، إذ قامت بعقد صفقة مع المدعي العام في ولاية نيويورك الأمريكية لحماية خصوصية المستخدمين، وقامت بشراء شركة التراسل الأمن «كي بايس».

وقالت الشركة، التي واجهت انتقادات شديدة لادعائها أن خدماتها آمنة ومشفرة وفق تقنية «طرف إلى طرف» رغم أنها لم تكن تفعل ذلك، إنها تخطط «لتطوير أدوات من شأنها أن تمنح مضيفي الاجتماعات مزيدًا من الضوابط، وتسمح للمستخدمين بالانضمام إلى الاجتماعات بصورة آمنة».

واستفادت شركة «زووم» من إجراءات الإغلاق التي أحدثها انتشار فيروس كورونا، إذ أصبح الملايين من العمال والطلاب يستخدمون تطبيقها في العمل والدراسة من المنزل.

وأعلنت الشركة عن شرائها على شركة «كي بايس» التي توفر خدمة آمنة لتبادل الرسائل ومشاركة الملفات في محاولة لتعزيز قدرات التطبيق الأمنية.

وقالت إنها كانت تُعدّ مسودة تصميم لسياسة التشفير الخاصة بها ليتم إصدارها في 22 أيار/مايو الجاري، عندما تخطط لاستضافة المناقشات مع خبراء التشفير والعملاء، وستدمج التعليقات في التصميم النهائي قبل طرح الميزة للمستخدمين.

ودفعت المخاوف المتعلقة بأمان المنصة شركات مثل: «سبيس إكس» و«إريكسون» السويدية، إلى منع الموظفين من استخدام التطبيق. كما قيدت المدارس العامة في نيويورك المعلمين والطلاب من استخدام المنصة، ثم رفعت الحظر عنها حديثًا.

وتعد دفعة «زووم» الأمنية جزءاً من خطة مدتها 90 يوماً، تضمنت توظيف مسؤول أمني سابق لدى «فيسبوك» وشخصيات أخرى معروفة من الصناعة، بالتزامن مع إطلاق إصدارات جديدة من برمجياتها بتشغير أفضل. وقد حظيت الحملة باستحسان من خبراء الأمن.

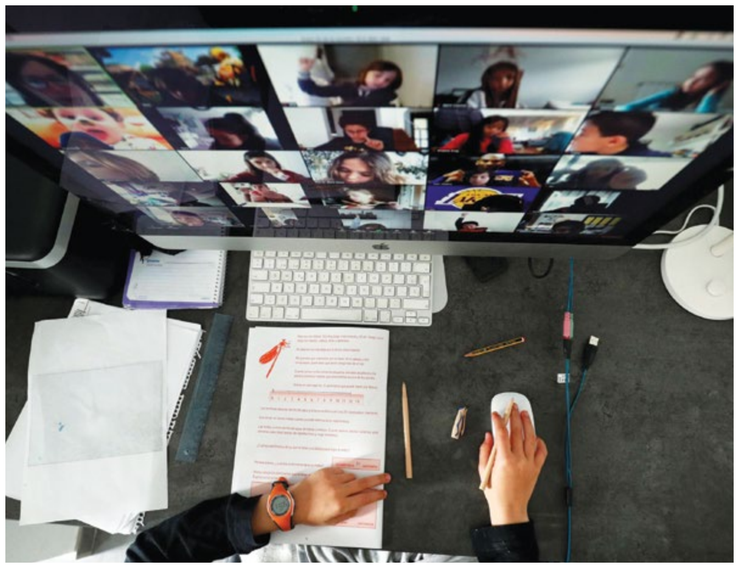

علوم وتكنولوجيا

هواوي تطلق هاتفين وكمبيوترا لوحيا جديدا

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت شركة هواوي عن إصدارها هاتفين ذكيين: هـواوي واي 6 بي، وهـواوي واي 5 بي، إلى جانب كمبيوتر لوحي مايت باد تي8. ويأتي هاتف نموذج هواوي واي 6 بي مع شاشة من نوع آي بي إس بقياس 6.3 بوصات وبدقة إتش دي + وكاميرا أمامية بدقة 8 ميغابكسل، إضافة إلى كاميرا خلفية رئيسية بدقة 13 ميغابكسل، وثانية للتصوير الفائق العرض بدقة 5 ميغابكسل، وأيضاً ثالثة لتسجيل العمق بدقة 2 ميغابكسل. كما يأتي الهاتف مع حساس للبصمة.

ويعمل الهاتف على معالج من نوع هيليو بي 22، وذاكرة وصول عشوائي «رام» بحجم 3 غيغابايت، إلى جانب ذاكرة تخزين داخلية بسعة 64 غيغابايت، وهي قابلة للتوسيع. ويحتوي الجهاز أيضًا بطارية بسعة مرتفعة نسبيًا بواقع 000–5 ميلي أمبير/ الساعة. أما برمجيًا فيعمل الهاتف بواجهة المستخدم إي إم يو أي 10.1 المبنية على نظام التشغيل أندرويد 10. وبطبيعة الحال يأتي الهاتف من دون خدمات غوغل المحمولة «جي إم إس» بل مع خدمات هـواوي المحمولة «إتش إم إس». ويأتي «هواوي واي 6 بي» بثلاثة ألوان هي: الأسود، والأخضر، والأرجواني.

أما نموذج هـواوي واي 5 بي، فيأتي بمواصفات أقل من هواوي واي 6 بي، إذ يقدم شاشة من نوع إل سي دي تي إف تي بقياس 5.45 بوصات، مع حافات عريضة. ويأتي مع كاميرا واحدة على ظهره بدقة 8 ميغابكسل، وكاميرا أمامية بدقة 5 ميغابكسل.

ويأتي الهاتف مع معالج من نوع هيليو بي 22، وذاكرة وصول عشوائي بحجم 2 غيغابايت، وذاكرة تخزين داخلية بسعة 32 غيغابايت قابلة للتوسيع عبر بطاقات «ميكرو إس دي» للذاكرة الخارجية ويحتوي الهاتف أيضًا على بطارية بسعة 3.020 ميلي أمبير/ الساعة. أما من الناحية البرمجية، يعمل بواجهة المستخدم إي إم يو أي 10.1 وبدون خدمات غوغل. كما يتوفر «هواوي واي 5 بي» بثلاثة ألوان هي: الأسود، والأزرق، والأخضر.

وناتي إلى الكمبيوتر اللوحي «مايت باد تي8» بشاشة من نوع إل سي دي بقياس 8 بوصات بدقة 800×1280 بكسل. والكاميرا الرئيسية على ظهر الهاتف بدقة 5 ميغابكسل، في حين أن الكاميرا الأمامية بدقة 2 ميغابكسل. ويحتوي الكمبيوتر اللوحي معالجا من نوع ميديا تيك إم تي كاي 8768، وذاكرة وصول عشوائي «رام» بحجم 2 غيغابايت، إلى جانب ذاكرة تخزين داخلية بسعة 16 غيغبغابيت، أو 32 غيغابايت قابلة للتوسيع. وتأتي البطارية بسعة 5.100 ميلي أمبير/الساعة، ويعمل الكمبيوتر، كما الهاتفين بواجهة إي إم يو أي 10.1 من دون خدمات غوغل.

«آبل» تعلن عن إصدار جديد من «ماك بوك برو»

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت شركة آبل إصدارها لنموذج مُحدَّث من كمبيوترها «ماك بوك برو» مع لوحات مفاتيح معدلة، بعد الانتقادات التي توجهت للنموذج الماضي بسبب مشكلات في الطباعة. ويمتاز الإصدار الجديد من الكمبيوترات المحمولة، إلى جانب لوحة المفاتيح المسماة «ماجيك كيبورد» بالجيل العاشر من معالجات شركة إنتل اختياريا، بالإضافة إلى زيادة في مساحة التخزين.

وكانت آبل قد أطلقت «ماك بوك» في عام 2015 مع آلية جديدة للوحات المفاتيح باسم «باترفلاي كيبورد» ولكن تلك الآلية لم تعمل على النحو المطلوب، وواجهت العديد من الانتقادات، ثم أقامت الشركة بتحديث كمبيوتراتها لاعتماد لوحات المفاتيح ماجيك كيبورد، التي تستخدم آلية «المقص» فأعلنت في شهر تشرين الثاني/نوفمبر الماضي عن إصدار ماك بوك برو بقياس 16 بوصة، ثم نسخة مُحدَّثة من ماك بوك أير في شهر آذار/ مارس الماضي.

وحافظت آبل في النموذج الجديد على منافذ من نوع «ثندربولت» و«يو إس بي– سي» بالإضافة إلى منفذ لسماعات الأذن. كما حافظت الشركة على شريط اللمس، وبصمة الأصابع ضمن زر الطاقة، حسب ما نقل موقع «آي أي تي» التقني.

وأضاف الموقع أنه «يدعم الكمبيوتر ترقية حجم ذاكرة الوصول العشوائي (رام) إلى 32 غيغابايت، وسعة ذاكرة التخزين الداخلية إلى 4 تيرابايت». وقالت آبل إن «الجيل العاشر من معالجات إنتل يدعم العمل بتردد يصل إلى 4.1 غيغاهرتز، وإن بطاقة الرسوميات المدمجة في المعالج إيريس أنتل تدعم شاشتها المكتبية برو ديسبلاي إكس دي أر».

ويأتي النموذج الأساسي من ماك بوك برو مع ذاكرة تخزين بسعة 256 غيغابايت، ولكن بدون الجيل العاشر من معالجات إنتل، وذاكرة «رام» بحجم 8 غيغابايت، ويمكن ترقيتها إلى 16 غيغابايت.

صور عالية الجودة للمريخ تنقل أول دليل على وجود أنهر على الكوكب منذ 3.7 مليار سنة

لندن ـ «القدس العربي»:

توصل العلماء، عبر صور جديدة عالية الدقة إلى أول دليل على أن المريخ كان عليه أنهر منذ حوالي 3.7 مليار سنة. وحسب ما قاله الباحثون في كلية الأبحاث الدولية لدراسة علوم الكواكب في إيطاليا، إن الصور والبيانات التي اعتمدوا عليها في أبحاثهم كشفت أن المياه، التي وجدت على كوكب المريخ قبل 3.7 مليار سنة، ظلت موجودة على الكوكب الأحمر طوال 100 ألف عام. وأفاد البحث الجديد الذي نُشر في مجلة «نيتشر كوميونيكيشن» العلماء فقد استخدموا الصور التي التقطتها كاميرات مسبار ومكالة ناسا «ريكونيسانس» بالغة الدقة لدراسة حافة فوهة في النصف الجنوبي من المريخ. وقال مؤلف الدراسة والجيولوجي وكبير العلماء في كلية الأبحاث الدولية لدراسة علوم الكواكب في إيطاليا، فرانشيسكو ساليسي: «الأمر ليس مثل قراءة صحيفة، لكن الصور عالية الدقة سمحت لنا بقراءة الصخور كما لو كنت تقف بالقرب من الجرف».

وأضاف: «لسوء الحظ ليست لدينا القدرة على الصعود إلى المريخ، لننظر إلى التفاصيل الدقيقة، لكن أوجه التشابه اللافتة مع الصخور الرسوبية على الأرض لا تترك سوى القليل من الخيال». وتعد هذه الفوهة إحدى أكبر الفوهات في النظام الشمسي، وتمتد 9 كيلومترات، وفي صور حافة الفوهة، يمكن رؤية أدلة قديمة على وجود بحيرة كبيرة وأنهار ودلتا وقنوات في الصخرة، كما ذكرت صحيفة «الإندبندنت» البريطانية.

وبناء على ما ظهر في الصور، قرر الباحثون أن الأنهار القديمة امتدت إلى عمق عدة أمتار. وعندما ضيّق العلماء نطاق بحثهم إلى الطبقة السطحية الظاهرة لحافة الجرف، اكتشفوا أن الأنهار كانت في بعض النواحي مشابهة لتلك الموجودة على الأرض.

وأفاد الباحثون في دراستهم، أن هذه «الأنهار هي التي حولت أخاديدها باستمرار، ما أدى إلى إنشاء ضفاف رملية، على غرار نهر الراين أو الأنهار التي يمكنك العثور عليها في شمال إيطاليا».

ويعتقد الباحثون أن مياه كوكب المريخ قد تشكلت نتيجة هطول الأمطار كالتي تهطل على الأرض. ولكن الصخور الواردة في الصور أظهرت أن عمر المياه والرواسب في المنطقة قصير نسبياً وربما استمرت على مدى 100 ألف عام فقط. وأشار العلماء إلى أن صخوراً أخرى لم تكتشف بعد، أو أنها ما زالت مدفونة، ربما يمكنها أن تظهر العمر الزمني للمياه على الكوكب. ويذكر أن ناسا كانت قد أطلقت المسبار «مارس ريكونيسانس أوربيتر» وهي مركبة مدارية لاستكشاف المريخ، في عام 2005.

الكائنات المائية تكيفت مع ارتفاع درجات الحرارة بشكل أسرع من البرية

لندن ـ «القدس العربي»:

أظهرت دراسة جديدة نشرت في دورية «إيكولوجي أند إيفولوشن» أن استجابة الكائنات الحية لارتفاع درجات الحرارة يتفاوت بين كائنات البحر واليابسة. وأشارت إلى أن تزامن الاحترار مع ارتفاع في عدد الأنواع التي تعيش في المناطق المعتدلة في معظم المواقع البحرية، هو عكس ما حدث على اليابسة، حسب مجلة «ساينتفك أمريكان».

وقال الباحثون إن «الكائنات البحرية كانت أكثر وأسرع استجابةً لتغير المناخ» أما الحيوانات البرية فتتمتع بخيارات أكثر على الأرض تسمح لها تجنب تأثيرات الحرارة، ونتيجة ذلك كانت استجابتها للاحترار أبطأ بدرجة غير متسقة مع تغيُّر درجة الحرارة.

وقامت الدراسة بالتركيز على «قياس التغيُّر في عدد الأنواع والعدد الإجمالي للكائنات الحية عبر الزمن في آلاف المواقع، وربط هذه التغيرات بتغيرات درجة حرارة الهواء والمحيطات خلال الفترات الزمنية نفسها» حسب المجلة.

وقالت لورا أنتاو، الباحثة في مركز دراسات التغير البيئي في جامعة هلسنكي الفنلندية، والباحثة الرئيسية في الدراسة: «لقد وجدنا استجابات واضحة للتنوع البيولوجي لتغير درجة الحرارة في المحيط، لكن المثير للدهشة أننا لم نكتشف أي استجابات منهجية على الأرض، رغم الارتفاع الكبير في درجة الحرارة. وقد يكون هذا لأن الأنواع الموجودة على اليابسة لديها قدر أكبر من التسامح والمزيد من الاستراتيجيات لتجنُّب الارتفاع في درجات الحرارة مقارنةً بالكائنات البحرية».

وأضافت لـ «سايتفك أمريكان»: «يمكن للكائنات البرية الوصول إلى جيوب صغيرة ذات مناخ مناسب، حتى لو كانت المنطقة الأوسع ترتفع فيها الحرارة بشكل كبير».

واعتمدت الدراسة على «21500 سلسلة زمنية للتنوع البيولوجي» من المناطق المعتدلة حول العالم ضمن أكبر قاعدة بيانات للتنوع البيولوجي «بيو تايم» والتي تتضمن «دراسات عن النباتات واللافقاريات والطيور والثدييات والأسماك، وتُعد قاعدة البيانات تلك نتاج جهد عدد كبير من العلماء في جمع بياناتها ومشاركتها».

وأفادت أنتاو: «استخدمنا أيضًا قواعد بيانات عالمية مفتوحة المصدر عن درجات الحرارة، ثم عملنا على تحليل هذه البيانات باستخدام الأساليب الإحصائية لتقدير تغير التنوع البيولوجي. وأجرينا كذلك تحليل الحساسية للتأكد من دقة نتائجنا في حالة عدم اليقين حول المتغيرات مثل درجات الحرارة». وتابعت: «تُعد المعدلات الحالية لتغير التنوع البيولوجي والمرتبطة بالعديد من العوامل البشرية، مقلقةً للغاية، ومن المتوقع أن يكون عام 2020 هو الأكثر سخونةً على الإطلاق، ونحتاج إلى فهم كثير من الأشياء المتبقية، مثل كون الأنواع قادرةً على التعامل مع مثل هذه التغيُّرات السريعة في البيئة أو لا، ومعرفة الأنواع التي ستنجو والأخرى التي ستخسر معركة التكيف، بالإضافة إلى كيفية تأثير هذه التغييرات على سلامة النظم البيئية ككل».

ويعمل معدُّو الدراسة من أجل الحصول على بيانات أكثر دقةً من أكبر عدد ممكن من المناطق وعلى أكبر عدد ممكن من الأنواع.

وأشارت أنتاو إلى أن: «أحد أسباب تركيز الدراسة الحالية على المناطق المعتدلة أن لدينا القليل جدًا من البيانات من المناطق الاستوائية والقطبية، في حين أن هذه المناطق تتأثر بشكل خاص بتغير المناخ، لذا فإننا ما زلنا في حاجة إلى مزيد من العمل للحصول على صورة أفضل حول كيفية تغيُّر التنوع البيولوجي وأماكن حدوثه».

رمديسيفير: كيف يستهدف الفيروسات؟

أظهرت نتائج أولية لدراسة سريرية واسعة أجرتها معاهد الصحة الأميركية ونشرت في 29 أبريل، أن عقار رمديسيفير المضاد للفيروسات أدى الى تسريع فترة تعافي مرضى كوفيد-19 بنسبة 31% مقارنة مع المرضى الذين تلقوا دواء وهميا

المصادر: pubchem.ncbi.nlm.nih.gov/the-scientist.com/sciencedaily.com/nature.com

© AFP

تأثيرات فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي لسنة 2020

فؤاد الصباغ

تشهد وسائل الإعلام والساحة السياسية والاقتصادية اليوم اهتماما كبيرا بفيروس القرن المسمى كورونا، نظرا لشلل الحياة العامة بصفة كاملة وشاملة وكبح دواليب الدول عن بكرة أبيها. ولم تكن هذه المرة الأولى لبروز تلك النوعية من الفيروسات إذ شهد العالم منذ الأزل العديد من الأوبئة، منها الطاعون الذي تسبب في مقتل 200 مليون شخص في العالم وأوبئة أخرى أقل خطورة مثل الكوليرا والسل والجدري وصولا إلى الفيروسات الحديثة التاجية، مثل السارس وإنفلونزا الطيور والخنازير ومتلازمة الشرق الوسط وإيبولا. أما فيروس كورونا فهو يتمتع بخصائص نوعية تختلف جذريا عن سابقاتها منها سرعة انتشاره عبر العدوى بطريقة غريبة متجاوزا الحدود بين البلدان وتكاثره في الخلايا البشرية في بضع ثواني وبقائه في الهواء وعلى سطح الأماكن العامة والخاصة، ليضرب بذلك في صميم الاقتصاد العالمي ويطرحه في فراش الركود أو ربما الهاوية. لكن في المقابل لا تبدو الصورة الاستشرافية الاقتصادية على المدى القصير سوداء كثيرا نظرا لبعض الإجراءات التحفيزية للاقتصاد العالمي من جانب صندوق النقد الدولي عبر الاقراض السريع لبعض الدول المتضررة من الوباء أو أيضا لخرجات مجموعة العشرين الافتراضية التي خصصت خمسة تريليونات دولار كمخطط إنقاذ سريع، أو تأسيس صندوق تحوط لمكافحة واحتواء هذا الفيروس القاتل. كما أن التوقعات على مستوى المؤشرات الاقتصادية العالمية تشير إلى انخفاض نسبة النمو الاقتصادي العالمي بنسبة 20 في المئة وزيادة العجز التجاري نظرا لتباطؤ الحركية الدولية مع احتمال إفلاس بعض شركات الرحلات والأسفار وشركات الخطوط الجوية إذا تواصلت الأزمة إلى نهاية هذه السنة. كذلك من أبرز المتضررين من جائحة كورونا نذكر بالأساس قطاع السياحة والخدمات بحيث أصبحت مهجورة تقريبا ولا تبشر بموسم جيد.

أما بخصوص الأسواق المالية فكانت التأثيرات واضحة عليها خاصة تلك الهيستيريا الكبيرة في التذبذب لأغلب المؤشرات الخاصة بالعملات والأهم انهيار مؤشر الداو جونز عبر ذلك السقوط العمودي السريع والذي لم تشهده منذ سنين طويلة. كما يعتبر ذلك المؤشر الصناعي الأمريكي المحفز الأساسي للشركات الصناعية والذي يعكس بدوره القيمة الحقيقية للإنتاجية العامة الأمريكية. أيضا تضرر أسعار النفط خاصة على الدول المنتجة ما شكل ضررا كبيرا على عوائدها المالية المتأتية من الثروات الطبيعية. أما بقية المؤشرات التكنولوجية فلم تشهد تضررا كبيرا باعتبار أن الإقبال الشعبي أصبح مركزا عليها بشكل كبير خاصة منها العمل عن بعد في مجال التعليم والتعليم العالي وادخال البيانات لبعض الشركات العالمية عن بعد أو الخدمات البنكية والتجارية الإلكترونية. بالتالي تعتبر التكنولوجيا المستفيد الأكبر من انتشار فيروس كورونا وتشهد منتجاتها إقبالا كبيرا من حيث الشراء والاستخدام. كذلك صناعات الأدوية ومشتقاتها شهدت ارتفاعا كبيرا لنسبة أرباحها مقارنة بالسنوات الماضية وذلك بشكل ملحوظ عالميا وأيضا نذكر مواد التعقيم والتنظيف والأوراق الصحية والمواد الغذائية التي شهدت بدورها مبيعات كبيرة جدا في فترة وجيزة جدا. فبالنتيجة لم تتضرر القطاعات الإنتاجية الغذائية والصحية وكان الضرر مقتصرا فقط على تباطؤ بعض الصناعات المعملية نظرا لتوقفها عن الإنتاج وتسريح عمالها تخوفا من انتشار العدوى. إذ حاليا لا يمكن التقدير الاقتصادي الاستشرافي الصحيح لنتائج هذا الوباء، لأن الحظر والحجر الصحي ما زال محدودا وفي بدايته ولو أن نتائج الإصابات بلغت تقريبا ما يقارب من مليون شخص على الصعيد العالمي. لكن السؤال المطروح هو هل ستصمد الشركات الصناعية بعد رفع الحظر وعودة العمال للدوام اليومي؟ وهل ستكون الدول قادرة على التعامل مع خطورة هذا الفيروس نظرا لمواصلة انتشاره عبر العدوى وعدم إيجاد دواء ولقاح قادر على التخلص منه بصفة نهائية؟ إجمالا تعتبر تأثيرات فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي خلال الأشهر الثلاثة الأولى من سنة 2020 محدودة وتبدو التأثيرات السلبية واضحة فقط خاصة من جانب انخفاض توقعات نسب النمو الاقتصادي الإجمالي وكبح برامج التنمية وتقلص المبادلات التجارية وارتفاع نسب البطالة، بحيث فقد ملايين الأشخاص وظائفهم من خلال التسريح المؤقت أو الكامل في انتظار النتائج الصحية والأمنية المرتقبة بعد رفع الحظر. أما التأثيرات الإيجابية كما يقولون «مصائب قوم عند قوم فوائد» تتركز في الأساس على انتعاش الصناعات الإلكترونية ومشتقاتها وخاصة التكنولوجيا مثل ناتفليكس وزووم من خلال تكثيف ظاهرة العمل عن بعد والتزود بتجهيزاتها، إضافة إلى المنتجات والغذائية والأدوية.

بالنتيجة ما زال الاقتصاد العالمي متماسكا إلى حد الآن بعد مرور ثلاثة أشهر على انتشار عدوى الفيروس القاتل والمصنف كوباء عالمي شل الحركة الطبيعية والزم جميع شعوب العالم بيوتهم حتى إشعار لاحق. كما أن توقعات حصول أزمة عملات أو مصرفية مستبعدة حاليا لأن الإنتاجية أصبحت مرتكزة بالأساس على العالم الافتراضي وصناعات الأدوية ومشتقاتها من التعقيم والتنظيف والصناعات الغذائية والتي أضحت توفر اليوم في مجملها السيولة اللازمة ولو جزئيا حتى العودة تدريجيا إلى الحياة الطبيعية.

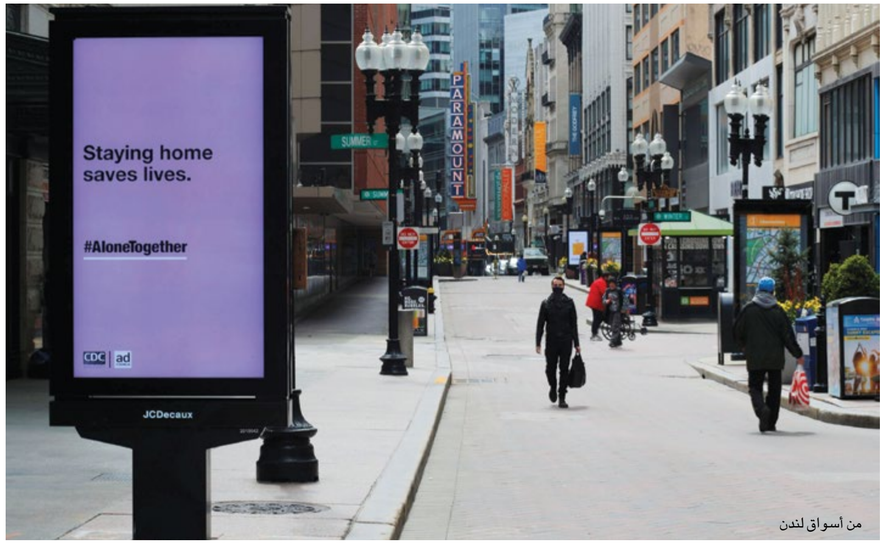

من أسواق لندن

الشاي التركي موسم

رغم القيود المفروضة نتيجة فيروس كورونا، يسعى مزارعو الشاي وأصحاب المزارع الأتراك للتغلب عليه وابتكار حلول للتعامل مع العوائق الناتجة عنه.

ومع إجراءات كورونا التي حظرت دخول العمال الموسميين وخاصة من جورجيا، يضطر مزارعو نبات الشاي في المنطقة إلى اللجوء إلى الأصدقاء والجيران للمساعدة في حصاده.

ويقول مصطفى يلماز كار، الأمين العام لـ«جمعية صناعة الشاي وتجارته» ومقرها طرابزون، إن المزارعين في المنطقة سيضطرون إلى العودة إلى الأيام القديمة والقيام بعملهم بأنفسهم بسبب جائحة كورونا.

ويضيف كار أن ثمة نحو 26 ألف عامل موسمي، وخاصة من جورجيا المجاورة، لا يستطيعون السفر إلى تركيا حيث تم إغلاق الحدود منذ آذار/مارس الماضي نتيجة كورونا.

ومع فرض قيود على السفر بين الولايات التركية، يواجه المزارعون الذين يمتلكون حقول شاي شهيرة في منطقة حوض البحر الأسود صعوبة في الوصول إليها كون أغلبهم يسكن إسطنبول.

ويوضح كار أن حوالي 65 بالمئة من العاملين في مجال إنتاج الشاي وصلوا إلى المنطقة بالفعل، وبدأوا موسم الحصاد.

ويلفت إلى أنه لا يزال هناك مزارعون يعيشون بشكل خاص في إسطنبول غير قادرين على الوصول إلى منطقة البحر الأسود حتى الآن بسبب قيود السفر بين الولايات.

ويمضي قائلًا: «إنهم لم يتمكنوا من الحصول على إذن (تنقل) لكننا نعتقد أنهم سيحصلون على الوثائق اللازمة، ونتوقع أن يتم منح الإذن لهؤلاء الناس».

وتقول فاطمة باتوم أوغلو، وهي مزارعة في ولاية ريزة (شمال شرق) المعروفة بعاصمة الشاي، إنها لا تعرف ما إذا كان ابنها الذي يعيش في إسطنبول سيتمكن من الحصول على إذن للسفر للمساعدة في الحصاد.

وتضيف «سنبذل قصارى جهدنا للقيام بالحصاد هذا العام» مشيرة أن العمال الجورجيين كانوا يحصدون حقولها منذ أكثر من عقد من الزمان.

وتتابع: «في العام الماضي، وصلت عائلة جورجية من أربعة أفراد عبر الحدود الشمالية الشرقية لتركيا للمساعدة في موسم الحصاد».

وتردف باتوم أوغلو: «لقد جمعوا ما مجموعه 16 طنًا من الشاي، ودفعت لهم حوالي 13 ألف ليرة تركية (1836 دولارًا) مقابل ذلك في مايو (أيار) 2019».

إلا أن أوغلو ليست حريصة هذا العام على مجيء العمال الموسميين لأنها تخشى انتشار الفيروس، لكنها تحث الحكومة على إيجاد حل لمزارعي الشاي.

وتستطرد قائلة: «في الماضي كان أطفالي يعرفون كيفية جمع الشاي، لكن الجيل الجديد لا يعرف ذلك بعد الاعتماد على العمالة الوافدة».

ويتفق كار مع رأي باتوم أوغلو، ويقول إن العمال الموسميين جعلوا السكان المحليين يعتمدون نسبيا عليهم «لكن هذا لا يعني أن تركيا لا يمكنها التغلب على ذلك». ويشير أن «جمعية صناعة الشاي» حاولت تأسيس مشروع توظيف 5 آلاف شخص وتعليمهم جمع الشاي ليكونوا جاهزين في حالة عدم تمكن الجورجيين من القدوم، لكنه باء بالفشل.

وحققت تركيا أكثر من 3.8 ملايين دولار من عائدات الشاي في الأشهر الثلاثة الأولى من العام 2020 من خلال الصادرات إلى 75 دولة، وفقًا لـ«رابطة مصدري الشاي بشرق البحر الأسود».

وتظهر البيانات الصادرة في نيسان/ابريل الماضي، أن العائدات من صادرات الشاي ارتفعت بنسبة 51 في المئة في الربع الأول مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي، إذ بلغت صادراتها في تلك الفترة أكثر من ألف طن.

ويرى كار أن تأجير الحقول لمشاركة الأرباح في نهاية موسم الحصاد تقليد شائع في المنطقة، ولكن لن يحدث ذلك إذا لم يُسمح لجامعي الشاي بالقدوم إلى المنطقة.

وتكمن المشكلة الرئيسية في المنطقة في أن جامعي الشاي المحتملين الذين يعيشون في الولايات المجاورة لن يتمكنوا من القدوم إلى المنطقة بسبب قيود السفر.

ويوضح أن هناك جانبًا سلبيًا آخر لقيود السفر على العمال الموسميين وهو زيادة الأجور، فنظرًا لغيابهم «ستكون هناك زيادة في التكاليف، مع ارتفاع الأجور اليومية إلى 250 ليرة تركية (35 دولارًا)».

ووفقا لكار، يدفع المزارعون الأتراك كل عام حوالي 100 مليون دولار للعمال الموسميين القادمين من جورجيا، ولكن هذا العام سيظل هذا المبلغ داخل البلاد. ويعتقد كار أن التحدي الصحي الأكبر يمكن أن يحدث بعد الحصاد، عندما تشتري المديرية العامة لشركات الشاي في تركيا «تشايكور» الشاي من المزارعين.

ويذكر أن هذه الأماكن تزدحم خلال موسم شراء الشاي ويجب تنظيمها، لأن هذه التجمعات ستعارض قواعد التباعد الاجتماعي لمنع الفيروس من الانتشار.

وتأسست مؤسسة «تشايكور» الحكومية في عام 1983 وتوظف أكثر من 10 آلاف و600 شخص في مصانعها الـ45 بالبلاد.

ويلفت كار أن جمعية صناعة وتجارة الشاي قدمت بالفعل بعض الاقتراحات لمنع حدوث أي ازدحام في هذه المناطق.

ويضيف: «هذه ليست مشكلة بالنسبة لمصانع الشاي المملوكة للقطاع الخاص لأنها تشتري الشاي مباشرة من المزارعين».

ويتوقع من تشايكور أن تفعل الشيء نفسه وإلا سيبدأ نظام تعيين لشراء الشاي، مضيفا أن «سكان منطقة البحر الأسود عمال مجتهدون، ولن يتركوا الشاي في الحقول».

ويختتم: «سيكون محصول هذا العام مثمرًا للغاية بسبب هطول أمطار جيدة في المنطقة».

غزة: انعكاسات كورونا على المواطنين خلال شهر رمضان

إسماعيل عبد الهادي

مخبز في غزة

يختلف شهر رمضان هذا العام عن السنوات الماضية بسبب الأزمة التي تخيم على المسلمين في العالم، وطالت مختلف مناحي الحياة والتي نتجت عن فيروس كورونا المستجد، الذي يجتاح دول العالم ويواصل حصد المزيد من الضحايا بشكل يومي في ظل فشل كل المحاولات لإيجاد علاج له، والاستعانة بالأدوية التقليدية الأخرى التي تحدث تحسناً طفيفا على بعض المصابين. وتزامناً مع هذه الجائحة، استقبل الغزيون كباقي بلدان العالم الشهر الفضيل وسط حالة من الحزن والكآبة، بعد أن اجتاح الفقر شريحة واسعة من المواطنين وأبرزها قطاع العمال، بعد أن أحالهم الحجر الصحي العام إلى البطالة القسرية، إضافة إلى غياب مظاهر البهجة والاستعداد والمبادرات التطوعية في أحياء المدينة وحاراتها لاستقبال رمضان، إلى جانب إغلاق الأماكن الترفيهية والمساجد وأبرز ذلك غياب صلاة التراويح، التي تعتبر من أجمل الطقوس الرمضانية بالنسبة للغزيين. وحل فيروس كورونا كضيف ثقيل على غزة منتصف آذار/مارس الماضي، بعد أن كشفت الجهات الصحية أول حالتين لمسافرين عادا إلى قطاع غزة قادمين من باكستان، وعلى إثر ذلك توقفت عجلة الحياة، بعد أن أصدرت الجهات الأمنية المختصة في غزة، قراراً يقضي بإعلان حال الطوارئ والمترتب عليها إغلاق أماكن التجمعات، بما فيها قاعات الأفراح والمطاعم والمساجد والأماكن الترفيهية، كخطوة احترازية منعاً لتفشي الفيروس بين المواطنين.

ويبدو أن قطاع الأيدي العاملة من الأكثر تضررا من إجراءات كورونا وما خلفته من انعكاسات سلبية على حياتهم المعيشية، بعد أن فقدوا مصدر دخلهم وباتوا يعيشون في ظروف صعبة ولا من ملتفت لأوضاعهم. ويقول الشاب سعدي الشريف الذي يعمل نادلا في إحدى مطاعم غزة، أن توقفه عن العمل منذ قرابة الشهر شكل له أزمة مادية حادة، بعد أن بات عاجزاً عن توفير مستلزمات بيته وحتى عدم قدرته على دفع إيجار البيت الذي يسكن فيه، وأصبح مهددا بالطرد من الشارع بعد إعطائه مهلة من قبل صاحب البيت للسداد وإلا ترك البيت.

ويقول سعدي الذي يعيل أسرة مكونة من 4 أفراد لـ«القدس العربي» إن مهنته كنادل في قطاع السياحة والفنادق، تعتبر من المهن ذات الأجر المادي الضعيف خاصة في غزة التي تشهد انعداما للنشاط السياحي نظراً للظروف الصعبة «فالمردود المالي الذي أتقاضاه شهرياً لا يكفي في العادة لتوفير ما يكفي أسرتي من احتياجات ضرورية، ولكن ما يزيد الطين بلة أنني كواحد من خمسة آلاف عامل في هذا القطاع وتضرروا من أزمة كورونا، أصبحنا في أوضاع سيئة خاصة مع شهر رمضان، الذي يحتاج فيه المواطن ضعف ما يلزمه عن باقي الأشهر».

حال الشاب خليل بعلوشة لم يكن أفضل، وهو يعمل بائع ألعاب على إحدى المفترقات العامة في شارع النصر وسط مدينة غزة، وقد تضرر بعد أن باتت شوارع المدينة شبه خالية من المارة ولا يجد من يشتري بضاعته. ويقول لـ«القدس العربي» إن إجراءات كورونا وما ترتب عليها من إلزام المواطنين بتخفيف الحركة في الطرقات والالتزام بالحجر المنزلي، أدت إلى تراجع نسبة البيع خاصة زينة رمضان التي تعتبر من السلع الموسمية ذات المردود المالي الوفير نظراً للطلب المتزايد عليها خاصة من قبل الأطفال، لكن غاب الإقبال هذا العام عليها و«سأضطر للاحتفاظ بالكميات التي لم تجد طريقها للزبائن إلى العام المقبل».

ويخشى مراقبون اقتصاديون من الآثار السلبية لفيروس كورونا على الواقع الاقتصادي والمعيشي في قطاع غزة، محذرين أنه في حال استمر الإغلاق، فإن ذلك له انعكاسات سلبية ليس على الفئات الفقيرة بل على العديد من القطاعات التشغيلية. وبين الخبير الاقتصادي سمير حمتو أن أزمة كورونا كبيرة وتأثيراتها خطيرة جداً على العمال والمصانع والقطاعين التجاري والزراعي وكذلك السياحة والأعمال والمقاولات، موضحاً أن الوضع الاقتصادي في فلسطين بشكل عام يتدهور بشكل متسارع، بسبب حظر التجول والإغلاقات في الضفة الغربية والقدس ضمن إجراءات مواجهة كورونا، في حين أن الأزمة تزيد في قطاع غزة المنهك اقتصادياً أصلًا بسبب الحصار الإسرائيلي.

وأضاف لـ«القدس العربي» أن على الحكومة الفلسطينية سواء في قطاع غزة والضفة الغربية، العمل وبشكل سريع على دفع تعويضات حتى ولو كانت بشكل رمزي لأصحاب القطاعات التي تضررت بسبب كورونا، بالإضافة إلى تعويض العمال الذين سرحوا قسراً بعد إغلاق المنشآت الصناعية والتجارية أبوابها، في ظل الظروف المعيشية الصعبة والحصار المطبق من قبل إسرائيل، الذي راكم نسب الفقر في أوساط الغزيين.

وقال رئيس جمعية رجال الأعمال في غزة علي الحايك خلال إيجاز صحافي معقباً على الأوضاع الاقتصادية الناجمة عن كورونا، إن القطاع الصناعي في غزة فقد أكثر من 10 آلاف وظيفة منذ بداية الأزمة، موضحاً أن نسبة الإنتاج في القطاع الصناعي تراجعت بنسبة 35 في المئة، الأمر الذي ينذر بمزيد من التدهور والانهيار الاقتصادي، منذرا من نسب غير مسبوقة من البطالة والفقر في القطاع، ومطالباً الجهات الحكومية بضرورة التدخل عبر صياغة برامج فاعلة، من شأنها الحد من أزمات البطالة والفقر والإنعدام الغذائي.

مدن وآثار

جبيل اللبنانية أقدم المدن المسكونة في التاريخ البشري

بيروت – «القدس العربي»: عبد معروف

عد باحثون ومؤرخون، مدينة جبيل الواقعة على الساحل اللبناني من أقدم المدن المسكونة في التاريخ البشري، وتضمّ هذه المنطقة أشهر المواقع الأثرية. وأعادوا تاريخها إلى ثمانية آلاف سنة، مستندين لوثائق وآثار تم اكتشافها في المدينة تؤكد معاصرتها لقرون ما قبل التاريخ الميلادي.

وأظهرت الحفريات الأثرية في فترة الانتداب الفرنسي، ومن ثم تلك التي جرت بإشراف المديرية العامة للآثار في لبنان، أن باطن المدينة يحتوي على كنوز من الآثار، وفي عام 1984 أدرجتها اليونسكو على لائحة التراث الإنساني العالمي.

يطلق على جبيل اسم مدينة بيبلوس. وتقع على الساحل اللبناني شمالي العاصمة بيروت، وتبعد عنها بنحو 37 كيلومترا، ويستغرق الوصول إليها نحو ثلاثين دقيقة من بيروت في الحالات العادية. ويبلغ عدد سكانها حوالي 40 ألف نسمة.

شكلت المدينة عبر التاريخ همزة وصل ونقطة تلاقي الحضارات القديمة التي تعاقبت عليها ومنهم (الفينيقيّون والآشوريّون والفرس والرومان واليونان والعثمانيّون) وهو ما يظهر من خلال المعالم الأثرية والكنوز التراثية التي تزخر بها وتشكل هويتها الحالية والتاريخية.

نبع الإله إيل

في البداية تأسست كقرية لصيادي السمك وذلك ما قبل الميلاد، وتوسعت فيما بعد وأصبح لها شوارعها ومساكنها التي لها هويتها وطابعها الخاص، فصدّرت الأبجدية الفينيقية للعالم، واشتهر سكانها بالتجارة وصناعة الفخار والسفن من خشب الأرز. وتقول الأسطورة التي استمد منها اسم المدينة إن الإله إيل، كبير الآلهة عند الكنعانيين، هو من أسسها حيث تتوفر فيها الينابيع، فكانت تسمية جبيل اختصارا لـ«جب إيل» أي نبع الإله إيل، وبالنسبة للكنعانيين أن الإله إيل هو من أسس جبيل.

يحيط المدينة العديد من الأسوار، والتي ترجع تواريخ أقدمها إلى الألف الثالث قبل الميلاد ومنها الجدار البدائي والسور المسنن. بفضل الحفريات المتعددة، تم اكتشاف الكثير من الآثار التي تعود إلى عدة أجيال تعود لحضارات مختلفة.

فقد ترك الكنعانيون في المدينة الكثير من الآثار التي تعطي صورة عن نمط حياتهم، من الخناجر، والرماح المصنوعة من الصوان، والطاسات، والجرار المفخورة من الطين المجفف، الخ... وقد استخدمت الجرار البيضاوية الشكل كصوامع للغلال ولحفظ زيت الزيتون، كما استعملت أيضا لدفن الموتى، ولإعطاء الجسم شكل الجنين.

سيدة جبيل

وسط المدينة كان مخصصا للمباني الدينية، ولعل من أقدمها معبد آلهة أو بعلة جُبَلا، أي سيدة جبيل، يعود بناء المعبد إلى 2800 ق.م وقد دمر خلال الفترة الأمُّوريّة ثم إعيد بناؤه في عصر الملك يحاوميلك. وأكبر معبد بني حوالي العام 2300 ق.م لكن لم يعثر على أي إشارة لانتمائه إلى إله معين، فأطلق عليه اسم «معبد –» بالنسبة إلى شكله الذي يشبه حرف–. وتم تدميره خلال غزو الأموريين، وحل محله معبد آخر وهو «معبد المسلات» وقد شيد على الوقع نفسه، بين أعوام 1900– 1600 ق.م داخل حرم مقدس ويتم الوصول إليه عبر باحة واسعة، وفي وسطه أقيمت مسلة كبيرة تمثل إله المعبد وحوله توافرت الكثير من المنشآت الطقوسية. وقد تم نُصبَ العديد من المسلات الصغيرة عن أنفس المصلين لإدامتهم وتخليدا لذكرياتهم. ووجدت مجموعة كبيرة من التماثيل البرونزية مغطاة بورق الذهب، إضافة إلى الفؤوس والأدوات والمجوهرات والجرار الفخارية.

في شهر شباط/فبراير 1922 تم اكتشاف مقابر ملوك جبيل عن طريق الصدفة، بعد انهيار أرضي بسبب الأمطار الغزيرة على الجانب الغربي من الموقع. وكشفت الحفريات من قبل عالم الآثار الفرنسي بيار مونتي ومن بعده موريس دونان، عن تسع مقابر لملوك جبيل من الفينيقيين. ويعود أقدمها إلى حوالي 2000 قبل الميلاد، ويتكون كل مدفن من بئر في الصخر، عمقها يتراوح بين 9 و12 مترا ويؤدي إلى حجرة الدفن. ومن أهمها قبر وناووس الملك حيرام.

المحفوظات والنقوش

تشير الوثائق إلى أن جبيل صدرت الأخشاب لبناء السفن والمعابد المصرية، والراتنج للطقوس الدينية وخاصة التحنيط، والقمح والعنب والنبيذ، لذلك أتى ذكرها في الوثائق والمحفوظات التاريخية والنقوش الحجرية التي وجدت في مصر وجميع أنحاء الشرق الأدنى. من بين أهم المحفوظات، نجد «رسائل تل العمارنة» والتي تم اكتشافها في عام 1887 في موقع إختاتون القديمة (تل العمارنة الحالية). وتمثل هذه الرسائل أكثر من380 وثيقة من الألواح الطينية تتضمن الكثير من المراسلات مع المدن الفينيقية وبشكل خاص جبيل.

وفي مقابر ملوك جبيل وجد العديد من القطع المذهبة والكثير من المجوهرات المصرية، بما في ذلك المربع من حجر السَّبَج المذهب يحمل اسم أمنمحات الرابع، فضلا عن المجوهرات المصنعة يدويا على شكل الزخارف وحسب تقنيات الصناعات المصرية.

في بداية الألفية الأولى، ظهرت جبيل مرة أخرى كمركز للحياة الفكرية والتجارية والفنية واستعادت علاقاتها مع مصر. ومن أبرز المستندات على ذلك «بردية وينامون» المرسلة من قبل رئيس كهنة آمون في معبد الكرنك 1050ق.م إلى مدينة جبيل لشراء خشب الأرز من أجل بناء سفينة لنقل تمثال آمون إلى تانيس.

الأبجد ية الفينيقية

أما الحياة الفكرية والعلمية فتميزت باختراع الأبجدية الفينيقية، و19 حرفا من أصل 22 منقوشة على ناووس احيرام ملك جبيل حوالي عام 1000 ق.م الذي تم اكتشافه من قبل فريق التنقيبات الأثرية الفرنسية في عام 1923 خلال فترة الانتداب الفرنسي على لبنان، ويحفظ حاليا في المتحف الوطني في بيروت. هذا الناووس الحجري يعد من أهم المكتشفات الأثرية التي وجدت في جبيل وأبرز الأحداث في تاريخ الأبجدية.

فمنذ نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، أصبحت النقوش والآثار نادرة، فاسم جبيل لم يذكر إلا في بعض المستندات الآشورية حول قائمة الجزية التي فرضت على المدينة للحفاظ على استقلال ذاتي ونسبي في المجالات السياسية أو الاقتصادية.

التقاليد الهلنستية

احتل جيش الاسكندر الأكبر جبيل عام 330 قبل الميلاد، وخسرت استقلاليتها وهويتها وثقافتها الكنعانية لتتبنى التقاليد الهلنستية. ومنذ ذلك الوقت فقدت المدينة اسمها السامي جِبَلْ وأطلق عليها الإغريق اسم بيبلوس المنشق من بيليون اليونانية «المدينة الأم للكتابة» أو الكتاب، وأعطت المدينة اسمها للكتاب المقدس la Bible.

وخلال العهد الروماني بعد العام 64 قبل الميلاد تم تعزيزها بالمعابد، والحمامات، والفسيفساء من أهمها «اختطاف أوروبا» المحفوظة حاليا في المتحف الوطني في بيروت. وتم شق الطرقات المزينة والمحاطة بالأعمدة، من أهمها «فيا أبيا» الشرقية التي تنطلق من جبيل لتنتهي في دمشق مرورا في وادي البقاع.

ما يلفت الاهتمام هو المسرح الروماني في المدينة، ووجود حصى سوداء في وسطه تمثل موقع فسيفساء لباخوس إله الخمر، المحفوظة أيضا في المتحف الوطني، مع عدم إغفال الأقواس الصغيرة مع أعمدتها الكورنثية وتيجانها المزخرفة، والمذبح أمام الأدراج وكذلك الثقوب في حجارة الصف الأول التي كانت تستخدم لتثبيت أعمدة من أجل تغطية المسرح بالأشرعة.

بقيت مدينة جبيل تحت العهد العربي حتى وصول الصليبيين في العام 1104 الذين استقروا في المنطقة لحوالي قرنين ودعموا تحصينات المدينة وبنوا قلعة باستخدام أعمدة وحجارة من الآثار السابقة التي كانت متوفرة في المركز منذ العصور القديمة.

القلعة الصليبية

في جبيل آثار هامة عديدة نذكر منها القلعة البحرية، والسوق القديم، والقلعة الصليبية، والمسرح الروماني، وكنائس ومساجد أثرية عدا عن أكثر من متحف.

تضم القلعة تحفا حضارية مثل الطريق الروماني وهي البقايا الأثرية للطريق الذي كان يؤدي من القلعة إلى وسط المدينة، وبقايا بيوت من نهاية الألف الرابع قبل الميلاد ومقالع ومعبد البعلة والذي بني لأحد الآلهة، والمسرح الروماني والذي يعود إلى عام 218 قبل الميلاد والمدافن الملكية التي بنيت في الألف الثاني قبل الميلاد وأشهرها مدفن الملك أحيرام، وأحياء سكنية تعود إلى العصر البرونزي وأسوار وسبيل الماء الروماني والقلعة الفارسية وأطلق عليها اسم القلعة لضخامة جدرانها. والقلعة الصليبية والتي أقيمت في العصر الفاطمي، وكنيسة سيدة النجاة والتي بنيت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر على أنقاض كنيسة بيزنطية، وكنيسة يوحنا المعمدان والتي تم بناؤها عام 1115 واستكملت على مراحل خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ومسجد صغير مكعب تم إنشاؤه عام 1648 وبعض الترميمات ترجع إلى عصري المماليك والعثمانيين.

وتمتاز قلعة جبيل بعبق التاريخ وأصالته، ورائحة الصراع الإنساني لبناء حضارته تمتد فيه حتى الآن، إنها القلعة التي احتضنت كل هذا الزخم بكبرياء وشموخ أمام شاطئ المتوسط.

ويعتقد مؤرخون أن جبيل هي أول مدينة في العالم ما زالت مأهولة بالسكان منذ ثمانية آلاف سنة، ويستندون إلى مجموعة آثار اكتشفت فيها في عشرينيات القرن الماضي وتثبت أن الإنسان عاش في المكان منذ عصور ما قبل الميلاد. وقد أصبحت المنطقة مقصداً للسياح وتقام فيها احتفالات ومهرجانات ولعل أهمها مهرجان صيف جبيل.

رياضة

ماذا تبقى لميسي ورونالدو من أرقام قياسية لتخطي عظماء وملوك كرة القدم؟

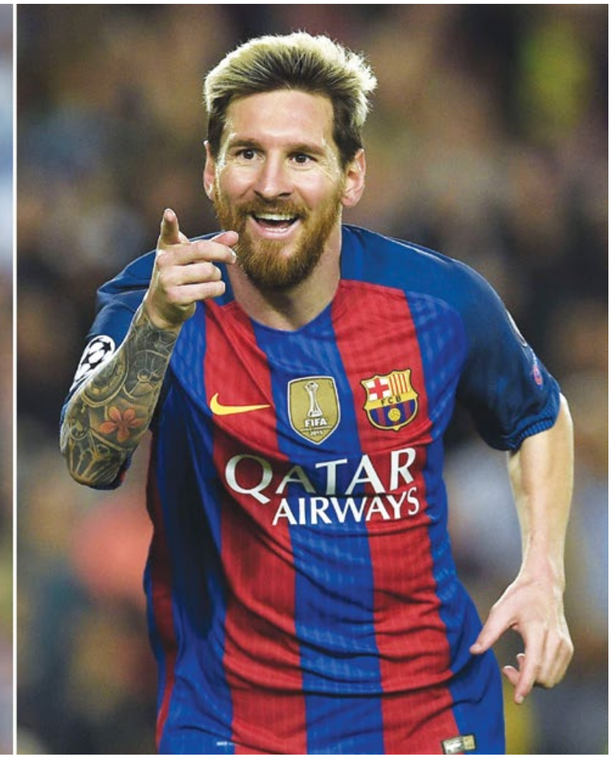

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

ما زلنا نعيش كابوس الألفية الجديدة، بقفزات مرعبة في أعداد المصابين بالعدو الخفي كوفيد19– في جُل بلدان العالم، بما في ذلك الدول الأوروبية التي خففت القيود عن مواطنيها، ليتخطى إجمالي الإصابات 3 مليون حالة وأكثر من ربع مليون ضحية، ومع استمرار الوضع كما هو عليه لعدة شهور قادمة، أو بالأحرى إلى أن يصبح هذا الجيل من الفيروس من الماضي، سيبقى حال كرة القدم كما هو عليه، منذ توقف النشاط الكروي، كوسيلة ترفيهية على الهامش إلى أن تنتهي محنة البشرية كما قالها المدرب الألماني يورغن كلوب، وهو بالكاد أتعس مدرب في العالم والأكثر تضررا، بعدما كان قاب قوسين أو أدنى من إنهاء عقدة ليفربول الأزلية مع البريميرليج.

ولا يُخفى على أحد، أنه في أفضل الأحوال، إن عادت كرة القدم في المستقبل القريب، ستكون عبر الشاشات، وأيضا في العالم الافتراضي وبشكل مجاني عبر «يوتيوب»، كهدية للمشجعين، الذين سيحرمون من المدرجات لفترة طويلة، قد تكون الأطول في كل العصور، وهذا في حد ذاته، ليس بالأمر السهل بالنسبة للاعب شاب معتاد منذ طفولته على اللعب أمام ولو المئات، فما بالك بالنجوم الكبار، الذين يستمدون طاقتهم من صيحات ودعم المؤيدين، وقد يكون الغياب الجماهيري عن الملاعب في المرحلة المقبلة، منعرج طريق في مسيرتهم، إما بالمضي قدما بنفس زخم وقوة ما قبل كورونا، وإما أن يضع الوباء حدا لنجاحاتهم، بمقولة وليام شكسبير الشهيرة «أكون أو لا أكون»، ويأتي في مقدمة هؤلاء الثنائي الفضائي كريستيانو رونالدو وليونيل ميسي، بعد هيمنتهما على جوائز اللعبة على مدار أكثر من عقد، باستثناء ما فعله لوكا مودريتش العام قبل الماضي، وهو ما لم يسجله التاريخ من قبل، أن يبقى لاعبان في القمة بشكل منفرد وأعلى مستوى تنافسي طيلة هذه السنوات. حتى مع دخول الدون عامه الـ35 والبرغوث الـ33، لا يزال كل منهما ينثر إبداعه بطريقته الخاصة، تماشيا مع الزمن بعد التقدم في العمر، بتحول كريستيانو لأداة قتل بالنسبة لخصوم يوفنتوس ومنتخب البرتغال. صحيح أن نسبة أهدافه أقل مما كانت في حقبة ريال مدريد، لكنه لم يفقد تأثيره، كلاعب يعول عليه المدرب والجمهور لإنقاذ الفريق بلمسة خارقة للطبيعة، كما رسم لوحته الإبداعية في سامبدوريا، بقفزة سيمنائية جعلته يقف لحظات في الهواء وهو على بعد 2.5 متر عن الأرض، ليضرب الكرة برأسه في المكان المستحيل للحارس المسكين إيميل أوديرو، ونفس الأمر بالنسبة لهداف الليغا وبرشلونة التاريخي ميسي، هو الآخر، وبما تكون معدلاته البدنية قد انخفضت، لكنه يبدع في في النصف الثاني من القرن قبل الماضي. فبعيدا عن احتكار الاثنين لجائزتي «الأفضل» من قبل الفيفا و«الكرة الذهبية» لمجلة «فرانس فوتبول»، بواقع ست مرات لميسي وخمسة لرونالدو، هناك أرقام قياسية في سجل الاثنين، ستبقى صامدة إلى عقود وربما إلى قرون، إلى أن يثبت العكس، وتأتي الساحرة المستديرة بمن هو قادر على تحطيم مجموعة صغيرة من أرقامهما القياسية، منها على سبيل المثال لا الحصر، استنساخ ما فعله صاروخ مادريدا مع النادي الملكي في بطولته المفضلة دوري أبطال أوروبا، بقياداته للاحتفاظ باللقب 3 مرات متتالية كما فعل أياكس وبايرن ميونيخ في سبعينات القرن الماضي، من أصل 4 ألقاب في آخر 5 مواسم له بالقميص الأبيض الميرينغي، لكن الشيء غير العادي، أنه حافظ على سجله التهديفي بهز شباك المنافسين 10 مرات أو أكثر في سبعة مواسم على التوالي بداية من موسم 2012–2011 وحتى 2018–2017. وعلى سيرة الأهداف، يبقى كريستيانو اللاعب الوحيد، الذي كسر حاجز الـ50 هدفا في ستة مواسم على التوالي خلال العقد المنقضي، وفعلها بين موسمي 2011–2010 وحتى 2016–2015، منتصف مارس/ آذار الماضي، لخروج كورونا عن السيطرة في أوروبا.

أرقام قياسية لن تتحطم

بلغة الأرقام والإحصائيات، فيبدو واضحا أن كلا اللاعبين حققا من النجاح والشهرة والإنجازات، ما لم يحققه كل من احترف كرة القدم، منذ أن وضع الإنكليز قواعدها الأولى، لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن، هل سيواصل الثنائي بنفس القوة والعزيمة بعد كورونا وتبعاتها بإقامة المباريات وراء أبواب مغلقة لمدة عام وربما أكثر؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام والمباريات بعد الحصول على الضوء الأخضر لاستكمال ما تبقى من الموسم، لنرى إذا كان باستطاعتهما المضي قدما بنفس الوتيرة وعدم التوقف عن تحطيم الأرقام القياسية ليحتفظ كل منهما بفرصه في لقب الأفضل الشرفي، أو إذا كان سيستسلمان بعد متغيرات الوباء التاجي.

المهمة المستحيلة

صحيح كلاهما حقق عشرات الأرقام، ما بين القياسية والإعجازية، لكن ما زالت المعركة الأخيرة لم تُحسم بعد، أن يحقق كل منهما الأرقام القياسية القليلة المتبقية له، ليكمل المهمة المستحيلة بالتفوق على كل من احترف كرة القدم، على صعيد الأهداف والبطولات، منها مثلا على مستوى دوري الأبطال، معادلة أو تخطي رقم أسطورتي الريال في خمسينات القرن الماضي الفريد دي ستيفانو وبوشكاش، بتسجيل أكبر عدد من الأهداف في المباريات النهائية، حيث سجل ثنائي العصر الذهبي سبعة أهداف في عصر احتكار أوروبا في أول خمس نسخ، في حين سجل ليو هدفين في 4 نهائيات، والدون أحرز الضعفين في 6 نهائيات، أي ما زال الأول بحاجة لخمسة أهداف لمعادلة رقم أسطوتري الريال ورونالدو ثلاثة، علما أن كريستيانو لعب مباراة أقل من الفريدو واثنتين من أيقونة هنغاريا. كما يحتاج كل واحد أن يكون الهداف التاريخي والأكثر

هل يحرز رونالدو المزيدات من الكرات الذهبية؟

مشاركة في البطولة، أو بمعنى أدق، يسعى رونالدو لتأمين مكانه ككبير هدافي الأبطال بفارق 15 هدفا عن ميسي حتى الآن، وأمامه ثماني مباريات لمعادلة سجل مشاركات زميل الأمس إيكر كاسياس، صاحب الـ181 مشاركة، كأكثر اللاعبين مشاركة في المسابقة، لكن ما يبدو صعبا، أن يضمن أحدهما الرقم الخاص بأكبر هداف في البطولة أو في النهائي، بكسر رقم باولو مالديني، الذي سجل في نهائي 2005 ضد ليفربول بعمر 36 عاما و333 يوما، وهو أسرع هدف في تاريخ المباريات النهائية حتى الآن في الثانية 53، بينما الهدف الأسرع في الإطلاق، فمن نصيب الهولندي روي ماكاي بقميص بايرن ميونيخ، وسجله في شباك ريال مدريد في الثانية 12، وهذه مجموعة من الأرقام المستعصية على الاثنين في بطولة واحدة، ويحتاجان للصبر لتحقيق البعض منها، إذا صمدا أمام توابع الجائحة.

بعيدا عن دوري الأبطال، هناك أرقام قياسية وألقاب جماعية أخرى، ما زال يطمح كل أسطورة في تحقيقها قبل أن يحين موعد تعليق الحذاء، لتكتمل مهمة الفصل الأخير بنجاح، بفعل ما عجز عنه الجميع، بما في ذلك أباطرة العصور القديمة. وبالنظر إلى رونالدو، سنجد أن من ضمن أهدافه بعد وصوله لهدفه رقم 725 مع فرقه ومنتخب بلاده في أكثر من 970 مباراة، أن يتصدر قائمة الهدافين التاريخيين، ولم لا أن يكون أول لاعب في التاريخ يكسر حاجز الـ1000 هدف في مباراة رسمية، بتجاوز أهداف أسطورة النمسا جوزيه بيكان صاحب الـ805 أهداف في 530 مباراة، وأسطورة القرن الماضي بيليه بأهدافه الـ779 هدفا في 842 مباراة، وروماريو بـ748 في 965 مباراة، ونفس الأمر ينطبق على البرغوث الذي أوشك على كسر الـ700 هدف، بل يحتاج 16 هدفا بقميص البلوغرانا، ليعادل رقم بيليه الذي سجل 643 هدفا على مدار 19 عاما بقميص سانتوس، قبل أن يحط الرحال في أمريكا ليخوض تجربة مع كوزموس. ويسعى كريستيانو كذلك، إلى تحطيم رقم الإيراني علي دائي، الذي يتصدر قائمة هدافي منتخبات العالم، بـ109 أهداف، بفارق 10 أهداف فقط عن قائد منتخب أحفاد فاسكو دي غاما، كما يحتاج اللاعبان إلى تحسين سجلهما التهديفي على مستوى كأس العالم، أو على أقل تقدير الفوز بجائزة هداف كأس العالم، في مونديال قطر 2022، الذي سيكون فرصتهما الأخيرة، لإزاحة الألماني ميروسلاف كلوزه من على عرش الهدافين، بأهدافه الـ16، وذلك في الوقت الذي يمتلك فيه رونالدو سبعة أهداف وليو خمسة.

احتفاق ميسي مع المنتخب الارجنتيني أضر بسمعته

والشيء الأهم، هو معانقة كأس العالم، كأقوى حجة لتعزيز الموقف الأكثر طموحا في لقب الأفضل في التاريخ، وخصوصا ميسي، الذي لا تسير أموره بشكل جيد مع المنتخب كما هو الحال مع رونالدو. صحيح هو الهداف التاريخي لمنتخب التانغو، لكن تاريخه على مستوى الألقاب، يقتصر فقط على الذهب الأولمبي في أولمبياد بكين 2008، من دون أن يحقق ولو بطولة واحدة مع المنتخب الأول، بتجرعه من مرارة الهزيمة في 3 نهائيات متتالية، وكانت البداية بنهائي مونديال البرازيل 2014، وخسر أمام الماكينات الألمانية بهدف ماريو غوتزه، ثم انحنى أمام تشيلي في نهائيين متتاليين لكوبا أميريكا، على عكس هداف الملكي التاريخي، الذي قاد بلاده لأول لقب «يورو» في التاريخ من قلب العاصمة الفرنسية باريس عام 2016، وفي الصيف الماضي، لعب دور المخلص في التتويج بالبطولة المستحدثة دوري الأمم الأوروبية في نسختها الأولى. وبجانب ما سبق، ما زال ميسي بحاجة للقبي ليغا ليتساوى مع أسطورة ريال مدريد خينتو، الذي عانق لقب الدوري الإسباني 12 مرة، وسبعة ألقاب بوجه عام، ليعادل داني ألفيش، اللاعب الأكثر تتويجا بالألقاب في التاريخ، بينما كريستيانو يحتاج 12 بطولة ليعادل مدافع برشلونة الأسبق، مع إضافة الكرة والحذاء الذهبيين للمرة السابعة ولم لا الثامنة، ليبتعد عن منافسه صاحب الأحذية الأربعة الذهبية والخمسة من «فرانس فوتبول»، أو كما أشرنا أعلاه يعود صاروخ مادريا بريمونتادا جديدة. فهل يا ترى سنستمتع بجزء جديد وأخير في الصراع الدرامي بين الأفضل في العصر الحديث؟ أم ستتصعب مهمة تحطيم ما تبقى من أرقام قياسية بعد كوفيد19– وتوابعه؟ دعونا ننتظر، وعلى العهد، نتمنى السلامة والحفاظ على الأرواح قبل التفكير في كل ما هو ترفيهي.

حال الدوريات الأوروبية الكبرى:

طامح إلى عودة قريبة وحالم باستئناف وساع إلى تفادي الالغاء

لندن – «القدس العربي»:

بات مصير كرة القدم الأوروبية والبطولات الأوروبية الخمس الكبرى تستأنف فيه منافسات اللعبة، بعدما أجازت حكومة المستشارة أنغيلا ميركل ومسؤولو المقاطعات الألمانية الـ16 لرابطة الدوري المحلي، القيام بذلك، رغم مخاوف أبداها بعض اللاعبين. ويواجه الدوري الممتاز خسائر تقدر بحوالي مليار جنيه استرليني في حالة عدم استكمال الموسم. وتتبقى 92 مباراة في الدوري الممتاز الذي يتصدره ليفربول بفارق 25 نقطة (ومباراة أكثر) عن مانشستر سيتي الثاني. ويجد النادي الأحمر نفسه أقرب من أي وقت مضى لتحقيق لقبه الأول في البطولة المحلية منذ 1990.

ومن ضمن الاقتراحات لاستئناف البطولة، إقامة المباريات خلف أبواب موصدة في ملاعب محايدة، للحد من الكلفة المالية. لكن هذا الطرح يلقى معارضة من بعض الأندية لاسيما تلك التي تحتل مراكز متأخرة في الترتيب. ومن المتوقع أن يعلن رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون اليوم خطة بلاده لتخفيف الإغلاق، على ان يُعقد غدا الاثنين اجتماع لرابطة الدوري الممتاز لبحث خطة الاستئناف. وتعد بريطانيا الأكثر تضررا بفيروس «كوفيد–19» في القارة الأوروبية والثانية عالميا، بعدما تجاوز عدد الوفيات فيها عتبة 30 ألفا.

إسبانيا

بدأ لاعبو الدوري الإسباني الأربعاء الماضي العودة إلى أنديتهم للخضوع لاختبارات فيروس كورونا، حيث تخطط الفرق لاستئناف التدريب ضمن قيود، قبل الاستئناف المقترح للموسم في حزيران/يونيو. وأعلنت رابطة «الليغا» الاثنين الماضي نيتها «العودة إلى المنافسات في يونيو»، بعدما أعطت السلطات المحلية الضوء الأخضر لاستئناف التمارين الفردية بشكل تدريجي. وكانت الحكومة الاسبانية أقرت خطة رفع قيود الإقفال التام الاثنين وجاءت على أربع مراحل، على ان يشمل ذلك بالنسبة للرياضيين المحترفين «فتح المجال أمام التدريبات الفردية والحد الأدنى من التمارين»، وتواجد ستة لاعبين كحد أقصى على أرض الملعب. وستشمل المرحلة الرابعة والأخيرة المقرر تنفيذها في أوائل يونيو، إمكانية اقامة الاحداث الخارجية شرط أن لا يحضرها أكثر من 400 شخص. وتسبب فيروس «كوفيد–19» بوفاة أكثر من 25 ألف شخص في إسبانيا وإصابة قرابة 254 ألفا.

إيطاليا

بدأ اللاعبون في عدد من الأندية الإيطالية، بما في ذلك يوفنتوس حامل اللقب، بالعودة إلى التدريب بشكل فردي بعدما تلقوا الضوء الأخضر من وزارة الداخلية. ورغم السماح للاعبين بالعودة إلى مرافق الأندية قبل أسبوعين من الموعد المحدد، وخضوعهم لفحوص صحية، حذر وزير الرياضة فينتشنزو سبادافورا من أن التدريب الجماعي لن يصبح ممكنا قبل 18 مايو. وسيكون نجم «السيدة العجوز» البرتغالي كريستيانو رونالدو، مجبرا على البقاء في الحجر الإلزامي لمدة 14 يوما بعد عودته إلى تورينو ليل الإثنين– الثلاثاء، بعدما أمضى الشهرين الماضيين في بلاده. ولا تزال الأمور غير واضحة بالنسبة إلى استئناف الدوري. وأكد سبادافورا في السادس من مايو، انه يستحيل في الوقت الراهن تحديد موعد لذلك. ودعمت جميع فرق الدوري الإيطالي العشرين رسميا عودة المباريات، رغم إبداء أندية مثل بريشيا وتورينو تحفظاتها. ومن المقرر عقد اجتماع الخميس بين الاتحاد المحلي واللجنة العلمية التقنية الحكومية لبحث البروتوكول الطبي لاستئناف التدريب الجماعي. وتعتبر إيطاليا من أكثر الدول تأثرا بـ«كوفيد–19»، اذ أودى فيها بحياة نحو 30 ألف شخص، من ضمن نحو 214 ألف حالة معلنة.

فرنسا

توجت رابطة الدوري الفرنسي باريس سان جيرمان بطلا للبطولة المحلية، بعدما أعلنت نهاية نيسان/أبريل إنهاء موسمها. وجاء القرار في أعقاب تصريحات لرئيس الوزراء إدوار فيليب أكد فيها تجميد النشاط الرياضي حتى أيلول/سبتمبر. وقالت رئيسة الرابطة ناتالي دولاتور: «هذا القرار لا لبس فيه. كان يتعين علينا اتخاذ قرار حازم ونهائي بشأن الموسم الحالي. قررنا إنهاء موسم 2019–2020». واعتمدت الرابطة في ترتيبها على معدل النقاط بالنسبة للمباريات، علما أن البطولة علقت قبل 10 مراحل من نهايتها. وأدى قرار الرابطة إلى هبوط تولوز وأميان إلى الدرجة الثانية، فيما يصعد لوريان ولنس إلى الدرجة الأولى. وسيمثل فرنسا في دوري أبطال أوروبا الموسم المقبل سان جيرمان ومارسيليا ورين. وأسفر فيروس كورونا عن وفاة حوالي 25 ألف شخص في فرنسا، من بين أكثر من 170 ألف مصاب.

بطولات أخرى

بات الدوري الهولندي أول بطولة وطنية في دولة منضوية تحت راية الاتحاد الأوروبي للعبة (يويفا)، يتم إنهاؤها بشكل مبكر. ولم يتوج الاتحاد المحلي أي فريق باللقب، وجمّد الهبوط والصعود. وقررت الحكومة البلجيكية تعليق منافسات كرة القدم حتى 31 تموز/يوليو، حالها كحال النشاطات الرياضية. ويتوقع ان تتخذ الرابطة المحلية في جمعيتها العمومية المقررة في 15 أيار/مايو، قرار إنهاء الموسم الذي كانت تتبقى منه مرحلة واحدة قبل انطلاق الادوار الفاصلة «بلاي أوف». ومن المرجح أن يعلن كلوب بروج بطلا، كونه يتصدر الترتيب (70 نقطة) بفارق 15 نقطة. وحددت خمسة اتحادات مواعيد لاستئناف المباريات، هي جزر فارو (التاسع من مايو)، وكرواتيا وصربيا (اعتبارا من 30 مايو)، ومونتينيغرو (الأول من يونيو)، وتركيا (12 يونيو).

أبرز التعديلات في قوانين كرة القدم في العقود الستة الماضية!

لندن – «القدس العربي»:

شهدت قوانين كرة القدم تعديلات واسعة في العقود الستة الماضية، شملت اعتماد البطاقتين الصفراء والحمراء، وتقنية المساعدة بالفيديو في التحكيم (فار)، وصولا إلى احتمال السماح بتبديل خامس خلال المباريات.

وينكب مشرعو كرة القدم اليوم على دراسة تغيير «مؤقت» في قوانين اللعبة يسمح للفرق بإجراء خمسة تبديلات في المباريات بدلا من ثلاثة، مع استئناف النشاط المعلق حاليا بسبب فيروس كورونا. وكان الاتحاد الدولي للعبة (فيفا) تقدم في أواخر نيسان/أبريل، باقتراح زيادة عدد التبديلات خلال المباريات، ورفعه من ثلاثة (خلال الوقت الأصلي) إلى خمسة، لمساعدة اللاعبين على مواجهة الضغط المكثف للمباريات التي من المتوقع ان يخوضونها في الفترة المقبلة، لتعويض التوقف الذي يقترب من اتمام شهرين كاملين. ومن المتوقع ان يصادق مجلس الاتحاد الدولي لكرة القدم (إيفاب) المعني بقوانين اللعبة، على هذا الطرح. وأعلن «إيفاب» الأسبوع الماضي إنه يعمل مع الفيفا على «اعتماد تعديل مؤقت للقانون 3 (الخاص باللاعبين)، بما يسمح للمسابقات بمنح الفرق خيار استخدام خمسة بدلاء كحد أقصى في ثلاث مناسبات خلال المباراة، وبين الشوطين». ومن شأن الحد من عدد المناسبات التي يمكن للفرق أن تجري فيها تغييرات، أن يزيل الحافز للقيام بذلك لأغراض إضاعة الوقت فقط. وقد يُسمح أيضا باجراء تبديل سادس في المباريات التي تمتد إلى وقت إضافي. ويمكن للفرق حاليا إجراء ثلاثة تبديلات خلال المباراة، علما أنه تم السماح لها منذ العام 2018، بإجراء تغيير رابع لكن في الوقت الإضافي فقط. وقال مصدر مقرب من الملف إن البطولات الوطنية لن تكون ملزمة بتنفيذ هذا التغيير (أي زيادة عدد التبديلات)، ولديها الحرية في القيام به بمجرد استئنافها.

وستصبح ألمانيا أول بلد بين البطولات الأوروبية الخمس الكبرى تستأنف فيه منافسات اللعبة، بعدما أجازت حكومة المستشارة أنغيلا ميركل ومسؤولو المقاطعات الألمانية الـ16 لرابطة الدوري المحلي، القيام بذلك من دون جمهور. وحددت رابطة البوندسليغا المشرفة على الدرجتين الأولى والثانية، موعد العودة في 16 أيار/مايو. ويهدف «إيفاب» إلى «حماية صحة اللاعبين» عندما تستأنف المباريات، مع جدول يتوقع أن يكون مكثفا أكثر من المعتاد لتعويض فترة التوقف وإنهاء الموسم في أقرب فرصة ممكنة، ما قد يؤدي إلى «زيادة خطر الإصابات». وفي حين أن المقصود من التدبير أن يكون مؤقتا، إلا أنه يمكن الإبقاء عليه خلال الموسم المقبل (2020–2021)، وصولا إلى بطولة كأس أوروبا التي ستقام في صيف 2021، بعدما أرجئ موعدها الأصلي صيف العام الحالي بسبب جائحة «كوفيد–19». وشدد الفيفا على ان تطبيق الإجراء بعد المصادقة عليه، سيكون «وفقا لتقدير منظم كل مسابقة». وقال مصدر إنه «اذا كان هذا الاجراء لا يزال ساريا، فإن الاتحاد الاوروبي لكرة القدم (يويفا) يمكن ان يعتمده في كأس أوروبا». ويمكن للقرار في حال اعتماده بشكل دائم، أن يصب في مصلحة الأندية المقتدرة التي تضم تشكيلتها عددا كبيرا من اللاعبين الاحتياطيين القادرين على توفير خيارات تكتيكية واسعة لمدربهم.

أبرز التعديلات

بعدما فرض فيروس كورونا المستجد شللا شبه كامل على منافسات اللعبة والرياضة عموما، اضطر اللاعبون إلى التزام بالبقاء في منازلهم وبالتالي عدم مزاولة التمارين المكثفة المعتادة، ما أثر على لياقتهم البدنية. ومع سعي العديد من البطولات الوطنية لاستئناف نشاطها في الفترة المقبلة، يبدو مجلس «إيفاب» مقبلا على تعديلات جديد في قوانين اللعبة لمساعدة اللاعبين وحمايتهم من الإصابات بعد عودتهم. وفي ما يأتي أبرز القوانين التي أدخلت إلى كرة القدم في عصرها الحديث:

1958: التبديل الأول

تم السماح بإجراء تبديل واحد خلال مباراة كاملة، وإن كان الأمر في بادئ الامر يتعلق بتبديل حارس المرمى أو لاعب فقط في حال تعرضه لإصابة. وسُمح بإجراء تبديلين للمرة الأولى خلال كأس العالم في مونديال 1970 في المكسيك.

1976: التبديل التكتيكي

تم السماح بتبديل لاعب بطلب من المدرب حتى في حال عدم تعرضه لإصابة.

1970: بطاقات ملونة

شهدت نهائيات كأس العالم في المكسيك اعتماد البطاقة الصفراء كإنذار والحمراء للطرد. منذ ذلك الحين، اعتُمد هذا النظام بشكل دائم، قبل أن يتم اعتماده أيضا في رياضات أخرى.

1974: ركلات الترجيح

تم اعتماد ركلات الترجيح في الأدوار الاقصائية في كأس العالم في العام 1974 لتحديد الفائز في حال انتهاء الوقتين الأصلي والإضافي بالتعادل. لكنها لم تستخدم للمرة الأولى سوى في مونديال 1982 عندما أقصت ألمانيا الغربية نظيرتها فرنسا في نصف النهائي (3–3 بعد التمديد، 5–4 بركلات الترجيح). وكانت كأس أوروبا 1976 أول بطولة دولية تُحسم بركلات الترجيح في النهائي عندما تفوقت تشيكوسلوفاكيا على ألمانيا الغربية (2–2 الوقت بعد التمديد، 5–3 بركلات الترجيح)، وهي المباراة التي شهدت تسجيل التشيكوسلوفاكي أنتونين بانينكا ركلة الجزاء الشهيرة التي باتت لاحقا معروفة باسمه.

1992: تبديل ثالث

تم السماح بالتبديل الثالث ولكن فقط في حال تعرض حارس المرمى لإصابة.

1992: منع التمرير للحارس

تم منع حراس المرمى من امساك الكرة باليد في حال مررها لهم زملاؤهم، من أجل الحفاظ على الزخم الهجومي خلال المباريات. وأثارت هذه القاعدة جدلا لدى بدء اعتمادها، لكن كان لها «أثر إيجابي على اللعب الجميل» وفق الاتحاد الدولي للعبة (فيفا).

1992: الهدف الذهبي

تم اعتماد «الهدف الذهبي» الذي يسمح بفوز الفريق في حال سجل هدفا يكسر به التعادل، حتى قبل انتهاء الشوطين الإضافيين. وبفضل هذه القاعدة، فازت ألمانيا بكأس أوروبا 1996 على حساب تشيكيا وفرنسا على إيطاليا في نهائي البطولة القارية نفسها عام 2000، قبل أن يلغى «الهدف الذهبي» في 2004.

1995: تعميم التبديل الثالث

أصبح إجراء التبديل الثالث خلال المباراة متاحا من دون شروط.

2012: تقنية خط المرمى

اعتمدت تقنية خط المرمى من أجل تحديد إذا الكرة تجاوزت الخط من عدمه.

2016: الفار

تم اعتماد تقنية المساعدة بالفيديو خلال الدور نصف النهائي لكأس العالم للأندية للمرة الأولى على سبيل التجربة. وبعد تصديق مجلس الاتحاد الدولي لكرة القدم (إيفاب) عليها، اعتمدت التقنية رسميا في كأس العالم 2018 في روسيا.

2018: تبديل رابع بشرط

تم السماح بالتبديل الرابع ولكن فقط في حال امتدت المباراة إلى الوقت الإضافي. اعتمدت القاعدة للمرة الأولى في مونديال 2018.

2020: خمسة تبديلات

من أجل مساعدة المنافسات المعلقة بسبب فيروس «كوفيد–19»، يرجح أن يسمح «إيفاب» بإجراء خمسة تبديلات في الوقت الأصلي، وسادس في فترة التمديد.

هل يسير برشلونة نحو الافلاس؟

عندما تنشر شركة «ديلويت» المتخصصة تقريرها السنوي عن مداخيل أندية كرة القدم في العالم، فان نادي برشلونة يكون عادة بين الثلاثة الأوائل، بل تصدر في تقرير العام الماضي الأندية بمداخيل شارفت مليار يورو، لكن على ما يبدو ان الأزمات المادية تنهش الادارة الكتالونية بقسوة هذه الأيام إلى درجة أن يخشى اعلانها الافلاس.

نعم الافلاس، والى هذه الدرجة أوصلت ادارة الرئيس الحالي جوزيه ماريا بارتوميو وضع النادي، بعد سلسلة من الاخفاقات والكوارث وسوء الادارة، وجاءت أبرز المؤشرات حتى قبل أزمة فيروس كورونا، وتحديداً عندما فشل في ضم مهاجم خلال الانتقالات الشتوية الماضية، ولم يستطع ايجاد مبلغ لاقناع بلنسية للتخلي عن مهاجمه الموهوب رودريغو موريتو، قبل ان تتعقد الامور بصورة كوميدية بعد اصابة لويس سواريز، ليضطر للحصول على استثناء في نهاية شهر فبراير لضم مارتن بريثويت بـ16 مليون يورو من المكافح ليغانيس خارج نافذة الانتقال، وهو ما استطاعت أمواله أن تجنيه، رغم المداخيل الهائلة العام الماضي والتي يرجع الفضل فيها إلى حصوله على ترخيص بيع منتوجاته داخل «كامب نو»، والى ارتفاع المداخيل من حقوق البث التلفزيوني، ليكون العام الأفضل على الاطلاق من جهة المداخيل.

لكن مشروع «فضاء برشلونة» الذي يقضي باعادة ترميم واصلاح استاد «كامب نو»، والذي سيرفع عدد الجماهير من 99 ألفا إلى 105 آلاف، بدأ يقضم من ميزانية النادي، وارتفعت قيمة أشغاله من 600 مليون يورو إلى 685 مليوناً، وسيتأخر تسليمه عامين، وليس قبل 2023، وهو ما سيقود إلى عجز في الموازنة لبين 10 و15 عاماً. علما ان في التقارير المالية للنادي لموسم 2017–2018 ذكر ان تكلفة الترميم ستكون 72 مليون يورو فقط.

وفي عام 2017 بدأت أزمة مالية جديدة، بدت وكأنها مدخول قياسي، عندما رحل النجم البرازيلي نيمار إلى باريس سان جيرمان بقيمة قياسية بلغت 222 مليون يورو، لكن النادي دفع أكثر من 260 مليوناً لتعويض رحيله، بضم لاعبين مخيبين، فيليب كوتينيو وعثمان ديمبيلي، وكلاهما اليوم على وشك الرحيل بأقل بكثير من قيمة شرائهما. ولأن الخيبة تجر الخيبة، فانه منذ قدوم بارتوميو رئيساً للنادي في 2015، أنفق برشلونة أكثر من مليار يورو على ضم 27 لاعباً، بقي 10 منهم اليوم فقط في الفريق، ومنهم لاعبان فقط يعتبران أساسيين، وهما انطوان غريزمان وفرينكي دي يونغ. أما البقية فرحلوا أو أعيروا أو فشلوا في التأقلم وحجز مقعد أساسي في الفريق، ومنهم الكاسر واردا توران وميلو وبواتينغ وفيدال والحارس سيليسن وباولينيو ومينا وأومتيتي وغيرهم الكثير، ليعكس الاخفاق في التخطيط الممتد من خيبة الادارة، لتتكبد خزينة النادي خسائر فادحة، قادته إلى اصدار سندات في 4 مناسبات على مدار العام ونصف العام الماضيين بأكثر من 200 مليون يورو، لتعويض العجز. تلقائياً تأثرت نتائج الفريق رغم احراز بعض الألقاب كالدوري والكأس المحليين، لكنه ظل بعيداً عن اللقب الأوروبي الاهم، والأنكى عدم القدرة على بناء جيل جديد من المواهب لقيادة الفريق في السنوات المقبلة، ما دام الاعتماد يبقى على الخارق ليونيل ميسي وأصحاب الخبرة بيكيه وبوسكيتس والبا وسواريز، وكبار السن مثل راكيتيتش وفيدال.

مشكلة أخرى تعانيها الادارة، هي الرواتب العالية لموظفي النادي، من لاعبين وادارريين، بلغت 575.8 عن الموسم الماضي، وهي الأعلى بين كل أندية العالم، وتقضم 69 % من مداخيل النادي، خصوصاً بوجود النجم الاكبر ميسي يراتب يقدر بـ586 ألف يورو أسبوعياً. والمقلق أكثر أن النادي اضطر إلى الابقاء على النجوم أصحاب الرواتب المرتفعة (ميسي وبيكيه وبوسكيتس وغيرهم)، للابقاء على فرص الفريق في التنافس، وبيع الواعدين واعارتهم، ليبقى على أماله في بناء مستقبل للنادي على دي يونغ وفاتي وألينيا، ما يعني أنه سيضطر إلى صرف المزيد على ضم نجوم جاهزين لسد الهوة في الاعمار، والبقاء في أجواء المنافسة، وهو ما تشكو منه الادارة الحالية. فنجم مثل نيمار يتوسل للعودة حتى ولو بنصف راتبه الحالي، ولا تستطيع ادارة بارتوميو حتى التفاوض بشكل جدي لضمه، بل أنها أرجأت المفاوضات مع لاعبين مهمين على تمديد عقودهم، مثل الحارس تيرشتيغن. واليوم يرزح النادي تحت رحمة جائحة كورونا، وغامر باجبار لاعبيه على التنازل عن 70 % من رواتبهم وأكثر، في محاولة يائسة لانقاذ رؤوس وموز الادارة المفككة أصلاً، قبل أن تعلن ادارة النادي العريق انها على وشك الافلاس في أكثر من صعيد.

@khaldounElcheik

مجتمع

لم يصدر أي تشريع بعد 2011 يُحسِن أوضاع المرأة

دراسة عن المرأة وسوق العمل في ليبيا واقع وتحديات

رشيد خشانة

عاملات ليبيات

قد يكون الوضع الاجتماعي للمرأة في ليبيا أكثر عُسرا وقسوة من وضع النساء في بلدان عربية أخرى. ربما يُعزى ذلك إلى الطابع المحافظ للمجتمع ورسوخ الثقافة البدوية، وسلطة القبيلة في مناطق عدة من البلد. هذا بعض مما كشفت عنه دراسة اجتماعية، بعنوان «المرأة وسوق العمل في ليبيا: واقع وتحديات» أنجزها الباحث الليبي محمد تنتوش والباحثة هالة بوقعيقيص، وقد وضعت الأصبع على أسباب أخرى لتهميش المرأة. ومن بين تلك الأسباب، الانقسامات السياسية وغياب الأمن عن سوق العمل، وغياب المشاريع الاستثمارية، ما أدى إلى ارتفاع نسب البطالة، وأثر بصورة خاصة، في عمل المرأة.

واعتمد الباحثان في إعداد الدراسة على عدد من المقابلات مع صاحبات مشاريع وعاملات في القطاع الخاص، ومديرات في المصارف والجهات الحكومية والخاصة، بالإضافة لمقابلات معمقة شملت عضوا في البرلمان ووكيلة وزارة سابقة، لفهم المعوقات التي أدت إلى تراجع مشاركة المرأة بين القوى العاملة.

شح المعلومات وقلة البيانات

أتت الدراسة ثمرة للتعاون بين مركز «جسور» للدراسات والتنمية في مجال تعزيز المساواة بين الجنسين ومؤسسة «فريدريش ايبرت» الألمانية، وألقت الضوء على أهم الجوانب المتعلقة بالمرأة في سوق العمل، بالرغم من قلة المعلومات والبيانات، وخاصة منها المتعلقة بالقطاع الخاص.

وقال الباحثان إن الدراسة ترمي إلى فهم واقع المرأة في سوق العمل الليبية، واستعراض أهم التحديات التي تواجهها، بالإضافة إلى معرفة المعوقات التي تُعطل مساهمتها بشكل فعال في سوق العمل. وتتبعت الدراسة بشكل دقيق، العوامل التي تقف وراء تعرُّض النساء للتمييز بأشكاله المختلفة «على الرغم من خروجهن إلى سوق العمل بدوافع اقتصادية واجتماعية». ويُقرُّ مُحررا الدراسة بأن الدولة سنت تشريعات ووضعت سياسات لدعم المرأة بعد استقلال ليبيا، في منتصف القرن الماضي، غير أن تلك الجهود «لم تساهم في تحسين وضعها الفعلي كقوة عاملة». أكثر من ذلك، لم يترجم التقدم الكبير، الذي أحرزته المرأة في المجالات التعليمية بتحسن مماثل في مكانتها في سوق العمل، إذ أن المرأة تغدو، في غالبية الأحيان، عاطلة عن العمل أو تضطر للقبول بوظائف إدارية وخدمية ذات طابع تنفيذي، دون مستواها، ولا تتلاءم مع مهارتها وتحصيلها العلمي.

شريكة الرجل

يؤكد الباحثان أن تأمين البيئة المشجعة والفرص الملائمة للنساء في العمل ليس من الكماليات، وإنما هو ضرورة لتحقيق الرخاء الاقتصادي والتنمية المستدامة. وفي هذا السياق شددت الدراسة على أن تمكين المرأة اقتصاديا، «لا يقتصر على كونها نصف المجتمع أو عاملا يهدد ركودُ الاقتصاد في مجمله، وإنما هو استكمال طبيعي لدورها الأساسي عبر التاريخ، كشريكة للرجل في كل معاملاته. فالمرأة الليبية بحضورها البارز في جميع المجالات، من صناعات تقليدية ويدوية وزراعة، كافحت لتنتزع حقوقها التي مارستها، مثلما مُنحت لها بالقانون».

واستدل الباحثان على مكانة المرأة ببعض الأمثلة من مناطق مختلفة، من بينها الجبل الأخضر حيث شاع أن تُدعى المرأة والأم والزوجة، بالـ«نَفّاقة» (بفتح النون وشد الفاء) من الإنفاق، وهي دلالة على دورها الأساسي في إدارة الشؤون المالية للمنزل. كما أنها لم تكتف بالأعمال المنزلية وصناعة المنسوجات وحسب، بل شاركت الرجل أعمال الزراعة، وعملت في الحقول والمراعي، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال عديد القصص المنسية في التراث الليبي، التي ترعى بطلاتُها الأغنام وتحارب الشر في الأرياف.

وفي غرب البلاد شاركت النساء، بالإضافة للعمل في الحقول والمزارع، بالعمل في النسيج. فقد أبرزت دراسة نشرت على موقع «تاولت» حول صناعة النسيج في جبل نفوسة، أنها كانت تعتمد بشكل أساسي على النساء والفتيات. وتم تقدير عدد النساء العاملات في هذا القطاع في حقبة الماضي، تزايد إقبال المرأة على من الزمن بحوالي 30.000 عاملة. التحصيل العلمي، مدعومة بحرص وعلى الرغم من أن صناعة النسيج المجتمع على تعليمها، وعلى عملها لم تكن الأساسية لسكان المنطقة، في الوظائف المختلفة، للمساهمة إلا إن المرأة كانت تعتمد عليها، في تخفيف الاعباء المالية عن رب بوصفها مهنة ترتزق منها، في الأسرة. وهكذا واكبت المرأة في حالة وفاة رب الأسرة أو المُعيل. ليبيا مراحل تطور البلد، وشاركت غير أن الباحثين غفلا عن عنصر فيها من خلال التحصيل والبحث اجتماعي مهم، يُفسر المكاسب التي العلمي والعمل الثقافي والمدني، تتمتع بها النساء في منطقة الجبل وكانت حاضرة في سوق العمل، الغربي، وهو أن سكان غالبية القرى جنبا إلى جنب مع الرجل، كموظفة في الجبل هم من الأمازيغ، الذين ومنتجة وصاحبة مشاريع، على يتسم نظامهم الاجتماعي بالانفتاح، الرغم من كل الظروف والعوامل ويمنح دورا محوريا للمرأة في التي كانت تحد من مشاركتها الأسرة والمجتمع على السواء. الكاملة في عملية التنمية.

قفزة نوعية

مثلما ذكرت الدراسة، شكل سن الدستور في 1951 «قفزة نوعية في تاريخ المرأة الليبية، إذ فرض إلزامية التعليم الأساسي، ما منح الكثير من النساء فرصاً أكثر للتحصيل العلمي، وأتاح لهن بالنتيجة، الانخراط في العمل في مجالات مختلفة. كما قدّم للمرأة أيضاً المساواة في العمل، فتبعته نهضة نوعية في سوق العمل الليبي» على ما جاء في الدراسة.

من جهة أخرى دفعت الأزمات الأحدث، وهناك قطاع وحيد تشكل فيه النساء غالبية القوة العاملة (أي ما يزيد عن 50 في المئة) وهو فرع المهن العلمية. أما في بقية القطاعات فتراوح نسبة تمثيل النساء فيها، بين 3.5 في المئة و21 في المئة، بما في ذلك الادارة والزراعة والخدما ت والصناعة والتجارة.

غياب الرؤية

مع أن ليبيا مرت بمرحلة انتقالية هامة في أعقاب انتفاضة 17 شباط/ فبراير 2011 لم يُحدث ذلك أي تحسن في وضع المرأة العاملة في السنوات التي تلت الانتفاضة. وعزا الباحثان هذا الوضع إلى غياب أي استراتيجيا أو رؤية لتحسين وضع المرأة وتعزيز مكانتها في الاقتصاد. ومثلما أثرت الانقسامات السياسية وغياب الأمن في سوق العمل، أدت الأزمة الاقتصادية وتوابعها إلى غياب المشاريع الجديدة، وارتفاع نسب البطالة، وبذلك تم اجبارها، في أفضل الأحوال، على العمل في البيت، أو في شركات غير رسمية، من دون أي حماية أو ضمانات قانونية.

تطرقت الدراسة أيضا إلى حق المرأة في امتلاك الأصول من الأراضي وغيرها، وإدارتها والتحكم فيها، فأظهرت أن «التقاليد الاجتماعية تشكل في أغلب الأحيان عائقا أمام تمتّعها بهذا الحق». ويقدر عدد النساء اللواتي يمتلكن الأرض 12 في المئة، وفقا لمؤشر منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية.

في المقابل تتمتع النساء، نظريا، بالحق في الوصول إلى الخدمات المالية، بما في ذلك القروض المصرفية، كما أن لهن الحق في الدخول في أشكال مختلفة من العقود المالية. وعلى الرغم من هذا تصل نسبة النساء اللواتي يمتلكن مدخرات شخصية إلى 34 في المئة، مقابل 59 في المئة ممن لا يمتلكن مدخرات، حسب استبيان قامت به المؤسسة الدولية للنظم الانتخابية عام 2013.

جهود المجتمع المدني

شكا الباحثان أيضا من عدم وجود البيانات الرسمية عن مشاركة المرأة في القوة العاملة، بعد عام 2015 ما يُشكل عائقا أساسيا أمام فهم العوامل التي تؤثر في وضعها في هذه الظروف الاستثنائية. وبفضل جهود بعض منظمات المجتمع المدني المحلية تم تسليط الضوء على إشكالية الاقتصاد الموازي ولا سيما في الأزمة الحالية. كما توجد بعض التقارير المتنوعة حول المرأة الليبية ومساهمتها في الاقتصاد غير الرسمي، من خلال تنظيم المشاريع وكذلك إقامة المؤسسات صغيرة ومتوسطة الحجم. ويؤمل أن يدعم هذا التقرير حراك النقابات العمالية ومؤسسات المجتمع المدني والجهات ذات العلاقة، للعمل على إنجاز دراسات معمقة وشاملة تساهم في تحسين أوضاع المرأة العاملة في ليبيا وتعزيز دورها في الحركة الاقتصادية والاجتماعية.

أطباق رمضانية

القدرة

المكوّنات

2 كيلو لحم غنم مقطع
4 أكواب أرز بسمتي منقوع
رأس ثوم مقشر نصفها ناعم ونصفها حب صحيح
رأس بصل مفروم ناعم
كوب حمص حب مسلوق
4 ملاعق كبيرة سمنة بلدية ونصف كوب زيت
ورق غار لسلق اللحمة
مكسرات ولحمة مفرومة مطبوخة للتزين
بهارات القدرة:
ملح وبهار مشكل وقرفة، كبش قرنفل، كزبرة ناشفة، هال حب، كركم، كاري، فلفل أسود

طريقة التحضير

نتبل اللحمة الشقف بقليل من البهارات ونقلبها جيدا ونضع ورق الغار ونضع الزيت والسمن في القدر.
نضيف البصل الناعم وفصوص الثوم الصحيحة ونقلب جيدا.
نضع اللحمة ونقلبها لمدة خمس دقائق حتى يتغير لونها ثم نضيف الماء المغلي على اللحمة ونتركها حتى تستوي جيدا.
نتبل الأرز بباقي التتبيلة ونضيف الثوم الناعم والحمص ونخلط جيدا.
طريقة تقديم القدرة:
نسكب مرقة اللحم على الأرز بهدوء حتى يتغطى بالمرق ونضعه على النار حتى يغلي ويبقى على نار هادئة جدا حتى النضج وجفاف المرق في القدر، سنلاحظ ان اللحم سيظهر قليلا على الوجه.
تقدم القدرة وعلى وجهها اللحمة والمكسرات واللحمة المفرومة وتقدم مع اللبن والسلطة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

شرب العصائر

ربما تعتقد أن شرب عصائر الفاكهة مفيد للصحة، وأن سكر الفاكهة يساعد على خسارة الوزن، غير أن هذه المعلومات غير دقيقة، فقد تبين أن العصائر لا تختلف عن المشروبات الغازية. إليك أهم الأسباب للتوقف أو تخفيف شرب العصائر.

عصائر الفاكهة ليست أفضل بكثير من المشروبات الغازية، التي أشبه ما تكون بقنابل من السكر. غير أن العصير أيضاً قد يكون غير صحي من حيث نسبة السكر والسعرات الحرارية، حتى وإن تم التسويق للعصائر على أنها مقويات ومصدر للفيتامينات. وينصح الخبراء بتقليل شرب العصائر للأسباب التالية:

تحتوي العصائر على الكثير من السعرات الحرارية مثل المشروبات الغازية، فإذا كنت ترغب بفقدان الوزن لن تحصل على النتيجة المرجوة؛ إذ لا فرق بين العصائر والمشروبات الغازية، حتى أن نسبة السكر في العصائر المحلاة قد تكون أكثر.

عند شرب كوب من عصير البرتقال المحلى الجاهز، يرتفع مستوى السكر في الدم، ثم ينخفض بسرعة كبيرة الأمر الذي ينتهي غالباً بنوبة من الجوع. لذا إذا كنت ترغب بفقدان الوزن، تجنب العصائر، حسب ما ذكره موقع «مانز هيلث».

ولكن من ناحية أخرى، العصائر الطازجة المحضرة في المنزل أفضل من حيث الفيتامينات والعناصر الغذائية.

من وجهة نظر غذائية، لا يمكن استبدال تفاحة أو حبة كيوي بالعصير؛ إذ إن تحضير العصائر يعرضها لضغط وحرارة عالية مما يفقدها العديد من الفوائد، فالفيتامينات حساسة للحرارة وتفقد قيمتها عند تعرضها للحرارة.

كما أن العديد من الفيتامينات توجد تحت القشرة التي تهمل خلال العصر، إضافة إلى الألياف التي تتغير خلال ذلك. فضلاً عن ذلك يضر العصير المحلى الأسنان حيث يهاجم مينا الأسنان، حسب ما نشره موقع «ويب 24 نيوز» الأمريكي.

ونظراً لنسبة السكر الكبيرة في العصائر فقد يزيد من خطر الإصابة بمرض السكري، حسب دراسة أجرتها كلية هارفارد الأمريكية للصحة العامة.

امساكية شهر رمضان

المدينة	الفجر	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
مكة	4.22	5.42	12.19	15.38	18.52	20.07
المدينة	4.15	5.38	12.20	15.46	18.58	20.15
فلسطين	3.12	4.43	11.37	15.17	18.28	19.53
أبوظبي	4.16	5.39	12.21	15.47	18.59	20.16
المنامة	3.27	4.51	11.36	15.05	18.17	19.36
الجزائر	4.02	5.42	12.46	16.34	19.47	21.20
الخرطوم	5.03	6.19	12.48	16.01	19.13	20.24
الكويت	3.28	4.56	11.46	15.22	18.33	19.55
الرباط	3.52	5.27	12.26	16.09	19.20	20.49
الرياض	3.46	5.09	11.51	15.18	18.30	19.47
الدوحة	3.26	4.49	11.32	15.00	18.11	19.29
القاهرة	3.33	5.02	11.53	15.30	18.41	20.04
بيروت	3.03	4.38	11.36	15.20	18.31	19.59
بغداد	3.30	5.03	12.01	15.43	18.54	20.22
تونس	3.33	5.13	12.18	16.06	19.18	20.51
جيبوتي	4.28	5.42	12.06	15.23	18.25	19.35
دمشق	3.02	4.35	11.33	15.16	18.27	19.55
دبي	4.12	5.35	12.18	15.45	18.57	20.14
صنعاء	4.17	5.33	12.01	15.14	18.26	19.37
طرابلس	3.36	5.09	12.05	15.47	18.58	20.25
عمان	4.08	5.40	12.34	16.15	19.25	20.51
مسقط	4.02	5.24	12.05	15.28	18.41	19.58
مقديشيو	4.34	5.46	11.57	15.19	18.04	19.11
نواكشوط	5.12	6.30	13.02	16.13	19.31	20.43
انقرة	2.48	4.35	11.47	15.40	18.54	20.34
طهران	3.23	5.00	12.03	15.49	19.01	20.32
أثينا	3.34	5.16	12.23	16.14	19.27	21.02
برلين	2.22	4.15	12.05	16.15	19.51	21.25
بروكسل	3.02	4.57	12.41	16.49	20.20	22.07
باريس	3.14	5.12	12.49	16.54	20.21	22.11
جنيف	3.04	5.06	12.34	16.36	19.58	21.51
روما	2.59	4.52	12.08	16.04	19.21	21.05
سراييفو	2.24	4.23	11.45	15.44	19.02	20.53
ستوكهولم	1.45	3.22	11.46	16.05	20.06	21.36
كوبنهاغن	2.18	4.04	12.08	16.22	20.08	21.46
لندن	2.19	4.13	11.59	16.08	19.41	21.27
مدريد	4.12	6.00	13.13	17.07	20.22	22.03
نيقوسيا	3.07	4.44	11.45	15.31	18.42	20.12
واشنطن	3.13	4.57	12.06	15.58	19.12	20.49
أوتاوا	2.32	4.35	12.01	16.02	19.23	21.17

* تقويم المركز الاسلامي في آخن - ألمانيا. ** يرجى مراعاة التوقيت الصيفي.

جديد الطب

دواء ثلاثي مضاد للفيروسات يظهر علامات مبشرة مبكرة في تجربة لعلاج كوفيد – 19

أشارت نتائج تجربة صغيرة جرت في هونغ كونغ إن توليفة من ثلاثة عقارات مضادة للفيروسات ساعدت في تخفيف الأعراض لدى المصابين بحالات بين خفيفة إلى معتدلة من مرض كوفيد–19 وقلل بسرعة كمية الفيروس في أجسامهم.

وقارنت تلك التجربة التي شملت 12 مريضا بين من تم إعطاؤهم الدواء المركب من دواء لوبينافير/ريتونافير الذي يستخدم في علاج مرض نقص المناعة المكتسبة ودواء ريبافيرين المستخدم في علاج التهاب الكبد الوبائي ودواء إنترفيرون بيتا المستخدم في علاج التصلب المتعدد ومجموعة تحكم تم إعطاؤها دواء نقص المناعة المكتسبة فقط.

ونشرت النتائج في دورية لانسيت الطبية وأظهرت أن الأشخاص الذين حصلوا على الدواء المركب وصلوا إلى نقطة عدم اكتشاف الفيروس في أجسامهم قبل المشاركين في مجموعة التحكم بخمسة أيام أي بواقع سبعة أيام مقابل 12 يوما. وقال كوك يونغ يوين الاستاذ في جامعة هونغ كونغ والذي شارك في رئاسة البحث إن «تجربتنا تظهر أن العلاج المبدئي لحالات كوفيد–19 التي تراوحت بين خفيفة ومتوسطة بالأدوية المضادة للفيروسات ربما يعجل بكبح كمية الفيروس في جسم المريض وتخفيف الأعراض وتقليص الخطر على العاملين في مجال الرعاية الصحية». وأضاف إن تقليص الخطر على العاملين في مجال الصحة سيكون راجعا إلى تأثير هذه التوليفة الثلاثية على «الفرز الفيروسي» الذي يحدث عندما يكون بالإمكان اكتشاف الفيروس واحتمال امكانية نقله.

ماذا لو فشل العلماء في تطوير لقاح ضد فيروس كورونا؟

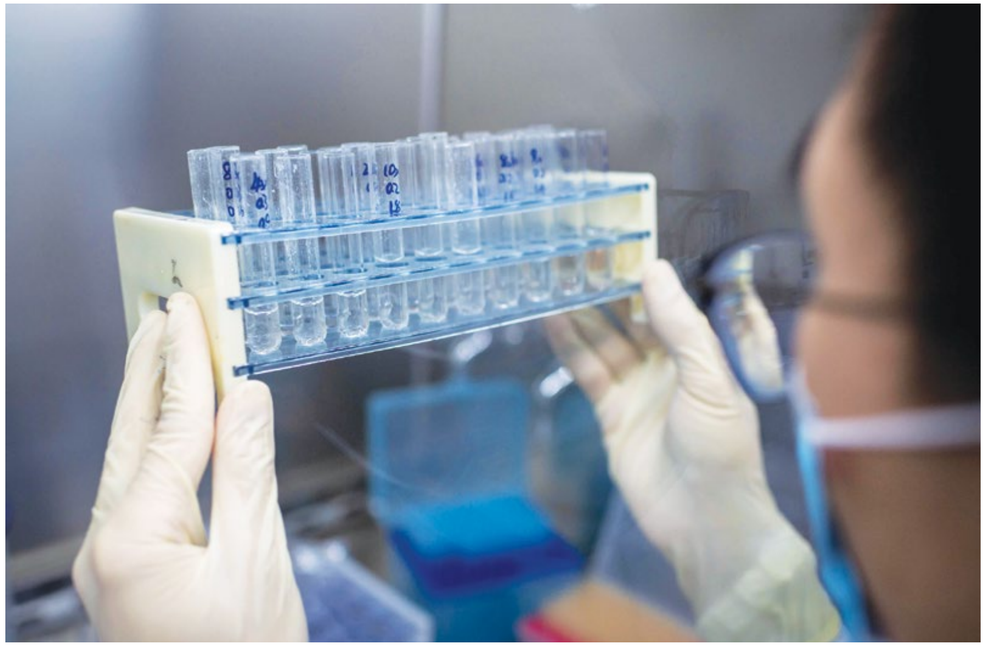

سباق عالمي محموم على تطوير لقاح مضاد لفيروس كورونا المستجد، يغذي آمال الملايين في انقضاء سريع للأزمة، لكن ماذا لو عجز العلماء فعلا عن الوصول لهذا الهدف؟ وإذا حدث ذلك فلن تكون المرة الأولى.

ملايين البشر حول العالم يأملون بشدة في أن يتوصل الخبراء سريعاً إلى إيجاد لقاح ضد فيروس كورونا المستجد الذي شلّ حركة البشرية. وقد انطلق بالفعل سباق دولي محموم بين شركات الأدوية الكبرى، بل وبين الدول لتحقيق هذا الهدف، وهناك خمسة لقاحات من بين 80 محاولة نجحت بالفعل في الدخول إلى مرحلة الاختبارات السريرية. وبات معلومًا أنه إذا مرّت التجارب على أكمل وجه فإن اللقاح سيكون جاهزا في غضون سنة أو سنتين.

التشديد هنا على أن تتم الأمور على أكمل وجه. عدا ذلك فالكل متوّقع، بمن في ذلك فشل الأطباء في إيجاد اللقاح المنشود.

البروفيسور ديفيد نافارو، مدير قسم الصحة العالمية في جامعة «إيمبيريال كوليج» في العاصمة البريطانية لندن، يُذكر مشاهديه في حوار أجراه مع شبكة «سي إن إن» بوجود «العديد من الفيروسات التي لم ينجح الإنسان بعد في تطوير لقاحات ضدها» ومن غير المستبعد أيضا انضمام «كوفيد–19 إلى قائمة هذه الفيروسات، «فلا توجد أي ضمانات بأننا سننجح فعلا في تطوير اللقاح، أو أن اللقاحات الخاضعة للتجارب في الوقت الراهن فعّالة ولن تتسبب في أعراض جانبية خطيرة» يقول الخبير.

كلام «مدمر» بالفعل ليس بالنسبة للملايين الخاضعين للحجر الصحي منذ أسابيع سواء في دول أوروبا أو آسيا أو افريقيا فحسب، بل حتى بالنسبة لرؤساء الدول والمؤسسات الكبرى، فالعالم كله ينتظر اللقاح الذي بات الحل الوحيد لمواجهة بطش فيروس لا تراه العين المجردة.

ويعود ديفيد نافارو في حواره مع «سي إن إن» لتذكير العالم بأن قصة الخبراء مع الفيروسات ليست دائما موفقة، بدليل لقاح ضد مرض المناعة المكتسب «الإيدز» الذي انتشر في ثمانينيات القرن الماضي وإلى اليوم لا يوجد له لقاح. كذلك الشأن بالنسبة لحمى الضنك والتي تقول شبكة «سي إن إن» أن 400 ألف حول العالم يصابون بها سنويا.

الفيروسات الأنفية أو الغذائية تتسبب في أعراض مشابهة لأعراض فيروسات كورونا المسببة لنزلات البرد، وهي الأخرى عجز الإنسان عن تطوير لقاح ضدها.

ماذا يعني ذلك بالنسبة لـ«كوفيد 19»؟

بالنسبة للعلماء، هناك سيناريوهان لا ثالث لهما من دون لقاح. تطوير دواء فعّال ضد المرض أو العيش بالفيروس ومع الفيروس، بكل ما يعني ذلك من مخاطر على حياة الآلاف من البشر. بيد أن التعايش مع المرض يعني أيضا أن الإنسان سيكتسب أيضا معارف إضافية عنه، كما حدث مع الإيدز.

فتطور مرض المناعة المكتسب في العقود الأخيرة يمنح قدرًا من التفاؤل. فهذا المرض كان قاتلا عند ظهوره، أما اليوم فيمكن للمصاب به مزاولة حياته بشكل طبيعي، بل إن العام الماضي شهد تعافي مريض في بريطانيا في سابقة تاريخيّة.

ومنذ ظهور وباء كورونا المستجد نهاية العام الماضي في سوق للحيوانات البحرية في مدينة ووهان الصينية إلى يومنا هذا، توصل الخبراء إلى كمية معارف وحقائق عن الفيروس بوتيرة قياسية لم تسجل مع الفيروسات الأخرى.

كما أنه تمّ اعتماد عدد من الأدوية على غرار عقار إيبولا «ريمديسفير» في الولايات المتحدة أو عقار الملاريا «كلوروكين» في فرنسا ودول شمال افريقيا وغيرها. ولا شك أن هناك الكثير من علامات الاستفهام حول مدى فعالية هذه الأدوية، لكن هناك من يعتبرها أولى الخطوات في رحلة الألف ميل.

(Dw)

«إتنين في الصندوق» وصفة سحرية للضحك والبكاء معاً

كمال القاضي

في زحمة الدراما الرمضانية واختلاط الكوميدي بالتراجيدي بالاجتماعي، الصدفة وحدها هي ما تقود الجمهور لاكتشاف الفارق والمتميز في لعبة السباق المحموم الذي يبدأ من بعد مدفع الإفطار مباشرة ويظل مستمرا إلى صباح اليوم التالي، حيث الإعادة والتكرار إلى درجة التشبع الكامل وعدم القدرة على هضم المزيد من المسلسلات والبرامج والمسابقات والافيهات.

القليل من الأعمال المتوالية والمعروضة في أوقات متقاربة هو ما يعلق في الذهن، لا سيما إذا كان من النوع الكوميدي المستساغ والهادف، وتلك ميزة لا تتوافر إلا في الحالات الدرامية الاستثنائية، ولهذا فالوقوف عندها والعناية بقراءتها في ضوء ما تتضمنه من جديد ومختلف أمر بديهي وضرورة يستوجبها التقييم والتذوق.

للعام الثاني على التوالي يستحوذ عدد من النجوم الشباب على الجزء الأكبر من كعكة رمضان الغنية ويمثلون محور الارتكاز في العملية التنافسية على مستوى الرهان، وقد بات ظهور فنانين مثل علي ربيع ومحمد عبد الرحمن وويزو وكريم عفيفي ومصطفى خاطر وشيماء سيف من ثوابت الموسم السنوي الكبير، وعلى أثر ردة الفعل الجماهيرية إزاء ما يقدمونه وصلت معدلات المنافسة إلى أقصاها وبات كبار النجوم يستعينون بهم لتسويق أعمالهم وضمان نجاحها.

لكن هناك أيضاً تجارب خاصة بهم يشغل فيها الممثلون المحترفون حيزاً كبيراً من دون أن تُسند إليهم أدوار البطولة بالكامل، ولعل المثال القريب على ذلك مسلسل «إتنين في الصندوق» للنجمين الشابين حمدي الميرغني ومحمد أسامة، وهما ثنائي كوميدي ناجح يتم الاعتماد عليهما بشكل أساسي في المعالجة الجديدة اللافتة إلى عمال النظافة بواقعهم وحياتهم ومشكلاتهم داخل عالمهم الخفي والمسمى مجازاً بمجتمع الزبالين وفق التسمية الشعبية الدارجة.

يقدم المسلسل لأول مره على الشاشة الصغيرة حكايات وشخصيات وصراعات داخل دوائر ضيقة تُفضي إلى معاني كبيرة، وعبر زوايا نوعية مختلفة تكشف الرؤية الإنسانية المغلفة بالغطاء الكوميدي عن مآسي وأحزان وبؤس قطاع كبير من البشر، غير أنها تفجر أيضاً مفاجآت من العيار الثقيل عن خفايا وخبايا المجتمع التحتي. ولأن أقسى الهموم هو ما يفجر السخرية فقد اتسمت الحلقات التي تم عرضها بالمسحة الكوميدية الساخرة في محاولة مقصودة لاستغلال مواهب الفنان صلاح عبد الله وتفعيلها لدعم الفكرة الرئيسية القائمة على تضمين الأحداث للكثير من القضايا المصيرية المتصلة بواقع فئة سكانية تعيش على الهامش وتغلق على أوجاعها وهمومها أبواب التساؤل والاستفسار.

المواقف الدرامية المُصاغة في المسلسل يرمز أغلبها إلى الأبعاد الغائبة عن اهتمام الهيئات والمؤسسات والوعي الجمعي للمجتمع المأزوم والمشغول طوال الوقت بأولويات يراها الكثيرون أكبر من تفاصيل أولئك الهامشيين العائشين على ضفاف الحياة، غير المكترثين بما هو أكبر من طموحهم وأحلامهم، كما أن الإشارات الكوميدية العابرة الواردة في بعض المشاهد هي في واقع الحال صور ضوئية مُجسدة للأزمات النفسية الناتجة عن الاختناق الاقتصادي وضيق ذات اليد وترجمة تراجيدية لما يدور داخل مجتمع الزبالين بكافة خصوصياته وأدق تفاصيله، فالمعارك الدائرة في الحواري والأزقة والبؤر العشوائية على أتفه الأسباب ليست إلا تفسيراً منطقياً للأزمات الطاحنة، فما هو مُضحك ومُعْرق في السخرية هو في الأصل مُبكي ومؤلم وبالغ الحزن.

الجديد والمهم في مسلسل «إتنين في الصندوق» للكاتب لؤي السيد والمخرجان محمد مصطفى وأحمد عزب، هو ذلك التعادل العبقري في النوع الدرامي الخاص بين ما يُثير الشفقة وما يُضحك إلى حد البكاء، إذ لا يُشكل الجمع بين النقيضين غير مفارقات تتميز فيها الأشياء بأضدادها ونقائضها وهو سر الصنعة في العمل الكوميدي التراجيدي المغاير، والمطروح باعتباره وصفة رمضانية خفيفة للتسلية والتسرية، بينما هو في الحقيقة حاوية كبيرة لأوجاع الفقراء المشار إليهم بنماذج من عمال النظافة كعينات من طبقة سميكة وطنت نفسها على المعايشة مع المشكلات مهما كان وقعها، فهي تقتنص لحظات الفرح في أحلك أوقات الضجر.

صلاح عبد الله وحمدي الميرغني ومحمد أسامة ثلاثي شديد الإقناع في الأداء الملتبس المراوغ، ما بين قمة السعادة وقمة البؤس وهي المنطقة الصعبة في دور كل منهم، فالحالة مركبة ومتداخلة وتحتاج لقدرة استيعابية خاصة في التعامل معها بما يليق بالشكل والمضمون والمعنى والرسالة المستهدفة.

الفيلق الثقافي لصفقة القرن انطلق نشيطاً

غسل العقول هدف سياسي يصطدم بالضمير

انطوان غندور

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

العاملون بثبات لتطويع الوعي العربي وإقناعه بأن شعب فلسطين باعَ أرضه للصهاينة ويستحق الطرد منها، يعمنون في تزوير الحقائق بشتى السبل وخاصة في الدراما التلفزيونية التي تدخل كل بيت. وهؤلاء المجندون لغسل الأدمغة تنفيذاً لقرار سياسي يشبهون من آذاب ضميره في الأسيد. ففي موسم الدراما الرمضانية الحالي بدا وكأن دور الفيلق الثقافي من صفقة القرن قد حان ليلعب على المكشوف وصولد. فالتبصر في تلك الأعمال الدرامية يستخلص أن المعادلة الجلية المراد تسويقها تتمثل في مقولة «شعب يهودي هُجِّر من الدول العربية مقابل شعب فلسطيني هُجِّر من فلسطين».

بموازاة تلك المسلسلات الخبيثة اشتعلت وسائط التواصل الاجتماعي بالتعبير المستنكر والرافض لهذا التطبيع، ولهذا الانسياق المطلق خلف الأهداف الصهيونية الأمريكية. ففي كل مفصل تكون فيه فلسطين في المواجهة نجد الوجدان العربي العام بالمرصاد مدافعاً عن الحقوق المشروعة لشعبها في الشتات، والمضطهد في أراضيه المحتلة. لهذا نراه قد رحب بشخصية «أم عطا» في مسلسل «حارس القدس» واستنكر شخصية «أم هارون» في المسلسل الخليجي. واستفزه كمُّ التجريح الذي سيق بحق بالشعب الفلسطيني وصولاً للإسفاف في المسلسل «مخرج 7».

في هذا التحقيق سألنا أهل الدراما والتاريخ والنقد عن «أثر الدراما التلفزيونية في غسل العقول؟ وعن قدرتها على تزوير التاريخ في عصر وسائط التواصل الاجتماعي»؟ وكانت البداية مع كاتب السيناريو اللبناني انطوان غندور الذي مُنح جائزة جامعة الدول العربية عن مسلسل تناول حياة الشاعر العراقي المرموق بدر شاكر السياب.

● قال: يمكن للنوايا الخبيثة أن تصل عبر موضوع تاريخي وهو ما نسميه تزويراً للتاريخ. في حين أن صفات كاتب التاريخ يجب أن تتسم بالأمانة. من يكتب سيناريو تلفزيوني يستند بنسبة 70 في المئة إلى القصة الحقيقية، ويتصرف في 30 في المئة المتبقية. وله الحق بتأليف جديد، مع تقديس للفكرة وللمضمون الأساسيين. على سبيل المثال ليس ممكناً تحوير تاريخ الثائر طانيوس شاهين، الذي كان مع حقوق الفلاحين بحيث يصبح يميني الأفكار. من المؤكد أن الدراما تؤثر في عقول المتلقين، فقلة منهم تعرف حقيقة السيناريوهات وخاصة التاريخية. غسل العقول متاح حين يصوب الكاتب في هذا الاتجاه الخبيث. وهذه الأعمال لا تدخل التاريخ الذي يتطلب الصدق. ولا شك بوجود دراما متقنة فنياً وهدفها احترام عقول المتلقين، وأخرى لها أهدافها السياسية المبيتة.

● الكاتب شكري أنيس فاخوري الذي كتب العديد من المسلسلات التاريخية منها «غبطته والشيخ» عن الحرب الأهلية اللبنانية والذي لم يصور بعد، قال:

الدراما عبارة عن قصص اجتماعية واقعية، تتضمن المشاكل والمواقف الإنسانية، ويؤديها بشر مثلنا نعرفهم ويعرفوننا، ومن المؤكد أن لها دور في غسل الأدمغة، ومن هنا خطورتها. فإن قدر لها غسل الأدمغة نحو الشر فهذه مصيبة، وإن حصل باتجاه الخير فهذا جميل جداً. في رأيي للدراما دورها إنما هو ليس بدور ساحر، ففي نهاية المطاف ندرك كمشاهدين أننا حيال تمثيل. قد يعيش المشاهد أجواء الدراما إلى نهايتها من حزن وبكاء. وبمجرد مرور الجنيريك وقراءة إخراج وكتابة وتمثيل يعود المشاهد إلى عالم الواقع وهو تمثيل بتمثيل. كأكثرية تشاهد الدراما ليس لنا علم كبير بحقيقة التاريخ وتفاصيله، وعندها يمكن تزويره وتحويره. فلا سلطة لأحد للوقوف على صدقية النص، وخاصة عندما لا يكون التزوير فاضحاً. على سبيل المثال فإن مشاهد تلفزيونية من لبنان في مواجهة الانتداب الفرنسي لا يجب أن تتضمن ثوّاراً حملوا البنادق وأطلقوا النار. فقد كانت المظاهرة أقصى مظاهر الاعتراض. والتزوير هنا يصبح «مضحكة». أما تقصد تزوير المبهم فسيمر على المشاهدين بسهولة.

● وقالت منى سكرية كاتبة وصحافية لبنانية: ليس جديداً ما نشهده من عروض درامية مرئية يحظى بها شهر رمضان الفضيل في كل عام، أو ما يدور حولها من نقاشات تتراوح وتتفاوت الحدّة والرويّة والموضوعية تجاهها. فالأعمال الدرامية المرئية سواء التاريخية في موضوعاتها أو الاجتماعية، إنما تخضع لأنواع من تفجير الموهبة وتقديم الصورة بالحبكة التي يرغبها كاتب السيناريو والمخرج، واللحظة السياسية الراهنة بكل أبعادها. الأمر الذي يعقبه تفجير لنقاشات الأقلام والعقول والتخاطب حول هذا العمل وذاك. أما بالنسبة إلى الدراما ذات الموضوع التاريخي عن حقبة معينة أو عن بيئة اجتماعية لها ارتباطها بالبعد السياسي – الثقافي– الجغرافي– الديني– العسكري، فإن الفيصل فيها هو تمييز الحق عن الباطل. وهنا تكمُن عقدة كيفية تقديم الهدف من وراء هذا العمل الدرامي من ذاك. وهنا تتلطى النوايا الخفيّة خلف أسلوب التشويق أو التزوير أو الموضوعية. هناك فرق لا يمكن نُكرانَه، بل هو من باب المؤكّد، أن أي عمل درامي مرئي ذو قصة تاريخية لا يُمكن له أن يرتفع إلى مستوى العمل البحثي التأريخي الموثّق و«المنخول» بشتى أنواع المصادر وبطون الكتب والمخطوطات، ما يجعلنا نطرح سؤالاً حول جديّة وحقيقية ما يتطرق إليه هذا العمل الدرامي؟ هذا من ناحية، أما من ناحية الدور المؤثّر لهذا العمل على مستوى غسل العقول فيمكنني وبكل صراحة أن أميّز بين طبقات هذه العقول ونسبة استجابتها لما هو مطروح من واقعة أو خبرية في هذا العمل الدرامي. وسواء تركت عملية التزوير هذه بعضاً من رضوض الكذب والبهتان لدى ضعفاء النفوس وتدني درجات التلقّي العقلي لديهم، فإن تنظيفاً وكنساً لهذه السيناريوات الكاذبة والمزوّرة والمُزوِّرة ما تلبث أن تأخذ طريقها إلى الحضور لنقض ودحض تلك الأكاذيب.

منى سكرية

وأضافت: لا شك أن الأعمال الدرامية المرئية أو سائر ما يُضَخّ على وسائل التواصل الاجتماعي إنما يخضع ويتأثر بالأوضاع السياسية، بل هو الناطق بما ترغب اللحظة السياسية تقديمه دعماً لأدائها أو إدانة لخصمها، ولكن شتّان ما بين قولة حق صادقة وبين ثرثرة ولغو ما يليث أن يتبدّد. هناك شواهد كثيرة على وقائع تاريخية لا يمكن تزويرها ولو حيكت على أرقى المسلسلات الهوليوودية، أو في نُسَخِها العربية الكاريكاتورية –المهزلة، وما فلسطين إلا الشاهد الأقوى والأنصع على الفارق ما بين الحق وتزوير الحقيقة، ما بين يهودي عاش في جنبات المجتمع العربي كسواه وبين يهودي – صهيوني تلمته أيدي المؤامرات القذرة العديدة والمتنوعة دولياً وعربياً –وما تزال – إلى أرض فلسطين محتلاً وغاصباً ومستوطناً وإرهابيا.

أختم لأقول بما يشبه القناعة الراسخة: لو أن استطلاعاً للرأي العام العربي أجري وتحديداً لدى متابعي «أم هارون» فهل سنرى غير «أم عطا» في الوجدان الخفي في عقول وقلوب هؤلاء؟ تعوزهم لحظة وعي نفتقدها منذ النكبة القديمة والمتجددة بأدوات السَحَرَة!

● الروائي والكاتب والفنان التشكيلي وعضو قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في لبنان مروان عبد العال قال: صناعة الرأي العام ليس قضية عفوية، خاصة وأننا في صراع مديد مع الكيان الصهيوني وبالتالي هو يفكر بخوضه على الجبهات كافة. جبهة الدراما ثقافية وهي حساسة، ونلاحظ كم أمسكت بعقول

مروان عبد العال

بتزوير التاريخ من خلال الدراما الرمضانية الخليجية

الجمعي العربي ورواية فلسطين الحقيقية ملكه

شكري أنيس فاخوري

وضمائر كثيرين على مستوى العالم. ما يجري حالياً أمر مدروس بهدف اختراق العقل العربي وعبر الدخول إلى كل بيت. المسلسل أو الفيلم أو المقال، جزء من الاستخدام، وهذه المسألة ليست آنية بل جرى التخطيط لها سابقاً، فهناك وزارات خاصة لصناعة الرأي العام، وفي سنة 2016 أُنشأت في الكيان الصهيوني وزارة خاصة لمحاصرة جهود المقاطعة الممتدة في العالم، لمنع وجود رأي عام مضاد لها، وهذا يتم من خلال الدخول في الأعمال الفنية والدرامية والثقافية عامة. صحيح يمكن مواجهة المسلسل الدرامي وكشفه، لكن ما يجري له صلة مباشرة بالسياسة. أي أن هناك مسؤولين ينساقون إلى التطبيع، وهذا ما نسميه الجناح الثقافي لصفقة القرن. وهذا لم نشهده مع الأنظمة السابقة التي وقّعت اتفاقيات سلام سواء في الأردن أو مصر، وذلك نتيجة وجود رواية مزيفة ورواية حقيقية. والعرب جميعهم هم أبطال الرواية الحقيقية وهي ليست رواية فلسطين منفردة. في رأيي أن المسلسلات التي نشهدها في رمضان اصطدمت مع الضمير الجمعي العربي وعبر وسائط التواصل الاجتماعي. وقبل تلك الوسائل جرت أحداث بسيطة جداً ومعروفة في الشارع المصري، وبالذات الناس العاديين وكيفية تعاطيهم مع خطوات تطبيعية. ونذكر عدداً من فناني مصر، ومن صحافييها ساروا في ركب التطبيع وكيف عزلهم المجتمع والشارع سواء بإلقاء محاضرة في جامعة للكيان، أو على أي خطوة تطبيعية. بالتالي هذا درس يجب أن يتعلمه الجميع.

● رأي في صدقية التاريخ قاله المؤرخ والأستاذ في الجامعة اللبنانية الدكتور الياس قطّار: حكماً ينجح تزوير التاريخ رغم وجود وسائط التواصل الاجتماعي. فالناس ليسوا بمؤرخين، وغالبيتهم يصدقون نشرات الأخبار. يتلقى المؤرخون أحياناً أخباراً مفبركة عبر وسائط التواصل الاجتماعي يصدقونها بادئ ذي بدء، ومن ثم يبدأ طرح الأسئلة على الذات عن الأهداف ومن وراء هذا الخبر أو ذاك. وسائط التواصل ليست بكتاب تاريخ يحظى بالموضوعية والمنهجية. لكتابة التاريخ تقنيات من الضرورة مراعاتها. وإحدى تلك التقنيات أننا عندما نكون حيال خبر معين علينا تقديم الوثائق ووجهات النظر كافة، سواء كانت متناقضة أم متجانسة وبدون إهمال لأية وثيقة أو خبر، وإلاّ سيتغير المضمون.

وأضاف: في كتابة التاريخ توزن الكلمة بميزان الذهب. فحرف جر من شأنه تغيير المعنى. وكذلك حال حرفي "أل لام". وفي التاريخ العربي الحديث الكثير من الوثائق يتناقض معناها بين أن تكون مفردة أو مضاف لها «ألف لام». عامة الناس تصدق وسائط التواصل الاجتماعي لأنهم لا يتمتعون بمناعة تاريخية وثقافية ونقدية. أما الدراما التلفزيونية فلها أفقها المقصود والمحدد من قبل الكاتب والمنتج لتمرير فكرة معينة، وعندها تُخضع المعلومات لخدمة الفكرة. والمسلسلات التاريخية التي تُعرض على الشاشات ليس بالضرورة أن تكون حقيقية. فالمسلسل اللبناني الذي حمل عنوان «ثورة الفلاحين» لم يكن أميناً لعاميات لبنان ولا يشبهها، ومشاهده ذكرتني بالثورة الفرنسية. وبشأن مسلسل «أم هارون» الذي يدور نقاش حوله علينا بدءاً التمييز بين الصهيونية واليهودية. اليهود موجودون في مناطقنا العربية قبل المسيحية والإسلام. عاشوا براحة وحرية تامة في حين أن أوروبا فرضت عليهم العيش في غيتوهات. كانوا يعيشون بين مختلف الطوائف في المدن والقرى ويتعاطون الأعمال كافة. واليهود موجودون في بلاد فارس ولا يزالون إلى يومنا ولهم مقاماتهم. ولا شك بأن خيبر كان فيها يهود، كما غيرها من مناطق الجزيرة العربية.

● العارفون بمسلسل «الإجتياح» الذي سطره التونسي الراحل شوقي الماجري يعبق من ياسمين، وكتبه رياض سيف بحب وحرفية ونال جائزة «إيمية» العالمية عن فئة المسلسلات الطويلة، وكانت الأولى في تاريخ الدراما العربية، سيهزؤون مما يُعرض لهم على أي قناة تلفزيونية تقول بأن الفلسطيني باعَ أرضه. فالماجري والفريق بكامله خلّدوا بعمل رائع بطولات هذا الشعب سنة 2002 حين صدّ بلحمه الحي عدوان الصهاينة على الضفة الغربية وجنين تحديداً.

● وإلى هذا الحقد البالغ على الشعب الفلسطيني من بعض الأدوات وعبر بعض المسلسلات تبرز من فلسطين الداخل مواجهة وباللحم الحي أيضاً، إنها الممثلة ربى بلال عصفور. فربى رفضت جائزة أفضل ممثلة من الأكاديمية الإسرائيلية للتلفزيون عن دورها في مسلسل «الفتيان». هذا المسلسل انتجته «إتش بي أو» ويتناول مقتل مستوطنين وقتل الطفل الفلسطيني محمد خضير حرقاً. عصفور أدت دور أمه بكل جوارحها. شكرت من صوّت لها، وقالت إنها قبلت هذا الدور لأنه واجب بالنسبة لها وليس بهدف المال.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثانية والثلاثون العدد 9900 الأحد 10 آيار (مايو) 2020 – 17 رمضان 1441 هـ
Volume 32 - Issue 9900 Sunday 10 May 2020

فرنسا: الحيوانات يزعجها خروج البشر من الحجر

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

بينما يستعد الفرنسيون بدءًا من هذا الاثنين للخروج التدريجي من الحجر الصحي المنزلي المفروض عليهم منذ منتصف شهر آذار/مارس الماضي؛ حذّر المكتب الوطني الفرنسي للغابات ورابطة حماية الطيور في فرنسا المواطنين في البلاد من خطر زعزعة سلام الحيوانات البرية التي وجدت معينًا أو نوعًا من الهدوء في ظل غياب الإنسان.

فخروج ملايين الفرنسيين من الحجر الصحي المنزلي ابتداء من يوم غد، قد يكون دراماتيكيًا بالنسبة للحيوانات التي استحوذت خلال الأسابيع الأخيرة مساحات بعد أن توقف فيها النشاط البشري في ظل تفشي فيروس كورونا؛ كما يقول المكتب الوطني الفرنسي للغابات ورابطة حماية الطيور في فرنسا.

وأشار المكتب إلى أن عطل نهاية الأسبوع في أيار/مايو، على سبيل المثال في منطقة باريس وضواحيها عادة ما تستقبل معظم الناس. ومع ذلك، فخلال شهرين تقريبًا من الحجر الصحي المنزلي «أدى الهدوء غير المعهود الذي أعطته الغابات للحيوانات إلى الرغبة في التحرك وحتى الذهاب إلى أماكن يرتادها البشر» وعند الخروج من هذه الفترة «ستكون الحيوانات البرية أكثر حساسية للاضطراب» خاصة وأن هذا هو وقت ولادة الثدييات وتعشيش الطيور.

وعليه، يوصي المكتب على وجه الخصوص بأن يبتعد المشاة في المستقبل عن المسار المطروق حتى لا يذهب الجميع إلى المكان نفسه و«لا يتم الاقتصار على الأماكن القريبة من مواقف السيارات ومداخل الغابات» و«إبقاء الحيوانات الأليفة تحت السيطرة».

ودعت رابطة حماية الطيور في فرنسا المشاة الذين سيرفع عنهم الحجر الصحي المنزلي إلى «اتخاذ احتياطات إضافية» لتجنب «التدمير غير المتعمد للحيوانات والنباتات البرية التي احتلت أماكن معينة أثناء الحجر الصحي المنزلي».

وازدهرت الحياة البرية في غياب الإنسان، بحيث شغلت بطريقة غير مسبوقة مساحات كانت ممنوعة عليها. واليوم يجب ألا تفقد الطبيعة ما اكتسبته أثناء الحبس، كما يؤكد رئيس رابطة حماية الطيور في فرنسا.

كورونا يعجز عن تحييد المسحراتي في غزة

رغم الظروف الاستثنائية التي نتجت عن جائحة فيروس كورونا، وما ترتب عليها من غياب للأجواء الرمضانية في غزة، إلا أن طبول المسحراتي عادت مع إطلالة الشهر المبارك، لتقرع في القطاع المحاصر.

ويحرص الشاب عبد الخالق عطوان (34 عاما) مع صديقه محمد شعت (25 عاما) على قرع الطبول في شوارع وأزقة مخيمي الشعوت وبِيْنا، للاجئين الفلسطينيين بمحافظة رفح جنوبي قطاع غزة سنويا، من أجل إيقاظ السكان لتناول طعام السحور.

ويجوب الصديقان عطوان وشعت، وهما حاملان طبلة كبيرة الحجم تُسمى محليا «الدِمِ» ويرتديان لباسا تراثيا، ويعتمران على رأسيهما طربوشين أحمرين، الحارات والأزقة دون كلل أو ملل، مرددين بصوتهما الجهور «اصحَ يا نايم وحّد الدايم.. قوموا إلى السحور يرحمكم الرب الغفور».

وينادي المسحراتية أحيانا على بعض الجيران بأسمائهم، ويتوقفان أمام بعض النوافذ والأبواب، حتى يستفيق سكان المنزل، هكذا طوال أيام شهر رمضان، منذ سنوات عملهما التطوعي.

ومع تفشي الجائحة، يستخدم الصديقان هذا العام كلمات تمازح الناس داخل منازلهم، منها «قوموا إلى سحوركم قبل ما كورونا تزوركم».

وتلقى مهنة المسحراتي الموسمية، حُب الناس واستحسانهم، حيث يصافحونه ويلتقطون صورا معه، عندما يجده أحدهم بالطريق.

ويقول عطوان «أشعر بسعادة كبيرة وأنا أوقظ الناس للسحور، مع أنني أجد بعضهم مستيقظا، بسبب الجلوس خارج منازل المخيم الضيقة، في ظل انقطاع الكهرباء، وارتفاع درجة الحرارة داخلها؛ رغم ذلك أشعر أن الناس تستمتع بذلك، وتتفاعل معي».

ويضيف «هذا العام نمر في ظرف صعب بسبب جائحة كورونا، التي تركت أثرا كبيرا على معظم الناس ومناحي الحياة، وكادت أن تدفعنا لعدم الخروج للسحور».

ويستدرك عطوان، أن «عدم تفشي كورونا بين الناس، ترك فسحة لنا للخروج، مع الحفاظ أيضا على السلامة الجسدية، واستخدام أدوات التعقيم قبل وبعد الخروج من المنزل للسحور».

ويؤكد سعيه إلى بقاء ظاهرة المسحراتي التراثية حية، وأنه يهدف أيضا إلى «إسعاد وإبهاج الناس قدر المستطاع».

ويشدد على أن عمله مع صديقه «تطوعي» مضيفا بالقول «لا أكسر بخاطر أي شخص يمنحني هدية تقديرا لي، أو حلوى ومشروب يقدمه الناس عند أبواب منازلهم، كما يحدث سنويا».

(الأناضول)

كورونا قد يدخل كلمات جديدة إلى قاموس «دودن» الألماني

من المنتظر أن تؤدي أزمة جائحة كورونا إلى إدخال بعض الكلمات الجديدة إلى قاموس «دودن» الألماني الشهير.

وتتخذ إدارة تحرير «دودن» القرار بشأن إدراج كلمات جديدة في القاموس.

وقالت مديرة تحرير القاموس، كاترين كونكل–راتسوم، إن من الكلمات المرشحة بقوة لإدراج في القاموس كلمة « كوفيد–19» وهو المرض الرئوي الذي يسببه فيروس كورونا المستجد.

وتضم قائمة الكلمات المرشحة التي تدرس إدارة تحرير «دودن» إدراجها في القاموس، كلمات ذات أصل إنكليزي مثل «Lockdown» و«Shutdown» وكلاهما بمعنى الإغلاق، وكلمة «Social Distancing» بمعنى التباعد الاجتماعي.

ويحتوي القاموس، الذي نُشر لأول مرة عام 1880 بالفعل على العديد من المصطلحات الشائعة في أوقات الجوائح، مثل «Hamsterkauf» بمعنى التكالب على الشراء، و«Ausnahmezustand» بمعنى حالة طوارئ، و«Systemrelevanz» بمعنى ذات أهمية كبيرة لعمل نظام معين، حسب بيانات عالمة اللغة الألمانية، كونكل–راتسوم.

ويتضمن قاموس «دودن» أيضا كلمة «Coronvirus» (فيروس كورونا) منذ سنوات، وذلك في سياق فيروس سارس.

(د ب أ)